

العُرْفَانُ
الإِسْلَامِيُّ

تأليف: آية الله
الشيخ حسين بن أحمد بن يوسف

ترجمة

كمال السيد

دار أحياء التراث العربى



العرفان الإسلامي

العرفان الإسلامي

تأليف

سماحة آية الله الشيخ حسين انصاريان

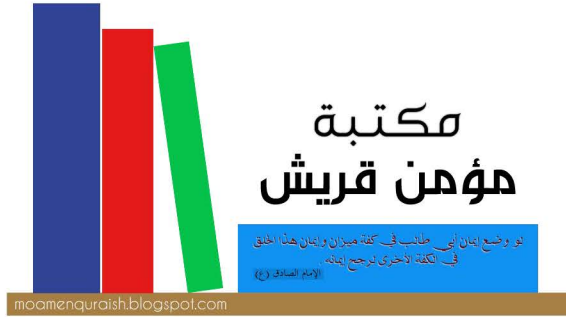
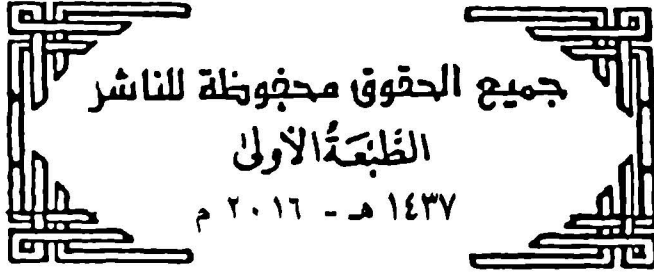
ترجمة

محمد باقر فاضلي

الجزء السابع

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان الجديد

دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف أوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧
الرمز البريدي: ١١/٠٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩ / ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧
Beyrouth - Lebanon - Airport Road - Behind Golden Plaza - P.O.: 11/7957 - Postal
Code: -11/072250 Tel: 009611455559 - 009611452469 -- Fax : 009611/850717
Email: darturath2012@hotmail.com www.dartourath.com

الباب

(٢٢)

في آداب الحج

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِذَا أَرَدْتَ الْحَجَّ فَجَرِّدْ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ وَحِجَابٍ كُلِّ حَاجِبٍ وَفَوْضْ أُمُورَكَ كُلَّهَا إِلَى خَالِقِكَ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ مَا يَظْهَرُ مِنْ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ وَسَلِّمْ لِقَضَائِهِ وَحُكْمِهِ وَقَدْرِهِ وَدَعْ الدُّنْيَا وَالرَّاحَةَ وَالخَلْقَ، وَأَخْرُجْ مِنْ حُقُوقِ تَلَزُّمِكَ مِنْ جِهَةِ المَخْلُوقِينَ.

وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى زَادِكَ وَرَاحِلَتِكَ وَأَصْحَابِكَ وَتَوَفِّتِكَ وَشَبَابِكَ وَمَالِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَصِيرُوا لَكَ عَدُوًّا وَوَبَالًا.

فَإِنَّ مَنْ ادَّعَى رِضَا اللَّهِ وَاعْتَمَدَ عَلَى شَيْءٍ صَبَّرَهُ عَلَيْهِ عَدُوًّا وَوَبَالًا لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ وَلَا لِأَحَدٍ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ.

وَاسْتَعِذْ بِإِسْتِعْدَادٍ مَنْ لَا يَرْجُو الرُّجُوعَ وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ وَرَاعِ أَوْقَاتِ فَرَائِضِ اللَّهِ وَسُنَنِ نَبِيِّهِ ﷺ وَمَا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنَ الأَدَبِ وَالإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالشَّفَقَةِ وَالسَّخَاءِ وَابْتِئَارِ الزَّادِ عَلَى دَوَامِ الأَوْقَاتِ.

ثُمَّ اغْسِلْ بِمَاءِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ ذُنُوبَكَ وَالْبَسْ كِسْوَةَ الصِّدْقِ وَالصَّفَاءِ وَالخُضُوعِ وَالخُشُوعِ. وَأَحْرِمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَمْنَعُكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَحْجُبُكَ عَنْ طَاعَتِهِ.

وَلَبَّ بِمَعْنَى إِجَابَةِ صَافِيَةِ زَاكِيَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي دَعْوَتِكَ لَهُ مُتَمَسِّكًا بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى.

وَطُفْ بِقَلْبِكَ مَعَ المَلَائِكَةِ حَوْلَ العَرْشِ كَطَوَافِكَ مَعَ المُسْلِمِينَ بِنَفْسِكَ حَوْلَ البَيْتِ.

وَهَرُولٌ هَرَوَلَةٌ مِنْ هَوَاكَ وَتَبْرِيًّا مِنْ جَمِيعِ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ. فَاخْرُجْ مِنْ
 غَفْلَتِكَ وَزَلَّاتِكَ بِخُرُوجِكَ إِلَى مَنِيٍّ وَلَا تَتَمَنَّ مَا لَا يَجِلُّ لَكَ وَلَا تَسْتَحِقُّهُ.
 وَاَعْتَرِفْ بِالْخَطَايَا بِعَرَاقَاتٍ وَجَدِّدْ عَهْدَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ. وَتَقَرَّبْ
 إِلَى اللَّهِ ذَا ثِقَةٍ بِمُزْدَلِفَةٍ.

وَاصْعَدْ بِرُوحِكَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِصُعُودِكَ إِلَى الْجَبَلِ، وَأَذْبِحْ حَنْجَرَتِي
 الْهَوَى وَالطَّمَعِ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ، وَأَرْمِ الشَّهَوَاتِ وَالْخَسَاسَةَ وَالذَّنَائَةَ وَالذَّمِيمَةَ
 عِنْدَ رَمِيِّ الْجَمْرَاتِ، وَاحْلِقِ الْعُيُوبَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ بِحَلْقِ رَأْسِكَ.
 وَأَدْخُلْ فِي أَمَانِ اللَّهِ وَكَنْفِهِ وَسِتْرِهِ وَكَلَامَتِهِ مِنْ مُتَابَعَةِ مُرَادِكَ بِدُخُولِكَ
 الْحَرَمِ.

وَزُرِ الْبَيْتَ مُتَحَقِّقًا لِتَعْظِيمِ صَاحِبِهِ وَمَعْرِفَةِ جَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَاسْتَلِمِ
 الْحَجَرَ رَضِيًّا بِقِسْمِيَّتِهِ وَخُضُوعًا لِعِزَّتِهِ، وَوَدِّعْ مَا سِوَاهُ بِطَوَافِ الْوَدَاعِ.
 وَصَفِّ رُوحَكَ وَسِرِّكَ لِلِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ بِوُثُوفِكَ عَلَى الصَّفَاءِ، وَكُنْ
 ذَا مُرُوءَةٍ بِفَنَاءِ أَوْصَافِكَ عِنْدَ الْمُرُوءَةِ.
 وَاسْتَنْقِمْ عَلَى شُرُوطِ حَجِّكَ هَذَا وَوَفَاءِ عَهْدِكَ الَّذِي عَاهَدْتَ بِهِ مَعَ
 رَبِّكَ وَأَوْجِبْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَفْتَرِضِ الْحَجَّ وَلَمْ يَخُصَّهُ مِنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ
 إِلَّا بِالْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ
 اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾!

وَلَا سَنَّ نَبِيَّهُ ﷺ فِي حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمَنَاسِكَ الْأَلِ لِإِسْتِعْدَادِ وَالْإِشَارَةِ
إِلَى الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَفَصَلَ بَيَانَ السَّابِقَةِ مِنَ الدُّخُولِ فِي
الْجَنَّةِ أَهْلِهَا وَدُخُولِ النَّارِ أَهْلِهَا بِمُشَاهَدَةِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى
آخِرِهَا لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ وَأَوْلِي النَّهْيِ.

حقيقة الحج:

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِذَا أَرَدْتَ الْحَجَّ فَجَرِّدْ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ
وَحِجَابِ كُلِّ حَاجِبٍ وَفَوِّضْ أُمُورَكَ كُلَّهَا إِلَى خَالِفِكَ وَتَوَكَّلْ
عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ مَا يَظْهَرُ مِنْ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ وَسَلِّمْ لِقَضَائِهِ
وَحُكْمِهِ وَقَدْرِهِ وَدَعْ الدُّنْيَا وَالرَّاحَةَ وَالخَلْقَ، وَاخْرُجْ مِنْ
حُقُوقِ تَلَزْمِكَ مِنْ جِهَةِ المَخْلُوقِينَ».

إن مسألة الحج العظيمة، هي من أعظم القضايا الإلهية، ومن أهم الأمور التي لها دور في بناء شخصية الإنسان المسلم.

لو أنّ مسلمي العالم عرفوا الحقائق القيمة لهذا العمل العبادي في الإسلام، وكذلك البرامج السماوية المعدة له، وأدوها كما ينبغي أن تؤدى، لكانت لهم عوناً في رفع كثير من المشاكل الدنيوية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية، ولوقفوا في حل مشاكلهم الأخروية.

العلاقة الروحية بين القلب والكعبة:

إن روحانية الكعبة تعتبر مرآة لعظمة وجلالة وجبروت المبدع وخالق الكون العظيم، فلو طبق المسلمون في أعمالهم شروط الحج الحقيقي، لبلغوا قمة العظمة والجلالة.

لقد وُضعت جميع عوامل تكامل الإنسان في مناسك الحج، فالحاج عليه ملء الفراغ الفكري والروحي والأخلاقي والإيماني عند أداء مناسكه، وإذا لم يتمكن في ذلك المكان العظيم من الارتباط مع كعبة الحق سبحانه تعالى، كان كأن لم يحجّ الكعبة، وكان كأن لم يصدر منه أي عمل من أعمال تلك الواقعة الإلهية. والكعبة - حقيقة - هي قبة القلوب والأرواح والأفكار، وتعتبر بوصلة لجميع وجود الناس كي يتوجهوا نحو الله سبحانه وتعالى.

وهي المحور والأساس، والإنسان عليه أن يطوف حول هذا المحور كي يتخلص من جميع الرذائل ويتزین بكل الحسنات.

وهي بيت العبادة ومركز العشق الإلهي، ومكان الطاهرين والصالحين ومنطلق تواضع الصديقين والصالحين.

والكعبة والمسجد الحرام مكانان عظيمان حيث إن أنبياء الله والأنمة الأطهار عليهم السلام كانوا يعشقونهما، وكانوا فيهما يعبدون الله سبحانه وتعالى في قمة الخضوع والخشوع، ومن الليل حتى الصباح.

فيجب على الحاجّ لبيت الله سبحانه وتعالى قبل التوجه إلى ذلك المكان الشريف أن ينقي قلبه من جميع الشوائب، لأنّ الكعبة هي قلب ومركز العبادة والإخلاص وموضع الخضوع والخشوع، والقلب الذي لم يتزین بهذه الأوصاف السامية ليس له أي مكان هناك.

ولن يتمكن الإنسان من الوصول إلى ذلك الحرم المقدس والمكان العظيم بدون تزكية وتزيين القلب بحقيقة الصفات الإلهية، فالطريق الحقيقي لوصول الإنسان إلى الله يكمن فقط في القلب السليم، النقي، الخاشع والخاضع، والمؤمن والمتقي، والرفيق والرحيم، والرؤوف والكريم، الحزين والموقن.

وما لم تترك شهواتك وأمنيات النفس، وما لم تخرج من ظلمات الرذائل وترجع إلى النفس الإلهية، وتجرد نفسك الإلهية من أعدائها، فإنك لن تجد طريقاً ومسلكاً إلى بيت الله سبحانه وتعالى.

نعم، عندما تجرد القلب من شوائبه، والنفس من رذائلها وتنزع لباس الشيطان من تمام وجودك، عندما تهب نفسك إلى ساحة قدسه سبحانه وتعالى، حينئذ ستكون مؤهلاً لدخول رحاب الله تعالى، وإنما دُعيت بروحك وليس بجسمك، لأن الإنسان هو موجود يتصف بصفات المولى سبحانه وتعالى.

يقول الفيلسوف الكبير المرحوم الحاج محمد حسين الغروي الاصفهاني المشهور بـ (كمباني) في خطاب إلى الإنسان:

في بعض الأحيان إذا استطعت فاسافر إلى كعبة الأرواح، وضح في منى الوفاء.

وإذا استطعت فسر في طريق العشق، وإذا استطعت فاجعل صدرك درعاً.

وأتكى عندئذ على أربعة فرش، وإذا استطعت فاجعل الجسم هدف لسهم مثلث.

فالصبح عندئذ يفرح، وإذا استطعت فاخدمه من الليل إلى السحر.

لا تتعد عن باب صديقك المفتقر أبدا، إذا استطعت ان تجد حلاً لهذا القلب من هذا الطريق.

ان شرح العلاقة الروحية بين القلب والكعبة، لهو خارج عن إطار هذا الكتاب، لأن رؤية عظمة الكعبة الشريفة والعلاقة الحقيقية بينهما تحتاج إلى عين إلهية وقلب نزيه من جميع الشوائب، وللأسف فإنني أنا الفقير الترابي لم أتحلّ بهاتين الصفتين، فلعلّي أستطيع شرح ظاهر الحديث وعسى الله سبحانه وتعالى أن يهبنا قلباً نظيفاً لئلهمنا الحقائق، وعيناً وبصيرةً إلهية لرؤية ماهية الأشياء والكون كما يفترض أن تكون، وهذا ليس ببعيد عن ساحة المولى سبحانه وتعالى.

تصفية القلب من غير الحق سبحانه وتعالى:

إن المضامين التي وردت في حديث الإمام الصادق عليه السلام - في بداية رواية الحج - تحدّثت قبل البدء بالسفر إلى الحج، فإنه يتوجب عليك بتصفية القلب وتنقيته، وعليك أيضاً بتنظيف هذا البيت الروحاني لله سبحانه وتعالى من جميع الشوائب والعيوب، التي تعكّر صفاءه ومحبة الله، والتي تجعلها في همّ وغمّ الدنيا، ومتعلّقة بالصفات الشيطانية للنفس وأسيرة لحقوق الناس المالية، وإنه ليس من اللائق أن تحضر إلى ساحة المولى سبحانه وتعالى بهيئة وهندام جميلين وقلبك غير نظيفٍ وخالٍ من الشوائب.

وعليك قبل الرحيل من الوطن إلى بيت الله سبحانه وتعالى، بكسب المعرفة وتنوير القلب بصفات المولى سبحانه وتعالى، وأن تتخلّص من قيود الشيطان ومن جنود إبليس في هذا المطاف العظيم للحقائق الربانية والحسنات الملكوتية.

وعندما تبدأ بكسب المعرفة، فإنه يهيم القلب بعشق المولى سبحانه وتعالى، ولأنّ العشق هو من أقوى الدوافع فإنه يزعج بأعضائك وجوارحك في طريق الخدمة للمولى سبحانه وتعالى ويؤهلك للحضور، هنالك سوف تكون أنت مع مؤسس شعيرة الحجّ نبيّ الله إبراهيم خليل الرحمن، ومؤهلاً لرؤية حقائق الملكوت بعين القلب والبصيرة.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^١.

وجاء في الحديث: إن حرمة المؤمن أعظم من حرمة البيت الحرام، وكيانه أعلى وأعزّ من الكبريت الأحمر، وأفضل من الملائكة بل وحتى من الملائكة المقرّبين^٢. إنّ هذه العظمة والفضيلة والحرمة للمؤمن تأتي من الحركة المعنوية للقلب تجاه المولى سبحانه وتعالى.

كعبة القلب:

يقول العارف الكبير (عين القضاة) في كتاب (التمهيدات): أيها العزيز، إنّ طريق الله ليس من جهة اليمين ولا من جهة اليسار ولا من جهة الأعلى، وكذلك ليس من جهة الأسفل، وهو ليس بعيداً وكذا ليس قريباً، وإنّما الطريق هو في القلب وبخطوة واحدة... «دع نفسك وتعال»، وجرّد نفسك من أكبر الرذائل التي هي أساس جميع المصائب والبلايا ألا وهي المني، وطهر نفسك من جميع

١- الأنعام: ٦: ٧٥.

٢- الكافي: ٥٦٧/٤، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٥٣٧/١٤، باب ٧٦، حديث ١٩٧٧٥.

الشوائب لكي تستطيع الحركة إلى جواره سبحانه وتعالى.

ألم تسمع بأن المصطفى ﷺ سئل أين الله؟

فقال ﷺ: «عند المنكسرة قلوبهم»^١.

أيها العزيز: إن الحجّ وأداء مناسكه بشكله الظاهر يستطيع أي شخص أن ينجزه وأن يأتي به، أما الحجّ الواقعي والحقيقي فلا، فإنك إن أردت سفر الحجّ وطريقه فعليك بصرف الأموال والذهب، لكي تصل، أما إن أردت طريق الوصول إلى الحق تبارك وتعالى فعليك بصرف كيانك وقلبك، وأن تأتي إليه بكل وجودك وهذا من البديهيات والمسلمات.

﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^٢.

إن هنالك في كلّ فعل وحركة - وانت في طريق الحجّ - سرّ وحقيقة يمكنك رؤيتها، أمّا أولئك الذين لا يملكون البصيرة فلا يستطيعون ذلك.

تتلخّص شعائر الحجّ في جميع الأحوال: بطواف الكعبة، والسعي والحلق والتجريد، ورمي الجمرات، والاحرام والاحلال... ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^٣.

فالأرواح كانت تأتي إلى الكعبة وتزورها قبل عالم الخلق، ومما يؤسف له فإن الخلق البشرية وعالم الدنيا يمنعاننا من الوصول إلى كعبة الربوبية، ولا يسمحان لنا بوجود تلك الكعبة على صحراء الأرض.

١- بحار الأنوار: ١٥٧/٧٠، باب ١٢٥.

٢- آل عمران ٣: ٩٧.

٣- الحج ٢٢: ٣٢.

إن الذي يذهب قاصداً الكعبة الظاهرية المبنية من الطين سوف يجد نفسه حولها ويراهها، أما من يقصد كعبة القلب فإنه سوف يجد الله سبحانه وتعالى ويراه حوله، رزقنا الله وإياكم الحجّ الحقيقي إن شاء الله تعالى.

فإذا قمت بتصفية القلب ونورته بالمعرفة وبقيت راسخاً على اليقين والعشق، فإنك تنال حرمة أعظم من الكعبة الشريفة، فمع هكذا قلب يمكنك الإتيان إلى حج الكعبة وتكليف نفسك مع روحانية الكعبة التي تأتي من ذلك النور الذي يشعّ من حقيقة وكيونة الكعبة الذي سوف يكون شفيعك يوم القيامة، وتنال المكان العظيم والمقام الجليل.

واعلم ان حرمة القلب عندما يصل إلى حقيقة بيت الله وعرشه لا يمكن مقارنتها وقياسها بحرمة الكعبة.

وما أجمل ما قالت الشاعرة (بروين اعتصامي) في هذا المجال:

عند الإحرام يوم عيد الأضحى قالت الكعبة لنفسها.

إنني مرآة لنور ذي الجلال وإنني عروس حفل الوصال.

لقد رفعتني يد الخليل وعزّني وكرّمني القادر المتعال.

لا يوجد في أي بقعة من الأرض مكان مبارك وظاهر مثلي.

لا تضاهيني بقعة منيرة في الكون ولا تجد ملكاً أمناً كملكي.

لنا لفيق من المخلصين والعشاق وعندنا كثير من المضحين الأتقياء.

إن مجد النصح منا وإن صرح الشوق أساسه منا.

أنا سراج لكل هذه الفراشات وأنا بيت لرب العالمين.

هنا معبد للقمر والنجوم وهنا للحقيقة أوراق وصحائف.

قد وضع الكثير من الملوك تيجانهم هنا وطأطأ الكثير من العظماء
رؤوسهم على هذه العتبة.

علّقوا الكثير من الجواهر من على سطحي ونثروا كثيرا من الكنوز عند بابي.
مظهري قبلة للأحرار وباطني نصير للضعفاء.

ليس كتاب الحب إلا ورقة واحدة وليس فيه سرّ سوى اسم الحق.
قد رفعت هذا المقام همّة مقدّسة وقد قامت بهذا العمل نيّة مباركة.
كل حجارة وكل طين وكل لبنة في هذا المقام كلها تسجد لله حيناً ثم
حيناً.

الباب والصحن هنا ينادي أنا الحق والأنجم والأجرام تسبّح بحمده.
هنا أهل العرش يسبّحون والمتكلّمون بالمعاني يصمتون.
إن كمال العلى من مقامنا واجنحة الروح الأمين فراش طريقنا.
الباب والصحن هنا ينادي أنا الحق والأنجم والأجرام تسبّح بحمده.
لا يسمع هنا بشهر السيوف ولا قدرة لأحد ليطش بالآخرين.
لا فخّ في هذه الرحاب ولا صياد، الصيد آمن والطيور طليقة.
فهنيئاً لأستاذ خلط هذا الماء والطين ومرحى لمعمار أشاد هذا البناء.
هنيئاً لخياط خاط ثوبي وهنيئاً لتاجر أهدى هذه الكسوة.
إن لي سجلاً حافلاً بالأمجاد وإن لي شأنًا ومنزلة رفيعة في الفلك.
فضحك القلب قائلاً لها بهدوء يا حبيبتي لا يحسن من الطيبين أن
يعجبوا بأنفسهم.

تبالغين في الكلام عن قبضة الطين هذه وكأنك قد غفلت عن كعبة القلب.
ليس لك شيء ما عدا الماء والطين وليس هناك كعبة مباركة كالقلب.
إن بناك إبراهيم الخليل فقد خلقتني يد الحي القادر لو أعطوك
الجواهر والكنوز فقد أعطوني مستقراً في الصدور.

يقبلون عبتك في الأعياد ولكن بابي مفتوح في كل حين.
لو أرسى أساسك أحد العباد فقد عمّرنى معمار الوجود.
لو كان نقشك من الديباج فلي شلال من النغ في كل عرق.
أنت جسم مظلم و أنا أسطع أنت من التراب و أنا من الروح الطيبة.
إن كانت لديك المروة والصفاء فلدي كذلك الفكر والحكمة.
ليس هنا شمعة سوى وجه الحبيب وإن وجدت فهي انعكاس لنوره.
لو كان عشاقك هم الأقمار والكواكب فأصحابي هم العشق والهيام
والآهات.

فلو أغرقوك بالهدايا الثمينة فقد جعلوني جارا للعقل والروح.
ترى الكثير من الأحباب في صومعة العشق هذه وهناك أكثر من
ربان لهذه السفينة التائهة.

نبدو وكأننا ملوك لمملكة البدن وحققتنا هو بيت خاص لله تعالى.
السر هنا سر المحبة والعشق الإلهي وكل نقش ما عدا ذلك فهو مجازي.
لنا كثير من القرابين والضحايا في مذبح العشق ولدينا سهام دامية كثيرة.
إنك ما رأيت دم ضحايا القلب وما رأيت من هذا البحر سوى الشاطئ.

فمن حافظ على طهارة كعبة القلب لن يخشى الدنس والتلوّث.
أي محراب أكثر صفاء من القلب وأي قنديل هو أكثر نوراً من
الروح.

هنيئاً لمن اتخذ ثوباً من ديباج الروح وهنيئاً لطائر اتخذ عشا على هذا
الغصن.

يا بروين إن المجد نصبت من جعل قلبه كالكعبة طاهراً من الدنس.

حق الناس وأهميته:

يعتبر الحق المعنوي والمادي للناس في غاية الأهمية، وقد أكد عليهما
الإسلام بشكل خاص.

من وجهة نظر القرآن والأحاديث الشريفة فإن المسلمين الحقيقيين هم الذين
يكونون منزّهين عن أكل حقوق الناس المعنوية والمادية.

إن الذي يؤذي حقوق الناس المادية والمعنوية هو الذي ينعم بالحياة الطيبة
حقاً، ويكون عند الموت نزيهاً من حقوق الناس.

وقد ورد حديث في الباب الخامس والاربعين من كتاب (مصباح الشريعة)
في قسم المعاشرة، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - الذي من خلال
شرحه يتبين لنا أهمية حقوق الناس المعنوية من وجهة نظر القرآن والسنة النبوية
الشريفة - ومن اللازم في هذا الفصل من الكتاب أن نشير إلى جملة من
الأحاديث والروايات المهمة من الكتب الإسلامية المعتبرة، وكذا بعض القصص
التي تعطينا بعض الدروس في هذا المجال.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كُلُّ ذَنْبٍ يُكْفِّرُهُ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

إِلَّا الدِّينَ فَإِنَّهُ لَا كَفَّارَةَ لَهُ إِلَّا آدَاءُهُ أَوْ يَقْضِي صَاحِبُهُ أَوْ يَغْفُوَ
الَّذِي لَهُ الْحَقُّ»^١.

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالذِّينِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْعِدِلُ الدِّينُ
بِالْكُفْرِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ»^٢.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «السُّرَّاقُ ثَلَاثَةٌ مَانِعُ الزَّكَاةِ وَمُسْتَحِلُّ مَهْوَرِ
النِّسَاءِ وَكَذَلِكَ مَنْ اسْتَدَانَ وَلَمْ يَتَوَّ قِضَاءَهُ»^٣.

عَنِ النَّبِيِّ عليه السلام «فِي حَدِيثِ الْمَنَاهِي أَنَّهُ قَالَ: مَنْ مَطَّلَ عَلَى
ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى آدَاءِ حَقِّهِ فَعَلِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَطِيئَةٌ
عَشَارٌ»^٤.

«عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ: أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ كَفَّارَةٌ لِذَنْبِهِ إِلَّا
الدِّينَ فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ قِضَاؤُهُ»^٥.

١- الكافي: ٩٤/٥، باب الدين، حديث ٦؛ وسائل الشيعة: ٣٢٤/١٨، باب ٤، حديث ٢٣٧٧١؛ الخصال:

١٢/١، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ١٠/٩٧، باب ١، حديث ١٣.

٢- علل الشرايع: ٥٢٧/٢، باب ٣١٢، حديث ٣؛ الخصال: ٤٤/١، حديث ٣٩؛ وسائل الشيعة: ٣١٧/١٨،

باب ١، حديث ٢٣٧٥٣.

٣- تهذيب الأحكام: ١٥٣/١٠، باب ١٠، حديث ٤٢؛ الخصال: ١٥٣/١، حديث ١٩٠؛ بحار الأنوار:

١٤٦/١٠٠، باب ٣، حديث ١.

٤- مجموعة ورام: ٢٦٣/٢؛ وسائل الشيعة: ٣٣٣/١٨، باب ٨، حديث ٢٣٧٩٠؛ بحار الأنوار:

٣٣٦/٧٣، باب ٦٧، حديث ١.

٥- من لا يحضره الفقيه: ١٨٣/٣، باب الدين والقرض، حديث ٣٦٨٨؛ وسائل الشيعة: ٣٢٦/١٨، باب

٤، حديث ٢٣٧٧٥.

وجاء في رواية: عن معاوية بن وهب قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: إنه ذكر لنا أن رجلا من الانصار مات وعليه ديناران دينا فلم يصل عليه النبي صلى الله عليه وآله وقال: صلوا على صاحبكم حتى ضمنهما [عنه] بعض قرابته، فقال أبو عبدالله عليه السلام: ذلك الحق، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما فعل ذلك ليتعظوا وليرد بعضهم على بعض ولئلا يستخفوا بالدين.^١

كان أبو ثمامة أحد الشيعة المعاصرين للإمام محمد الجواد عليه السلام، فسأل الإمام ذات يوم: أريد الاعتكاف في مكة والمدينة، ولكنني مقروض؟ فقال له الإمام عليه السلام: إرجع إلى مدينتك حتى تؤدي دينك، واسع سعيك أن لا تلاقي الله سبحانه وتعالى وانت مديون لأن المؤمن لا يخون.^٢

عن علي عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مظل المسلم الموسر ظلم للمسلمين».^٣

يقول الإمام الصادق عليه السلام: إن أشد حالات الإنسان التي يمر بها يوم القيامة، عندما يعترض طريقه مستحقو الزكاة والخمس، ويقولوا: إلهي هذا الشخص قد منعنا الزكاة والخمس، فيأمر الله سبحانه فيأخذ من حسناته ويعطونها.^٤ وفي رواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: يتأذى أهل النار من ربح أربع، يشربون من حميمها ويصرخون، أحدهم في صندوق من نار وهو من خرج من الدنيا ولم يقض حقوق الناس.^٥

١- الكافي: ٩٣/٥، باب الدين، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٤٢٢/١٨، باب ٢، حديث ٢٣٩٦٥.

٢- الكافي: ٩٤/٥، باب الدين، حديث ٩؛ تهذيب الأحكام: ١٨٤/٦، باب ٨١ حديث ٧.

٣- الكافي: ٤١٢/٧، باب أدب الحكم، حديث ١؛ تهذيب الأحكام: ٢٢٥/٦، باب ٨٨ حديث ١؛

وسائل الشيعة: ٣٤٣/١٨، باب ١١، حديث ٢٣٨٠٩

٤- لآلي الأخبار: ٢١٤/٣.

٥- لآلي الأخبار: ١٩٧/٣.

عن الإمام الصادق عليه السلام «أنه قال: يا يونس، من حبس حق المؤمن، أقامه الله عز وجل يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه، حتى يسيل عرقه او دمه، وينادي مناد من عند الله: هذا الظالم الذي حبس عن الله حقه، قال: فيويخ أربعين يوماً، ثم يؤمر به إلى النار»^١.

يتبين لنا من الأحاديث المهمة السالفة، أن اي شخص عندما يُرجع أموال و حقوق الناس في حياته، أو يتكفل أقاربه بردّها إلى أهلها بعد مماته، فإنّه سينجو من العذاب الإلهي في البرزخ ويكون يوم القيامة في أمن وأمان. إنّ الذي ينوي الحجّ عليه أن ينزّه نفسه من كل حقوق الناس المعنوية والمادية وذلك طبق القوانين الإسلامية السامية، وإلا فإنّ حجّه، سوف لا تكون له أية قيمة تذكر. وهنا سوف نشير إلى بعض القصص الواقعية في مجال حق الناس.

المؤاخذه بسبب قلم:

يقول العارف الكبير المرحوم الحاج الشيخ محمود الياسري - والذي كنت أحضر مراراً لديه من اجل الاستفادة المعنوية - كان في محلّتنا رجل ذا أخلاق حسنة، وكانت يعيش حياة طيبة، ولكن الشيء الوحيد الذي كان يزعجه هو عدم رزقه للأولاد.

فتوسّل الى الله سبحانه وتعالى سنيئاً، حتى وهبه الله ولدأ، وفرح جداً بهذه

١- وسائل الشيعة: ٣٨٨/١٦، باب ٣٩، حديث ٢١٨٣٧، لأبي الأختار: ١٩٨/٣.

النعمة، ولما بلغ ابنه سبع سنين أدخله إبي المدرسة، وأكمل دراسته الى الصف الرابع الابتدائي.

كان هذا الولد بالنسبة إلى أهله كالنور والضياء، وكانوا مسرورين به جداً، ولكن القدر قطع عليهم الفرح، ومرض الطفل، و عجز الأطباء عن علاجه، ورحل من الدنيا، وكان بين الحادية عشر أو الثانية عشر من العمر، ودفن في مقبرة ابن بابويه بجانب المرحوم الشيخ الصدوق عليه السلام، ولحب الأب الشديد لولده، استأجر قارئاً يقرأ القرآن عند قبره، علّه يؤنسه في قبره.

كان الوالد يزور قبر ابنه يومياً، ويبكي ساعة، ثم يرجع، وفي يوم من الايام عندما كان ذاهباً إلى قبر ابنه، قال له قارئ القرآن: في الليلة الماضية، وفي عالم الرؤيا رأيت ولدك يقول: ان أبلغوا والدي اني كنت قد أخذت قلماً لأحد زملائي من التلاميذ ولم ارجعه له، ولم أعطه قيمته، وإني الآن اساءل عنه، فأنقذني.

فتألم الوالد كثيراً من سماع ذلك، وسرعان ما ذهب إلى طهران، ثم إلى مدرسة الطفل وسأل المدير عن صديق ابنه الذي اعطاه القلم، وبعد معرفة الطفل، أعطاه حق القلم وأبرأ ذمة ولده، حتى لا يساءل في يوم القيامة.

نعم، إن حقوق الناس في الشريعة الإسلامية لا يحدها سن التكليف او البلوغ، وإنما من أخذ شيئاً من الناس في أي سنٍ فعليه ردّه إليهم، فإذا ردّ وليّ الإنسان حق الناس إليهم فقد برأت ذمته، واذا لم يؤدّها الإنسان نفسه أو وليّه في تلك الأيام، وجب عليه ردّها في سنّ التكليف، لأنّ الإسلام لا يرضى بأن تكون حقوق الناس في ذمة احد، وليت المسلمون تجنّبوا التورّط بحقوق الناس من اول عمرهم إلى آخره.

النجاة بدفع سبعة عشر ريال:

كان لي صديق المؤمن، وكان من عشاق سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام، وقبل أيام من عيد الغدير توفي، فتكفّلت وقيمت بغسله وكفنه ودفنه. وكنت أتصور بعد قرائتي لوصيته الرائعة أنه في عالم البرزخ طليق ومرتاح البال. ولكن بعد أيام من وفاته جاء في عالم الرؤيا إلى أحد أوصيائه - الذي كان من عشاق المولى سبحانه وتعالى - وقال له: عليّ لأحد الأشخاص حقّ ومقداره سبعة عشر ريالاً، موجود في أحد الدفاتر التي بدكّاني، وقد نسيته، فأرجو منك أن تسدّها عنيّ.

وبالفعل، بعد مراجعة الدفاتر التي كانت في الدكان وجدوا المال كما قال ، وأرجعوه إلى صاحبه، وراحوه من الهمّ والعذاب في ذلك العالم.

براءة الذمة بسبب خدش كتاب:

كنت في إحدى الليالي في مجلس نجل المحدث القمي الكبير صاحب (سفينة البحار)، و (مفاتيح الجنان) إذ قال لي: في الليلة التي توفي والدنا، ودفناه في المرقد المطهر لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، رأيت والدي في عالم الرؤيا وقال لي: إن هنالك مجلد من كتاب (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي رحمه الله كنت قد استعرته أمانة من العالم الفلاني، ونسيت ان ارجعه له، فأسرع في إرجاعه إلى مالكه، وفي صباح تلك الليلة عندما رمنا أن نعيد الكتاب لصاحبه، وقع الكتاب من يدي بجانب باب الدار، فنفضت عنه الغبار ثم اعطيته لصاحبه، وفي الليل رأيت والدي المرحوم مرة أخرى وهو يقول لي: لقد وقع الكتاب من يدك اليوم وأصبح به خدش، وإني عندما أخذته من صاحبه أمانة

كان سالماً من دون خدش، فذهب إليه مرة أخرى وقل له أن يرثني الذمة بسبب الخدش.

مشكلة بسبب ملامسة شحم لحم:

كنت أرى رجلاً طاعناً في السن في أكثر محاضراتي الدينية، وكان ذا سيماء حزينة، التي تعكس ما يعانیه من الهموم. فجلست بقربه يوماً من الأيام وطلبت منه أن يحكي لي جزءاً من حياته وما تعلّمه خلال حياته.

فقال: إن لي من العمر مائة عام، وقبل ستين عام - بعد أن استطعت ان أذخر مبلغاً بسيطاً من المال - ذهبت لزيارة العتبات الشريفة في العراق.

كنت أنوي البقاء في النجف الأشرف ثلاثة أشهر، لكن المال الذي كان معي كان قد نفد، وكنت قد جلبت معي أدوات خياطة، فذهبت إلى دكان في سوق النجف الأشرف وقلت لصاحبه: أرجو أن تدعني أعمل في جوار دكانك مدةً من الزمن، فقبل الرجل بكل رحابة صدر.

وبعد مرور أيام، أصبحت علاقتي مع صاحب الدكان قوية، فسألته يوماً: ما أهم شيءٍ تعلّمته في حياتك؟ فقال: كان لي صديق طيب، فتعاهدنا أنه من يمت أولاً يأتي إلى الآخر في عالم الرؤيا ويخبره بما يحصل في عالم البرزخ.

فوقّي صديقي قبلي، وفي تلك الليلة جاءني في عالم الرؤيا، في حالة حزن عليه آثار التعب والهم، فسألته عن السبب، فقال: كنت يوماً من الأيام ذاهباً إلى دكان القصاب، فتفقدت بعض اللحوم ولامست يدي شحومها، وخرجت من الدكان دون أن أخبر صاحبه بذلك، فأنا الآن في عالم البرزخ في مشكلة من

ذلك، فأرجو منك أن تكمل صداقتك معي بأن تطلب من القصاب براءة الذمة لي.

المؤاخذة بسبب عود صغير:

بعد أن توفي وانتقل أحد العباد المشهورين في مدينة كربلاء إلى عالم البرزخ، جاء إلى صديقه في الرؤيا وقال له:

كنت راجعاً من دعوة، فبقي بعض الطعام بين أسناني وكانت تؤذيني، فأخذت عوداً صغيراً من حصير دكان يباع التمر في جوار صحن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ثم رميت العود في الأرض، ولم يكن صاحب الدكان حاضراً حتى أطلب منه براءة الذمة، فنسيت الأمر حتى رحلت عن الدنيا، والآن إنني في ورطة من ذلك، فأرجو منك ان تطلب لي براءة الذمة من صاحب دكان التمر حتى اتخلص من الورطة والهم.

هو غير مؤهل لزيارة حجة الله:

في كتاب (الواعظ) تأليف العالم سماحة الحاج الشيخ محمد علي رباني والذي يتألف من عدة اجزاء وهو مزيج من آيات القرآن الكريم وروايات السنة النبوية الشريفة، قرأت مايلي:

قرّر شخصان التشرف برؤية وزيارة صاحب الزمان الإمام الثاني عشر روعي لمقدمه الفداء، فانشغلا بتزكية النفس ووجدا نفسيهما مستعدين للقاءه، فشدّا الرحال إلى مكة المكرمة، وفي أثناء الطواف رأى أحدهما الإمام عليه السلام وسلم عليه، وقال للإمام: أريد منكم أن تسمحوا لصديقي برؤيتكم وزيارتكم. فقال الإمام عليه السلام: صديقك لا يستحق زيارتنا. لأنه وفي أثناء سفره إلى مكة

المكرمة، كان قد وصل إلى أرض مزروعة بالقمح، فأخذ حبة من سنبله كي يرى أنها نضجت أم لا، ثم رمى بها في تلك المزرعة، إن الذي يأخذ الحاجة دون إذن صاحبها، لا يكون مؤهلاً لرؤيتنا وزيارتنا.

المؤاخذه بسبب حبة سنبله:

تعاهد عابدان من عبّاد الحق سبحانه وتعالى على أنه من يمت أولاً يأتي إلى الآخر في عالم الرؤيا ويخبره بما يحصل في عالم البرزخ. فتوفّي أحدهما، وبعد مدة من الزمن جاء إلى الآخر في عالم الرؤيا، وقال له: إنني متورّط في عالم البرزخ، والسبب: أنني ذهبت يوماً إلى دكان العطار في محلّتنا يوماً من الأيام، وجلست عنده ساعة من الزمن، وكان بجنبني إناء فيه قمح، ولا شعورياً أخذت حبة فقضمتها إلى نصفين بأسناني، ثم أعدتهما إلى الإناء مرة أخرى، ولم أذكر شيئاً للعطار عن هذا الموضوع، فأرجو منك أن تذهب إلى العطار وأن تطلب منه براءة الذمة لي كي أتخلص من هذه الورطة.

النّجاة من حقّ الناس:

ينقل لنا المحدث الكبير، العلامة المجلسي رحمته الله قصة في بحار الأنوار نقلاً عن كتاب الكافي عن علي بن حمزة أنه قال:

كان لي صديق من كتّاب بني أمية فقال لي: أستأذن لي على أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فاستأذنت له، فأذن له، فلما أن دخل سلّم وجلس، ثم قال: جعلت فداك، إنني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً،

وأغمضت في مطالبه، فقال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: لولا أن بني أمية وجدوا لهم من يكتب ويحبي لهم الفياء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلا ما وقع في أيديهم.

قال: فقال الفتى: جعلت فداك فهل لي مخرج منه؟ قال: إن قلت لك تفعل؟ قال: أفعل، قال له: فاخرج من جميع ما كسبت في ديوانهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به، وأنا أضمن لك على الله عز وجل الجنة، فأطرق الفتى طويلاً ثم قال له: لقد فعلت جعلت فداك.

قال ابن ابي حمزة: فرجع الفتى معنا إلى الكوفة فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلا أخرج منه حتى ثيابه التي كانت على بدنه قال: فقسمت له قسمة واشترينا له ثياباً وبعثنا إليه بنفقة، قال: فما أتى عليه إلا أشهر قلائل حتى مرض، فكنا نعوده، قال: فدخلت يوماً وهو في السوق (و النزع و حالة الاحتضار) قال: ففتح عينيه ثم قال لي: يا علي وفي لي والله صاحبك، قال: ثم مات فتولينا أمره، فخرجت حتى دخلت على أبي عبد الله عليه جعفر الصادق عليه السلام، فلما نظر إلي قال لي: يا علي وفينا والله لصاحبك، قال: فقلت صدقت جعلت فداك هكذا والله قال لي عند موته^١.

أحبتني؛ يا من تريدون الحج، كونوا كهذا الفتى، وبرأوا ذممكم من جميع حقوق الناس المعنوية والمادية، فإن براءة الذمة من الحق المادي للناس له أثره

١- الكافي: ١٠٦/٥، باب عمل السلطان وجوائزهم، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ١٩٩/١٧، باب ٤٧،

حديث ٢٢٣٤٣؛ بحار الأنوار: ٣٨٢/٤٧، باب ١١، حديث ١٠٥.

وثوابه العظيم جداً، وهي مقدّمة لقبول الحجّ إن شاء الله تعالى.
 فعليكم أحبّتي، بإحترام الإنسانية، ودرك المفاهيم، وإخراج أنفسكم من
 الظلمات إلى النور، وتنويرها بحقائق الإسلام.
 كم تقول أنهم لم يسمعوك سرّاً، وكم تقول أنك بحثت ولم تجده.
 لا تعمل شيئاً فتطع به، وقلل من دلحك علينا حتى لا يتحول إلى
 جشع.

إذا لم تحصل على غايتك فاجتهد، ان تتأقلم وتكيف مع الزمان.
 إذا كنت نسرّاً فلا تأخذ طباع اليوم، وإن كنت فهداً لا تأخذ طباع الخنزير.
 لا ترض بالقليل من قدرك، فهكذا لا يستطيع الصقر صيد العصفور.
 إلى متى وانت مشغول بهذا وذاك، استرح وانشغل بنفسك.
 فشرّف انتساب الإنسان، في الحقيقة هو الخلق الافتراضي.
 وغدك يبدأ من يومك، ونهايتك تبدأ من بدايتك^١.

لهيب النار بسبب حقوق الناس:

ذكر الحاج الميرزا حسين النوري صاحب (مستدرك الوسائل) نقلاً عن كتاب
 دار السلام للنوري، قصة مفادها:

أن العالم الزاهد السيد هاشم الحائري قال: استقرضت مبلغاً وقدره مائة دينار
 (ما يعادل عشرة قرانات أعجمية) من شخص يهودي، وبعد عشرين يوماً أرجعت
 له المبلغ، فأعطيته نصفها، وبعده مدة أخرى بحثت عن الرجل كي أعطيه النصف

الآخر فلم أجده، وقيل لي: انه ذهب إلى بغداد.

و ذات ليلة وفي عالم الرؤيا، شاهدت يوم القيامة، وكيف أنهم أوقفوني للحساب، وبرحمة الله وفضله أجازوا لي الدخول إلى الجنة.

وعندما هممت بالدخول وصرت على الصراط، جاءني زفير وشهيق من جهنم وأحالت دون اجتيازي، وصدفة رأيت ذلك اليهودي كجذوة نار، قد خرج من جهنم وهو يقول لي: أعطني بقية مالي، ثم لك أن تجتاز، فتوسّلت إليه وقلت له: لقد بحثت عنك كثيراً ولم أجدك حتى أدفع لك الباقي، فقال لي: كلامك صحيح، ولكن مالم تدفع بقية ديني، فإنك لن تجتاز، فبكيت وقلت له: إنني لا أملك شيئاً هنا كي أعطيك. فقال اليهودي: إذن، دعني أضع اصبعي على جزء من جسمك بدلاً عن ديني، فقبلت حتى أتخلّص منه، فوضع اصبعه على قلبي فأحسست بلهيب جهنم، فأفقت من النوم.^١

الإبتلاء بسوء الحساب في البرزخ:

ينقل لنا المرحوم العلامة المجلسي رحمه الله عن الشهيد الأول عن أحمد بن أبي الحواري أنه قال: تمنيت أن أرى ابي سليمان الداراني -الذي كان من الزهاد والعبّاد - وبعد مرور عام من وفاته، رأيت في عالم الرؤيا فقلت له: كيف كانت معاملة رب العالمين معك؟ فأجاب: يا أحمد! عندما كنت في دار الدنيا، ذات يوم مررت من الباب الصغير فلقيت و سق شبح، فأخذت منه عوداً صغيراً ولا أدري إن كنت قد نظّفت بها أسناني أم أنني رميته، فأنا

في حسابه منذ سنة الى هذه اسفاية؟؟؟^١.

نعم، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في رسالة إلى محمد بن أبي بكر مشيراً إلى هذه الحقيقة:

«واعلموا عباد الله أن الله عزّ وجلّ سائلكم عن الصغير من عملكم والكبير من عملكم»^٢.

العذاب بسبب ثمانية عشر تومانياً:

ينقل لنا الشهيد المرحوم دستغيب نقلاً عن السيد حسن بن السيد علي الاصفهاني أنه قال:

عندما توفي والدي كنت مشغولاً بتحصيل العلوم الدينية في النجف الأشرف، وتمت مراسم الدفن والعزاء بواسطة اخوتي الآخرين، ولم يكن لدي علم بذلك. ولما مضى على وفاة والدي سبعة أشهر، توفيت والدتي هي الأخرى وتمّ نقلها إلى ودفنها في النجف الأشرف.

في تلك الأوقات، وذات ليلة رأيت والدي في عالم الرؤيا وقلت له: إنما توفيت في إصفهان، وأنت الآن في النجف؟ فقال: نعم، بعد ما توفيت هناك، تمّ نقلي إلى وادي السلام، فسألته: وماذا عن والدتي؟ فقال: إنها هنا أيضاً ولكنها في مكان آخر، فعلمت أنها ليست بدرجة والدي في تلك الدنيا.

فسألته: كيف حالك هناك يا أبة؟ فقال: كنت في شدة ومحنة ولكني الآن

بحمد الله في نعمة وراحة.

١- بحار الأنوار: ٧٤/٧٧٠.

٢- بحار الأنوار: ٣٨٧/٧٤، باب ١٥، حديث ١١.

فتعجبت من ذلك وسألته: وهل مثلك يكون في شدة ومحنة؟ فأجاب: بلى، إن الحاج رضا ابن آقا بابا المشهور بـ (نعلبند) كان له عليّ مبلغاً من المال وكان يطالبني به، فلذا كنت في شدة ومحنة من ذلك.

فأفقت من النوم فرعاً ممّا رأيت وسمعت من والدي، فأسرعت وكتبت إلى أخي الذي كان وصيّ والدي ما رأيت وأوصيته بالبحث والتحقيق عمّا إذا كان هذا الشخص يطلب والدي أم لا؟ وفي جواب رسالتي بعث أخي إليّ قائلاً: لقد قمت بتفتيش جميع دفاتر والدي المرحوم، ولم أجد إسم الحاج رضا ضمن الذين يطلبونه.

فكتبت إليه مرة أخرى أن ابحث عن الحاج رضا واسأله بنفسك هل كان يطلب والدي أم لا؟ فبعث إليّ رسالةً فيها: لقد وجدت الحاج رضا وسألته، فكان جوابه: بلى، كان لي على والدك مبلغ ثمانية عشر تومانا ولم يكن يعلم بهذا سوى الله سبحانه وتعالى، وبعد وفاة المرحوم، أتيت وسألتك هل إن إسمي ضمن الذين يطلبون والدك؟ فأجبتني بلا، ولم يكن لدي ما يثبت ذلك، فتألّمت من عدم ذكر المرحوم إسمي في دفتر الدّين.

فأراد أخي أن يعطيه المبلغ، فلم يقبل الحاج رضا، وقال: لقد وهبته ذلك وأبرأته الذمّة.^١

تعالوا معي أحبّتي تتأمل و نتدبر في كلام الإمام جعفر الصادق عليه السلام ونطبّقه والذي يضمن لكم النّجاة - وقد مرّ ذكره في باب الحجّ :-

«وَأَخْرَجُ مِنْ حُقُوقِ تَلَزُّمِكَ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِينَ».

فخلص نفسك و وجودك من حقوق الناس، وأرح نفسك من هذا العبء
الثقيل في الدنيا والآخرة.

«وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى زَادِكَ وَرَاحِلَتِكَ وَأَصْحَابِكَ وَقُوَّتِكَ وَشِبَابِكَ وَمَالِكَ
مَخَافَةَ أَنْ يَصِيرُوا لَكَ عَدُوًّا وَوَبَالًا فَإِنَّ مَنْ ادَّعَى رِضَا اللَّهَ وَعَتَمَدَ عَلَى
شَيْءٍ صَيَّرَهُ عَلَيْهِ عَدُوًّا وَوَبَالًا لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ وَلَا لِأَحَدٍ إِلَّا
بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ».

زاد الحج:

إننا لا نجد كلاماً أكثر حكمة مما ذكره، فالإمام الصادق عليه السلام قد مزج
أكمل المفاهيم وأفيد التبيهات وأفضل الإرشادات في أحلى الكلمات في مجال
حياة الإنسان.

فالإمام يريد من الإنسان أن يخرج نفسه من الظلمات، وأن يزيّن نفسه بنور
الصدق والمحبة، ومعرفة الحقائق. وأن لا يكون له في الحياة مرتكزاً سوى الله
سبحانه وتعالى، واز يتجرّد من أنانية النفس، وأن يذوب بكل وجوده في بؤرة
الحقيقة.

وأن يتخلّص من الحد الدنيوي للإنسان وأن يطأ ساحل المعنوية اللامتناهي،
وأن يتذوّق طعم الفناء في الله وان يخلد ما خلّد الله سبحانه وتعالى.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في الجزء الثاني من الرواية: في هذا السفر العظيم

المعنوي لا تعتمد على زادك وراحتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن ما كسبته بتعب وجهدٍ واعتمدت عليه أن يصير لك عدوًّا وبالاً وأن تكون نتيجة تعبك وجهدك هو العذاب في الآخرة.

نعم، ان من يدعي انه راضٍ بما قسم الله له ثم يعتمد على غيره، فإن الله سبحانه وتعالى يصير ذلك عدوًّا له و وبالاً عليه حتى يبين له أن لا قوة ولا حيلة للإنسان ولا لغيره في أي شيء، إنما القوة والقدرة مختصة به سبحانه وتعالى، وأن نمضي بالاعتماد على حول الله وقوته، أما الاعتماد على غيره فكالاعتماد على السراب.

عدم الاعتماد على زاد الدنيا:

تجدد الإشارة هنا أن بالأشياء التالية التي مرّ ذكرها في كلام الإمام الصادق عليه السلام:

١ - الأصحاب والأصدقاء

٢ - القوة والقدرة

٣ - ريعان الشباب

٤ - الثروة والمال

على مرّ التاريخ، كان الكثير من الناس جلّ اعتمادهم على هذه الأشياء الأربعة، وعلى هذا الأساس فإنهم غفلوا عن الله سبحانه وتعالى، وغرقوا في بحر الهوى والنفس، بحيث أنهم لم يجدوا في عاقبة الأمر ساحل نجاة لهم يخلصهم. واستمرّوا في ذلك حتى هلكوا إلى الأبد في نهاية الأمر.

الأصحاب والأصدقاء:

إذا كان الصاحب أو الصديق شقيقاً و و تتوافر فيه الشروط الإلهية، وصحبته تزيد في الإيمان والهداية، و كانت صداقته و صحبته لله فقط لله، فالاعتماد عليه في الحقيقة هو الاعتماد على الله.

إن هكذا صديق وهكذا صحبة تطيب معها الدنيا والآخرة، والإسلام قد أوصى بهكذا صديق للإنسان، ويعبر الإسلام عن هذه الصداقة بأنها مفتاح السعادة للدنيا والآخرة.

أما اذا كان الصديق غارقاً في الهوى والنفس، والأكل والنهم، والخيالات، فإن هذا يكون سبباً لإتلاف العمر وفساد العمل والأخلاق، فالاعتماد عليه يعتبر ذنب ومعصية وصحبته فسق وكفر، وهكذا صداقة ليس فقط لا يكتب لها الاستمرار وإنما يأتي اليوم الذي يصبح فيه لك عدواً ويكون سبباً في هلاك وعذابك.

فلو قرأت تاريخ البرامكة لتبين لك ان الصداقة والصحبة التي لاتقوم على أساس إلهي كم هي خاوية وضعيفة، فقد كان البرامكة يعدون هارون الرشيد وحكومته أكبر سند لهم وعون، ولكن سيف هارون الرشيد كان لهم بالمرصاد، ففي ليلة وضحاها قضى عليهم جميعاً ولم يبق لهم أثر كأنهم لم يكونوا.

قائم مقام فراهاني رجل ذكي له تاريخه الحافل في السياسة، هذا الرجل صرف جُلّ عمره حتى يُوصلَ محمد شاه قاجار إلى عرش السلطنة في البلاد، ولكن هل تعلمون ما حدث بعد ان توجّج الأخير بالعرش؟ أتى بوزيره المحنك إلى بستان القصر وقتله بكلّ وقوة قاحة وصلافة.

كذا الميرزا تقي خان امير كبير وحتى يُوصِلَ ناصر قاجار إلى سدة الحكم تحمّل ما تحمّل وعانى ما عانى، ولكن الأخير وبمجرّد تسلّمه مقاليد الحكم، أمر وبكلّ دناءةٍ بقتله في حمام (فين) بمدينة كاشان.

وإذا أردنا أن نستعرض الأمور التي حدثت في التاريخ من هذا القبيل فإننا بحاجة إلى كتبٍ ومجلّدات كثيرة ولا يسعنا المقام هنا ذكر أكثر من هذا.

القوة والقدرة:

إذا نظرنا بعين الحقيقة والبصيرة إلى أوضاع الكون، وبالخصوص حياة الإنسان، فإننا نرى حقيقة واحدة ألا وهي أنه لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، ومالدينا من قوّة فهي من الله سبحانه وتعالى.

ويجب أن نعلم أن هذه القوّة والقدرة هي أمانة إلهية، أودعها الله سبحانه وتعالى لدينا، وأن علينا أن نستفيد منها بطريقة صحيحة وان نستعملها في طريق الحق سبحانه وتعالى وفي خدمة عباده.

وأن لا نغترّ بهذه القدرة التي اعطاها الله سبحانه وتعالى لنا، فإنّ الغرور يؤدي بنا التهلكة، فهي كشرر الصاعقة تأتي علينا وتنسفنا ولا تُبقي منا ومن حياتنا شيئاً يُذكر ولا حتّى الرماد.

إنّ جميع الظالمين على مرّ التاريخ قد احترقوا في ظلمهم وذاقوا وبال ظلمهم وبطشهم بالناس، وكان ظلمهم هذا هو العامل الأساسي لهلاكهم في الأرض.

ومن من الظالمين والجبابرة استطاعوا بقوّتهم وبطشهم أن يقفوا بوجه تقلّبات الدهر، ومن منهم استطاع ان يقاوم الأمراض المستعصية، و من منهم استطاع الصمود امام ثورات الأمم المظلومة، و من منهم وقف بوجه حادم اللذات و

مفرّق الجماعات و هو الموت؟

ريعان الشباب:

إنّ جمال الإنسان كان ولا زال للأسف السبب الأول في أغلب مراحل حياة الإنسان السبب الأول في التكبر والغرور والإعراض عن الله سبحانه وتعالى.
إنّ جمال الإنسان لا يبقى، والإنسان الجميل السعيد هو من يؤمن بأنّ جماله نعمة وأنّ الله سبحانه قد اعطاه ذلك لاختباره وامتحانه.

فقد ورد في الروايات أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة في ظل عرش الله عزوجل يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل، ورجل تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله. ورجل ذكر الله عزوجل خاليا ففاضت عيناه من خشية الله، ورجل لقي أخاه المؤمن فقال: إني لاحبك في الله عزوجل، ورجل خرج من المسجد وفي نيته أن يرجع إليه، ورجل دعت امرأة ذات جمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين»^١.

يجب ان ننظر دائماً إلى الجمال والشباب، على أنّهما مواهب الله سبحانه وتعالى، وأنّ نتبه بأن لا نحول هذه النعمة إلى نقمة، وهذه الموهبة إلى بلاء ومصيبة. الذين يستخدمون جمالهم لإغواء الناس وإغرائهم، ويهتئون الأجواء لهم لارتكاب شتى المعاصي، سيؤول بهم الدهر إلى الندم والحسرة على ما فعلوا وما فرطوا في جنب الله، بعد أن ذهب جمالهم وشبابهم أدراج الرياح.
إن ريعان الشباب كالربيع، وبلااستعانة بهداية الله سبحانه وتعالى، فإنّها تُظهر

جميع ما لدينا من مواهب، لا أن نعتبرها قوةً منفصلة وفرصة مناسبة لإتلافها ونخورها، فإنه في أيام الشيخوخة لا نحصل إلا على الندم والحسرة وعلى آلاف المتاعب والأمراض المهلكة، وفوق كل هذا، فأنت تُسائل وتُحاسب حساباً شديداً أمام محكمة الله سبحانه وتعالى عما فعلت في أيام الشباب، وأنت مطأطء الرأس ولا تجد جواباً لتقوله للخالق سبحانه وتعالى.

يا أيها المعرض عن الله، توجه إليه، فطريقك خطأ، إترك الخطأ.

ماذا تريد أن تخفي عن وجه ذي الجلال، وأنت معرض عن حضرة

الذي لا يزال.

أرشد الناس إلى كعبة التوحيد، وكن كالبوصلة في عملية إرشاد الناس.

وفي طريق الذي خلق الدارين، صر كالتراب وأهيله على الدارين.

كي لا يورث مالك وذهبك إلى الغير، أصرفه بجودك وسخائك.

الثروة والمال:

إن الاعتماد على المال والغرور بالثروة، هو عمل أناس غافلين جاهلين عن

الحقائق، الثروة هي أمانة إلهية وعلينا أن نستخدمها في طريق الوصول إلى الله

سبحانه وتعالى.

وإذا لم نستفد من الثروة والمال في طريق الله سبحانه وتعالى، فإننا سوف لا

نحصل إلا على الحسرة والندامة. والقرآن الكريم في كلماته التورانية قد بينا بين

لنا الكثير البرامج الصحيحة والطريق المهمة التي نستطيع أن نصرف الثروة والمال

فيها، والتي تؤمن لنا خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وبعد مشيئة الله سبحانه وتعالى، فقد ذكرنا شرحاً مفصلاً في باب المال والثروة في الباب الثلاثين من كتاب مصباح الشريعة والذي يختص بالحرص.

«وَأَسْتَعِدَّ إِسْتِعْدَادَ مَنْ لَا يَرْجُو الرُّجُوعَ وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ وَرَاعِ أَوْقَاتِ
فَرَائِضِ اللَّهِ وَسُنَنِ نَبِيِّهِ ﷺ وَمَا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَدَبِ وَالْإِحْتِمَالِ
وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالشَّفَقَةِ وَالسَّخَاءِ وَإِثَارِ الزَّادِ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ».

التهيؤ لسفر الحج:

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

عليك في هذا السفر ان تعدّ وضعك وتستعدّ استعداد من لا رجعة له من
السفر، فكيف إذا قيل لأحدهم بقرب أجله، فتراه يندم على ماضى ويؤدّي ما
فاته، وبالخصوص حقوق الناس، فإنه يلزم عليك أن تفعل ذلك في سفر الحجّ.
وعليك بمراعاة أوقات فرائض الله سبحانه وتعالى، وعدم الاستهزاء بها،
وأدائها في أوقاتها، فإنه لا يوجد أثوب من الفرائض الالهية، فإنك لا ترى شخصاً
قد وقّف إلا بأداء الواجبات، والانتهاة عن المحرّمات. وعليك أيضاً بمراعاة سنن
النبي ﷺ وآدابه، فإن النّجاة والسعادة في ظل التوافق مع سنن النبي ﷺ.
وعليك بتحمّل صعوبات وأذى هذا السفر، صعوبات الطريق، واذى
المسافرين، فعليك بتحمّلها لله، وعليك بالصبر والشكر والشّفقة والسّخاء وإيثار
الزّاد على دوام الأوقات.

«ثُمَّ اغْسِلْ بِمَاءِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ ذُنُوبَكَ وَالْبَسْ كِسْوَةَ الصَّادِقِ وَالصَّفَاءِ
وَالخُضُوعِ وَالخُشُوعِ».

التوبة الخالصة، شرط سفر الحج:

إنّ لديك سفرًا مهمًّا، ونتيجة هذا السفر هو الدخول في حرم الحبيب واللقاء بحضرتة المقدّسة، الدّخول إلى ذلك الحرم المعنوي، والوصول إلى قَمّة عظمة اللقاء، عمل لا يستطيع أي أحد الإتيان به. هذا السفر ونتيجته - وهو الوصول إلى مقام اللقاء به سبحانه وتعالى - يحتاج إلى مقدّمات؛ المقدمة الأولى هو التطهير بماء التوبة الخالص من الذنوب ما ظهر منها وما بطن، فعليك حقًّا بالتوبة، توبة تكون مقبولة عند الحبيب، وتوبة تطهّرك من جميع الذنوب الاخلاقية والعملية والمالية، فإذا لم تكن توبتك بهذا الشكل، فإنّك لا تستطيع الوصول إلى الحبيب، وتحرم اللقاء معه، ولا تجني من سفرك شيئاً إلاّ التعب وصراف المال.

ذهبت لطواف الكعبة فلم يسمحوا لي أن أدخل الحرم، إذ (قالوا لي): ماذا

فعلت خارج البيت كي تطمع أن تدخل فيه؟!

في هذه الأيام يُنظر إلى سفر الحجّ على انه سفر بسيط، على أنّه مجرد أداء مناسك الحجّ بشكل مريح خلال بضعة أيام ثم الرجوع إلى الوطن، ولكن ليس المقصود

من الحجّ هذا، إنّما الحجّ من وجهة نظر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبالخصوص الروايات العرفانية منها، هو بحر متلاطم من العرفان والمعنوية لا ساحل له، وهو سفر وجهته ضيافة الله سبحانه وتعالى وليس كلّ إنسان يكون مؤهلاً لذلك.

فعلى الضيف أن يراعي الشروط التي تؤهله لحضور ضيافة الله سبحانه وتعالى وإن تلك الشروط او المقدمات هي كما ذكرها الإمام الصادق عليه السلام هو غسل الفكر والنفس بماء التوبة الخالصة ولباس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع.

ويجدر بنا هنا الاشارة إلى وقائع هذا السفر ومناسكه حتى يتسنى لزوّار بيت الله الحرام أو بالأحرى زوّار صاحب البيت معرفة أين يذهبون ولم يذهبون وإلى من يذهبون.

وفي هذا المجال نذكر قصيدة رائعة مفيدة لناصر خسرو:

عاد الحجاج مقرونين بالتعظيم، شاكرين رحمة الربّ الرحيم.

وكان لي بين القافلة، صديق مخلص وعزيز وكريم.

قلت له: أخبرني إذ نجوت، في هذا السفر من المشاق والمخاوف.

أنا مسرور إذ أدبت الحج، إذ لا مثل لك في هذا الاقليم.

أخبرني! كيف راعيت، حرمة ذلك الحرم العظيم؟

حين هممت بالاحرام، ماذا نويت في ذلك؟

هل حرّمت على نفسك كاملاً، كلّ شيء هو مادون العمل العظيم؟

قال: لا، قلت: هل لبّيت، عن تعمق في العلم وتعمق في التعظيم؟

هل كنت تسمع نداء الحق وجوابه، كما كان حال الكلبي؟
قال: لا، قلت، إذ أنت في عرفات، وقفت، ونلت التقديم.
هل أصبحت عارفاً للحق ومنكراً لذاتك، هل هبَّ عليك من المعرفة نسيم؟
قال: لا، قلت، حينما توجهت، الى الحرم مثل أهل الكهف والرقيم.
هل كنت في مأمن من شرِّ نفسك، ومن الهموم المحرقة وعذاب الجحيم؟
قال: لا، قلت: وعندما رميت حصى الجمار، رميتها باتجاه الشيطان الرجيم.
هل ألقيت من نفسك خارجاً، كل عادة وفعل ذميم؟
قال: لا، قلت إذ كنت تذبجُ الخروف من أجل الأسير واليتيم.
هل رأيت أولاً قرب الحق، وقتلت بالقربان النفس الوضيع اللئيم؟
قال: لا، قلت إذ أصبحت، مطلعاً على مقام ابراهيم.
هل عن صدق و اعتقاد و يقين، جعلت نفسك للحق في حالة تسليم؟
قال: لا، قلت في وقت الطواف، إذ ركضت مهرولاً كالظليم.
هل ذكرت في الطواف كل، الملائكة التي تطوف حول العرش العظيم؟
قال: لا، قلت حين سعيت، من الصفا الى المروة على التقسيم.
هل رأيت داخل صفاء نفسك الكونين، هل فرغ قلبك من الجحيم والنعيم؟
قال: لا، قلت إنك إذ تركت، الكعبة فهل أصبح قلبك لهجرها منفطراً؟
هل الآن وقد عدت، عادت ذاتيتك ميتة كالريم.
قال: ماقلته في هذا الباب، فانا لا أميز فيه الصحيح من السقيم.
قلت: يا صديقي إذن أنت لم تحج، ولم تصبح في المقام كالمعدوم

ذهبت ورأيت مكة وعدت، واشترت محنة البادية بالدراهيم.
إذا أردت أن تحجّ بعد هذا، فاعمل مثل هذا الذي قدمت لك من تعليم.

الحجّ من وجهة نظر زين العابدين عليه السلام:

ينقل لنا المحدثّ الخبير، المرحوم الحاج ميرزا حسين النوري في كتاب مستدرك الوسائل حديثاً مهماً عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يوضح فيها الحجّ الحقيقي وماهية المناسك، فهي ترشد الكثير من زوّار بيت الله سبحانه وتعالى إلى كثير من حقائق الحجّ.

وبالنظر إلى هذه الرواية، فإنه يتعيّن على كل زائر لبيت الله الحرام ان يغسل ذنوبه بماء التوبة الخالصة وأن يلبس كسوة الصّدق والصفاء والخضوع والخشوع.

كان القائد الكبير الرابع للشيعة، وزين الوجود، زين العابدين، الإمام السجّاد عليه السلام بعد إكمال مراسم الحجّ عائداً إلى المدينة، فاستقبل رجل اسمه شبلي مولانا قدوة العارفين وإمام الموقنين وبعد السلام، سأله الإمام عليه السلام قائلاً:

«حَجَّجْتَ يَا شَبْلِي؟»

قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ

فَقَالَ عليه السلام: أَنْزَلْتَ الْمِيقَاتَ وَتَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ وَاغْتَسَلْتَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَحِينَ نَزَلْتَ الْمِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ خَلَعْتَ ثَوْبَ الْمَعْصِيَةِ وَلَبِسْتَ

ثَوْبَ الطَّاعَةِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ ثِيَابِكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَجَرَّدْتَ مِنَ الرِّبَاءِ وَالنَّفَاقِ وَالذُّخُولِ فِي الشُّبُهَاتِ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ اغْتَسَلْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ اغْتَسَلْتَ مِنَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا نَزَلَتْ الْمِيقَاتُ وَلَا تَجَرَّدْتَ عَنْ مَخِيطِ الثِّيَابِ وَلَا اغْتَسَلْتَ ثُمَّ قَالَ: تَنْظَفُ وَأَحْرَمْتَ وَعَقَدْتَ بِالْحَجِّ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَحِينَ تَنْظَفُ وَأَحْرَمْتَ وَعَقَدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَنْظَفُ بِنُورَةِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ تَعَالَى؟
قَالَ: لَا.

قَالَ فَحِينَ أَحْرَمْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَّمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ مُحَرَّمٍ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ فَحِينَ عَقَدْتَ الْحَجَّ نَوَيْتَ أَنَّكَ قَدْ حَلَلْتَ كُلَّ عَقْدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ لَهُ ﷺ: مَا تَنْظَفُ وَلَا أَحْرَمْتَ وَلَا عَقَدْتَ الْحَجَّ. قَالَ لَهُ: أَدَخَلْتُ الْمِيقَاتَ وَصَلَّيْتُ رَكَعَتِي الْإِحْرَامِ وَلَبَّيْتُ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَحِينَ دَخَلْتَ الْمِيقَاتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ بِنَيْتِ الزِّيَارَةِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ فَحِينَ صَلَّيْتَ الرَّكْعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَى اللَّهِ بِخَيْرِ

الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَكْبَرَ حَسَنَاتِ الْعِبَادِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ لَبَّيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ نَطَقْتَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ طَاعَةٍ وَصُمْتَ

عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا دَخَلْتَ الْمِيقَاتَ وَلَا صَلَّيْتَ وَلَا لَبَّيْتَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ:

أَدَخَلْتَ الْحَرَمَ وَرَأَيْتَ الْكَعْبَةَ وَصَلَّيْتَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَحِينَ دَخَلْتَ الْحَرَمَ نَوَيْتَ أَنَّكَ حَرَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ كُلَّ غِيْبَةٍ

تَسْتَغْيِبُهَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ وَصَلْتَ مَكَّةَ نَوَيْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّكَ قَصَدْتَ اللَّهَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَا دَخَلْتَ الْحَرَمَ وَلَا رَأَيْتَ الْكَعْبَةَ وَلَا صَلَّيْتَ. ثُمَّ قَالَ:

طُفَّتْ بِالْبَيْتِ وَمَسِسَتْ الْأَرْكَانَ وَسَعَيْتُ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَحِينَ سَعَيْتَ نَوَيْتَ أَنَّكَ هَرَبْتَ إِلَى اللَّهِ وَعَرَفَ مِنْكَ

ذَلِكَ عَلَامُ الْغُيُوبِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا طُفَّتْ بِالْبَيْتِ وَلَا مَسِسَتْ الْأَرْكَانَ وَلَا سَعَيْتَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ:

صَافَحْتَ الْحَجَرَ وَوَقَفْتَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَلَّيْتَ بِهِ رَكَعَتَيْنِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَصَاحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَبِيحَةً كَادَ يُفَارِقُ الدُّنْيَا. ثُمَّ قَالَ: آوِ آوِ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ

صَافَحَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَقَدْ صَافَحَ اللَّهَ تَعَالَى، فَانظُرْ يَا مَسْكِينُ لَا تُضَيِّعْ أَجْرَ

مَا عَظَمَ حُرْمَتُهُ وَتَنَقُّضِ الْمُصَافِحَةِ بِالْمُخَالَفَةِ وَقُبْضِ الْحَرَامِ نَظِيرَ أَهْلِ

الْآثَامِ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَوَيْتَ حِينَ وَقَفْتَ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّكَ وَقَفْتَ

عَلَى كُلِّ طَاعَةٍ وَتَخَلَّفْتَ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَحِينَ صَلَّيْتَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّكَ صَلَّيْتَ بِصَلَاةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَرْغَمْتَ بِصَلَاتِكَ أَنْفَ الشَّيْطَانِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ لَهُ: فَمَا صَافَحْتَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَلَا وَقَفْتَ عِنْدَ الْمَقَامِ وَلَا صَلَّيْتَ

فِيهِ رَكَعَتَيْنِ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَهُ أَشْرَفَتْ عَلَى بَنِي زَمْرَمَ وَشَرِبْتَ مِنْ مَائِهَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: نَوَيْتَ أَنَّكَ أَشْرَفْتَ عَلَى الطَّاعَةِ وَغَضَضْتَ طَرْفَكَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَا أَشْرَفْتَ عَلَيْهَا وَلَا شَرِبْتَ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَسَعَيْتَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَمَشَيْتَ وَتَرَدَّدْتَ بَيْنَهُمَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ لَهُ: نَوَيْتَ أَنَّكَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا سَعَيْتَ وَلَا مَشَيْتَ وَلَا تَرَدَّدْتَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ. ثُمَّ قَالَ:

أَخْرَجْتَ إِلَى مَنِيٍّ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: نَوَيْتَ أَنَّكَ آمَنْتَ النَّاسَ مِنْ لِسَانِكَ وَقَلْبِكَ وَيَدِكَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا خَرَجْتَ إِلَى مَنِيٍّ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَوْقَفْتَ الْوَقْفَةَ بِعَرَفَةَ وَطَلَعْتَ

جَبَلَ الرَّحْمَةِ وَعَرَفْتَ وَاوْدِي نَمْرَةَ وَدَعَوْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْجَبَلِ

وَالْجَمْرَاتِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: هَلْ عَرَفْتَ بِمَوْقِفِكَ بِعَرَفَةَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَمْرَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ

وَعَرَفْتَ قَبْضَ اللَّهِ عَلَى صَحِيفَتِكَ وَأَطْلَاعَهُ عَلَى سَرِيرَتِكَ وَقَلْبِكَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: نَوَيْتَ بِطُلُوعِكَ جَبَلَ الرَّحْمَةِ أَنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ كُلَّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ
وَيَتَوَلَّى كُلَّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ؟

قَالَ: لَا. قَالَ فَتَوَيْتَ عِنْدَ نَيْرَةِ أَنْكَ لَا تَأْمُرُ حَتَّى تَأْتِمِرَ وَلَا تَزْجُرُ حَتَّى
تَنْزَجِرَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا وَقَفْتَ عِنْدَ الْعِلْمِ وَالنَّوْمَاتِ نَوَيْتَ أَنَّهَا شَاهِدَةٌ لَكَ عَلَى
الطَّاعَاتِ حَافِظَةٌ لَكَ مَعَ الْحَفِظَةِ بِأَمْرِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا وَقَفْتَ بِعَرَفَةَ وَلَا طَلَعْتَ جَبَلَ الرَّحْمَةِ وَلَا عَرَفْتَ نَيْرَةَ وَلَا
دَعَوْتَ وَلَا وَقَفْتَ عِنْدَ النَّوْمَاتِ. ثُمَّ قَالَ: مَرَرْتَ بَيْنَ الْعَلَمَيْنِ وَصَلَّيْتَ قَبْلَ
مُرُورِكَ رَكَعَتَيْنِ وَمَشَيْتَ بِمُزْدَلِفَةَ وَلَقَطْتَ فِيهَا الْحَصَى وَمَرَرْتَ بِالْمَشْعَرِ
الْحَرَامِ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَجِئْتَ صَلَّيْتَ رَكَعَتَيْنِ نَوَيْتَ أَنَّهَا صَلَاةُ شُكْرِ فِي لَيْلَةِ عَشْرِ تَنْفِي
كُلِّ عُسْرٍ وَتَيْسُرٍ كُلِّ يُسْرٍ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا مَشَيْتَ بَيْنَ الْعَلَمَيْنِ وَلَمْ تَعْدِلْ عَنْهُمَا يَمِينًا وَشِمَالًا نَوَيْتَ
أَنْ لَا تَعْدِلَ عَنْ دِينِ الْحَقِّ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا بِقَلْبِكَ وَلَا بِلِسَانِكَ وَلَا
بِجَوَارِحِكَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا مَشَيْتَ بِمُزْدَلِفَةَ وَلَقَطْتَ مِنْهَا الْحَصَى نَوَيْتَ أَنَّكَ رَفَعْتَ
عَنْكَ كُلَّ مَعْصِيَةٍ وَجَهْلٍ وَثَبَّتَ كُلَّ عِلْمٍ وَعَمَلٍ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا مَرَرْتَ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ نَوَيْتَ أَنَّكَ أَشْعَرْتَ قَلْبِكَ إِشْعَارَ
أَهْلِ التَّقْوَى وَالْخَوْفِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَمَا مَرَرْتَ بِالْعَلَمَيْنِ وَلَا صَلَّيْتَ رَكَعَتَيْنِ وَلَا مَشَيْتَ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَلَا
رَفَعْتَ مِنْهَا الْحَصَى وَلَا مَرَرْتَ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَصَلَّتْ مِنِّي
وَرَمَيْتَ الْجِمْرَةَ وَحَلَقْتَ رَأْسَكَ وَذَبَحْتَ هَدْيَكَ وَصَلَّيْتَ فِي مَسْجِدِ
الْخَيْفِ وَرَجَعْتَ إِلَى مَكَّةَ وَطَفَّتَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَنَوَيْتَ عِنْدَ مَا وَصَلْتَ مِنِّي وَرَمَيْتَ الْجِمَارَ أَنَّكَ بَلَغْتَ إِلَى مَطْلَبِكَ
وَقَدْ قَضَى رَبُّكَ لَكَ كُلَّ حَاجَتِكَ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا رَمَيْتَ الْجِمَارَ نَوَيْتَ أَنَّكَ رَمَيْتَ عَدُوَّكَ إِبْلِيسَ وَغَضِبْتَهُ

بِتَمَامِ حَجِّكَ النَّفْسِ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا حَلَقْتَ رَأْسَكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ تَطَهَّرْتَ مِنَ الْأَدْنَسِ وَمِنْ تَبَعِهِ

بَنِي آدَمَ وَخَرَجْتَ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا وَلَدْتِكَ أُمُّكَ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا صَلَّيْتَ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ نَوَيْتَ أَنَّكَ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ وَذَنْبَكَ وَلَا تَرْجُو إِلَّا رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى؟
قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا ذَبَحْتَ هَدْيَكَ نَوَيْتَ أَنَّكَ ذَبَحْتَ حَنْجَرَةَ الطَّمَعِ بِمَا
تَمَسَّكَتَ بِهِ مِنْ حَقِيقَةِ الْوَرَعِ وَأَنَّكَ اتَّبَعْتَ سُنَّةَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِذَبْحِ وَلَدِهِ
وَثَمَرَةِ فُؤَادِهِ وَرِيحَانِ قَلْبِهِ وَحَاجَّةِ سُنَّتِهِ لِمَنْ بَعْدَهُ وَقَرَبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
لِمَنْ خَلْفَهُ؟
قَالَ: لَا.

قَالَ: فَعِنْدَ مَا رَجَعْتَ إِلَى مَكَّةَ وَطُفْتَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ نَوَيْتَ أَنَّكَ أَفْضَتَ
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَجَعْتَ إِلَى طَاعَتِهِ وَتَمَسَّكَتَ بِوُدِّهِ وَأَدَّيْتَ فَرَائِضَهُ
وَتَقَرَّبْتَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟
قَالَ: لَا.

قَالَ لَهُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام: «فَمَا وَصَلْتَ مِنِّي وَلَا رَمَيْتَ الْجِمَارَ
وَلَا حَلَقْتَ رَأْسَكَ وَلَا أَدَّيْتَ نُسُكَكَ وَلَا مَسَّجِدِ الْخَيْفِ وَلَا
طُفْتَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ وَلَا تَقَرَّبْتَ. ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَحُجَّ فَطَفِقَ
السُّبُلِيُّ يَبْكِي عَلَى مَا فَرَطَهُ فِي حَجِّهِ وَمَا زَالَ يَتَعَلَّمُ حَتَّى حَجَّ
مِنْ قَابِلٍ بِمَعْرِفَةٍ وَيَقِينٍ!»^١

نعم، هنالك الحرم الآمن، وحريم الله سبحانه وتعالى، وجوهر الروحانية، ومهبط الملائكة ومنبع الهداية، ومشعل النور، وهل يدخلون أي احد من غيره هنالك. او ان يصل إلى ذلك المقام والمحل، إن ذلك المكان هو للطاهرين والصالحين ومرجع الأولياء ومعتمد الطيبين ومكان دخول الطاهرين.

ذلك المكان من وجهة نظر العرفان، هو قَمّة الحقيقة والمعرفة، وأعلى مرتبة الصدق والصفاء، فالعارفين ينظرون ببصيرتهم بقلق إلى جمال المحبوب الطاهر، ولسان حالهم أمام الله الواحد سبحانه وتعالى ككلام العارف الكبير الحاج السبزواري الذي يقول:

روحي وقلبي فداء لحضرة المحبوب، وليس لأجل استجداء
المحبوب.

أريد في كل نفس ألف عام، كي أنثره تحت قدم حضرة المحبوب.

فتواب الفناء هو الوجود، افنى في هواى حضرة المحبوب.

أذا أصبح وجودنا فناء، فقل الباقي الدائم هو الله.

فالكل سوف يضحى بالدين والقلب والوجود، كل من ابتلي
بمعشق المحبوب.

بع الخلد والكوثر بجرعة، ولا تختربديلاً عن حضرة المحبوب.

الكعبة في مرآة القرآن الكريم:

نقرأ في كتاب الله العظيم هذه الآية:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^١.

إنّ تقييم عظمة وأهميّة البرامج الإسلامية ودورها في إقامة نظام حكم عادل في المجتمع الإنساني لهو في ظل القواعد والقوانين الإلهية التي تبينها آيات القرآن المجيد وروايات السنّة النبوية الشريفة المعتبرة.

ويمكننا أن نصل إلى حقيقة أن العمل بالقوانين الإلهية وما يعود به على المجتمع الإنساني من خير، إنّما يشير حقاً إلى أصالة وحقيقة القوانين الإسلامية في جميع جوانب الحياة.

فالقرآن الكريم يحوي على كليات المسائل الإسلامية أمّا الروايات الشريفة فهي تفسّر وتشرح الكليات.

إنّ العمل بالقوانين والبرامج الإلهية يؤمّن للإنسان حقوقه في جميع مراحل الحياة، وكذا سعادته في الدنيا الآخرة.

فقد قرأنا في الآية السابقة: إنّ اول بيت وضع للناس للعبادة، هو بيت في مكة المكرمة، الذي هو مركز الخير والبركة وهدى للعالمين.

نعم، إن هدف جعل ذلك البيت في مدينة مكة المكرمة وفي وسط المسجد الحرام لهو لأداء مناسك العبودية لله سبحانه وتعالى، ولإبقاء البشرية على اتصال دائم بذلك المكان العظيم كي يصلوا إلى مقام القرب الإلهي ويتخلّصوا من جميع العلائق والروابط الغير صحيحة، وان يتفضوا ضد هوى النفس وكلّ معبودٍ سواه سبحانه وتعالى، وأن يصبّوا جميع اهتمامهم إلى المولى الحقّ سبحانه وتعالى.

طوبى لقلب عشقه من أعماقه، وهنيئاً لروحٍ عشقت مثلك.

وهنيئاً لبيتٍ انت ضيفها، وعزيز بلد انت سلطانه.

فكل قلب هو حيّ بعشقتك، وهل يموت عاشق أنت روحه؟
 فكل من رآك ولم يعشقتك، فهو في الحقيقة حيوان ليس بإنسان.
 ففي حياتي كلها إن نمت لحظة دون التفكير بك، فإن تلك اللحظة
 صعبة علي.

ولو أشرق نور وجهك لحظة على العالم، فإن كل شيء فيه يصبح
 مضيئاً.

وإن أحرقتني جمال وجهك، فتحت تلك النار هو بستان لي.
 في اليوم الآخر؛ سأصل إلى لذة قربك، فليل هجرانك لا نهاية له.^١

العلامم البيّنة للكعبة:

وضع الله سبحانه وتعالى في الكعبة علامات واضحة، كمقام إبراهيم عليه السلام
 فالذي يصل إلى ذلك المقام يكون في حرم الله الآمن، وعلى العباد السعي إلى
 هنالك وأداء المناسك طبق ما أوصى به الله سبحانه وتعالى وبكل خلوص
 ومعرفة، إن استطاعوا إليه سبيلاً، والذي تكون لديه الاستطاعة ويعصي الله
 بالتكاسل عن الحج، فإن الله الذي لا شريك له غني عن العالمين.

نعم، إن غاية الله سبحانه وتعالى من جعل ذلك البيت في مكة المكرمة، إنما
 هو لأداء مراسم العبادة والعبودية لله الواحد بشكل خاص من البشر، ويستطيع
 المؤمنون وطلاب الحق واهل العشق من خلالها الوصول إلى العبودية الحقيقية
 لله، وبأداء مناسك الحج، يستطيعون عبادته بإخلاص أمام حضرة الحبيب سبحانه

وتعالى. وإننا على مرّ تاريخ البشرية، نرى أنه من أراد سلامة الدارين، والسعادة في جميع جوانب الحياة، فإنما عليه فهم و ادراك التوحيد والاهتمام بالشؤون الإلهية، وهل هنالك طريق يجلب الخير والسعادة للإنسان غير طريق معرفة الله سبحانه وتعالى ومراعاة القوانين الواجبة التي تحفظ كيان الإنسان والإنسانية! إن الكعبة وشؤونها لهو طريق لإظهار عمق التوحيد ولنيل الفضائل الإنسانية والأخلاق الإلهية عن طريق أداء مناسكها.

انزلوا إلى ذلك الوادي واطخوا إلى ذلك الحرم بكل عشق، وكونوا بكل عرفانٍ في ذلك المكان الذي هو مسجد الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام، ولسان حالك:

يا راحة الروح إنّي لا أطيق بُعدك، فتعال أيها المحبوب كي أفديك.
ولا أقصد إنك من أجل روحي، بل دع روحي في أمل لقائك.
دعني أموت شوقاً لرؤيتك، فإلى متى أعيش دون رؤيتك البهية.
فلنقل اني لم اتكلم عن لطفك الذي تحدثت عنه، فإلى متى يثنُّ هذا
المتعجب في حضرتي.^١

الكعبة، مركز البركات والهداية:

﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^٢.

في ذلك اليوم الذي جاء إبراهيم عليه السلام - بطل التوحيد والعرفان - بزوجه هاجر

١- فخر الدين عراقي.

٢- آل عمران ٣: ٩٦.

و ابنه إسماعيل إلى أرض مكة المكرمة، لم يكن هنالك قطرة ماء أو أي زرع في تلك المنطقة، كما أخبرنا القرآن الكريم بذلك:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^١.

ونظراً لبركة ذلك المكان، وإستجابة الله سبحانه وتعالى دعاء إبراهيم عليه السلام في السفر إليه، فإنك ترى الملايين من البشر يأتون إليه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى بركة هذا البيت في أنه يستهوي قلوب آلاف الناس إليه ويغيرها، ويطهرها من الدنس، ويرشد آلاف المذنبين إلى طريق التوبة.

إن الغاية من جعل البيت الحرام مركزاً للهداية، هو أن المسلمين في ذلك المكان والمسجد الحرام يمكنهم أن ينالوا خير الدنيا والآخرة ويصلون إلى مقام القرب الإلهي ورضا الله سبحانه وتعالى، بشرط أداء مناسك الحج بصورة صحيحة فقط.

ومن البديهي أن من وقت ابتداء بناء الكعبة الشريفة والتي تزامن مع بدء حياة البشر في هذه الكرة الأرضية، كانت الكعبة مبدأ ومنبع انتشار النور والبركة، ومركز هداية العباد، ودليلهم إلى الحقائق السامية، وهنالك نزل القرآن الكريم لهداية البشر والأخذ بيده إلى ساحل النجاة، وإيجاد التغيير في جميع جوانب حياته، وفتح لهم طريق البصيرة الواسع، بوسعة ظاهر وباطن الكون.

الكعبة، نعم الكعبة، ذلك المركز الذي فيه ومن بركة وهداية تلك المناسك السامية يتحقق الحج، وبالتأمل في المناسك؛ أسرارها، فإن الإنسان يتعد عن الشرك، والزندقة، والنفاق وان يصبح ذا وجهين، ويتخلص من العصبية، والتكبر، والذلة، وجميع الخطايا الأخرى، ويتقرب ويصل إلى جميع مراتب الهداية إن أراد.

الكعبة، تعلم الإنسان أن يصبح عبداً طاهراً خالياً من الشوائب، محبوباً لله سبحانه وتعالى، والكعبة تعلم المجتمع الإسلامي أنه في جميع مراحل الحياة يجب ان تكون له كلمة واحدة، ويدرس أهل الاستطاعة ان يستفيدوا من إمكانياتهم المالية والجسمية ويسعوا في طريق إعلاء كلمة الحق، وان يجيبوا نداء المظلومين والفقراء والمساكين، وفي كل عام ومع تشكيل هذا الاجتماع العظيم للمسلمين، اسعوا في قضاء حوائج ومشكلات العالم الإسلامي وأن تفكروا الأسراء من الأسر، وان توجدوا ضماناً لحفظ الاستقلال المادي والمعنوي للأمة الإسلامية.

تعلمنا الكعبة، درس المحبة والصدقة، ودرس الأخوة، ودرس العدل والمساواة، والألفة.

الكعبة، ومن خلال شعاع العظمة والعرفان التي تملكها، فإنها ترشد المسلمين إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكذلك تعلم غير المسلمين طريق الوحدة والاتحاد ويقول لهم: من أجل رفع المشكلات الاجتماعية، فإنكم تحتاجون إلى مجتمع سالم وطاهر.

﴿هُدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾

الحجّ من وجهة نظر أمير المؤمنين عليه السلام:

يقول أمير المؤمنين، وإمام العارفين، ومولى الموحّدين، في نهاية الخطبة الأولى من نهج البلاغة:

«فرض عليكم حجّ بيته الذي جعله قبله للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألّهون إليه ولوه الحمام، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزّته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه للإسلام علماً، وللعائدين حرماً، فرض حجّه وأوجب حقّه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^١.

عظمة الكعبة:

يقول شارح كتاب (ترجمة وتفسير نهج البلاغة) في توضيح أوامر إمام العاشقين عليه السلام^٢:

١- نهج البلاغة: الخطبة الأولى، وسائل الشيعة: ١٥/١١، باب ١، حديث ١٤١٢٧، بحار الأنوار:

١٥/٩٦، باب ٢، حديث ٥٣.

٢- ترجمة وتفسير نهج البلاغة ٢/٢٢٤.

إن حج بيت الله الحرام والمناسك التي يجب أن تؤدي في أقدس معبد إلهي،
لهي مفيدة وبناءة للفرد والمجتمع بدرجة حتى لا يمكن وصفها مع الأمور
العادية، بحيث نستطيع أن نقول:

إذا وفق الإنسان إلى ذلك العمل البناء، ولم يغير فيه شيئاً، ولم يمض نحو
التكامل، فمن المؤكد أنه لم يكن يعلم ماهية وحكمة الحج، أو أن الغرائز
الحيوانية والأناية كانت طاغية عليه بحيث لو أنه رأى الحق والحقائق بأمر عينيه
لما كان ذلك كفيلاً بالانجذاب نحو الحق والحقيقة.

ولأجل توضيح مقدار من عظمة حج بيت الله الحرام، هذا العمل الذي يحول
كيان الإنسان ويهديه نحو التكامل، نذكر عدة مطالب:

الكعبة، أول معبد إلهي:

١- مما لا شك فيه، أنه في جميع المجتمعات وعلى مر الأزمنة، خصوصاً في
المجتمعات التي كان فيها الأنبياء ﷺ والموحدون، كانت هنالك أهمية خاصة
للعبادة والتفكير.

وفي الحقيقة، كانت هذه المعابد مرصداً لرؤية اللامتناهي، وإيجاد رابطة بين
اللامتناهي الكبير (الله سبحانه وتعالى)، واللامتناهي الصغير (الإنسان).

في هذه المراصد والتي يواجهون أنفسهم دون واسطة، وكذا الأمواج
المقدسة لأنفسهم، فإنهم يعبدون الله سبحانه وتعالى.

وإنك لا تجد أي تغيير في بناء الأماكن والمسكن التي صنعها الإنسان، سوى
المعابد فإنها بدأت بلبنة طين، ثم استمرت وتبدلت إلى روح وجسم شفاف
يعكس الأنوار الإلهية في القلوب.

إن هذه المعابد كالعيون الصافية، في وسط الصخور والصحاري المشتعلة للحياة الحيوانية للإنسان، فإنها تغسل البشر فيها وتنعش الروح.
بيت الله الحرام وتسمى مكة المكرمة أيضاً، هو أول معبد عالمي للبشر، بناه بيديه إبراهيم الخليل عليه السلام.

وإن ثاني بيت، بُني كمعبد، هو مسجد الأقصى على يد نبي الله سليمان عليه السلام سنة ١٠٠٥ قبل الميلاد، أي بعد عدة قرون من تاريخ بناء الكعبة. بالطبع كانت هنالك معابد كثيرة أخرى قبل بيت الله الحرام والمسجد الأقصى، وذلك كما قال بعض علماء الإنسان:

إن تاريخ المعابد مساوٍ لتاريخ البشر، بالخصوص هذين المعبدين لأنهما لعموم البشر وليسا لقوم أو عرقٍ خاص.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام حول أن الكعبة هو أول معبد إلهي جاء: سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام: هل ان الكعبة هو أول بيت لله؟ فأجاب عليه السلام: كلا، هنالك كانت بيوت للعبادة قبل الكعبة، ولكن الكعبة هو أول بيت مبارك، وهو بيت هداية ورحمة وبركة، وأول من بناه هو إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم أعادوا بناءه قبيلة جرهم من قبائل العرب، فمُجددٌ وشُيد بناءه مرة أخرى.

الموقع الجغرافي للكعبة:

٢- ان الكعبة واقعة في مكان صحراوي خال من المناظر الطبيعية الجميلة، كصخرة وسط محيط من الرمال والحصى والمناظر المخيفة التي لا تعطيك مجالاً ووقتاً لكي تفكر في ضرورات الحياة العادية.

هنالك حكمة بالغة في جعل الكعبة في هذا المكان المتعب والبعيد حتى

يخرج الانسان من ملذات الراحة والدنيا ولا يكون لديه هدف سوى أداء التكليف والمناسك.

وليس للعوامل الطبيعية والنفسية والاجتماعية أثر على أداء مناسك حج بيت الحرام، وفي ذلك الجهاد، الإنسان سوف يلتقي الله سبحانه وتعالى. ولو فهم الإنسان هذا الأمر في السفر الإلهي، سوف يصل إلى مكان حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت، وسوف يصرخ كل وجوده يريد لقاء الحبيب. لم أبال بأي شيء من العالم إلا بالمحبيب، فنعيم الدنيا والآخرة فيك أيها المحبوب.

فيعرضون علينا مراد الدارين، والقلب من بين الجمع يريد المحبوب. ونصل إلى درجة من الاتحاد معه، إذا لا يبقى فرق بيننا وبين المحبوب. فظف أيها القلب حول الكعبة فهو بيته، ولا يوجد المحبوب في كل مكان تفترضه.^١

العزلة في الحج:

٣- إحساس العزلة، هو أروع حكمة جعلها الله سبحانه وتعالى في حج بيته، والذي هو من أعلى مفاهيم الإنسانية. هنالك العالم والجاهل، الكبير والصغير، المرأة والرجل، الأسود والأبيض، من يملك مقاماً مرموقاً في المجتمع ومن لا يملك، الكل والكل يرتدون قطعتي لباس أبيض وبكل حماس يهرولون ويلبّون.

إن تضاد البشر واختلافهم هي التي ميّزتهم فيما بينهم - فترى كل واحد منهم يقف كالذئب تجاه الآخر ويريد ان يتصارع معه وينهشه - قد بُدلت بفضل الحج إلى وحدة قلماً تراها إلا في أشعار وكلام المبلّغين للمثل العليا الإنسانية.

إذا استمر هذا الإحساس وركّز معلمي المجتمعات في تعليمهم عليها وأخذوها بنظرة الجدّ، فإننا سوف نرى عاجلاً زوال جميع الأمراض البشرية عن الإنسان والمجتمعات والتي تنوّعت بمرور الأيام.

الكعبة، مظهر تجلّي الله سبحانه وتعالى:

٤- في هذا العمل البناء الهائل، فإنّ إثارة النفس ذلك الشيء الإنساني الفتاك، فإنّه يُقضى عليه، ويكون جو الإنسان من الداخل نقياً لتجلي الله سبحانه وتعالى.

إنّ الروح في هذا العمل يقوم بكسر السلاسل الغليظة التي تكبل الإنسان والمجتمع وكذا في رغباته الطبيعية، ويريه قدرته على الارتفاع نحو الحياة الأبدية في الأفق الأعلى.

في ذلك الحريم المقدس، فإنهم يدركون ان لا شيء في هذا العالم له استقلال ويعتمد عليه، ويفهمون حقيقة ان فراغ الروح لا يملئها سوى عشق ومحبة وطاعة الله سبحانه وتعالى، ويؤمنون بأنه هو كل شيء وما سواه لا يتعدّد خيال الشمس، وان المنطلق الوحيد لصعود الإنسان هو نقطة الاتصال بالله سبحانه وتعالى.

وكما قال ، صاحب الكلام العذب، هماي شيرازي:

الذين خيّموا في وادي الفناء، شربوا من كأس الفناء والبقاء.

لا يخافون من الفناء ولا يفرحون بالبقاء، فكلهم أعرضوا عن الفناء والبقاء.

فهم حمام عش القدسية وعاقبتهم، أن يخيموا عند المحبوب.
 فهم يساؤون مائة ألف ملك قدسي، عندما يذكرون الله لحظة.
 ولا تستحقر هؤلاء القوم فإنهم، يسيرون على التراب وأقدامهم في
 الملكوت.

أذا أصبحت شهيداً بسيف المحبوب، فإن حور العين في الخلد يهتفن مرحباً
 بقدمك.

الكعبة والمعاملة بين الناس:

٥- في ذلك الاجتماع الإلهي، فإن أفراد المجتمعات المختلفة والذين يأتون
 من شتى بقاع الدنيا، يستطيعون ان يحيطوا علماً بآلامهم وأحزانهم.
 وكذلك يخبر أحدهم الآخر بالحوادث والاشياء التي مرت بهم خلال السنة،
 ويطلعون على مشكلات وحاجات الآخرين، ويفكرون في مستقبلهم،
 ويتدارسون طرق التكامل وعوامل النجاح، و يقوون روابطهم فيما بينهم حتى
 يصبحوا كالأسرة الواحدة.

الكعبة ومناسك الحج:

٦- إن كل عمل من مناسك الحج، هو عامل مستقل لإثراء بُعد من أبعاد
 شخصية الإنسان، وخلال عدة أيام، تتغير شخصيته الحيوانية إلى شخصية
 الإنسان، ثم الإنسان إلى كائن إلهي.

إن قطعتي الإحرام البيضاء، تبيّن للإنسان أن كل لباس فاخر وغيره إنما
 هو لباس مؤقت، وكذا تحث الإنسان وتثبت له من خلال هاتين القطعتين، ان لا
 يفرط بالحياة الأبدية من أجل حياة عابرة.

عندما ينادي الإنسان (لبيك اللهم لبيك)، فإنه بالحقيقة تزول لديه عُقد الحقدارة التي كانت قد أشغلته كثيراً، ويلمس قيمة وعظمة وجوده، وذلك لأنه عندما ينادي (لبيك) فإنه بالحقيقة إنما يلبي الدعوة الإلهية الموجهة إليه.

فالإنسان بندائه لهذا الذكر الروحاني البناء، يدرك ويفهم علاقته بالله سبحانه وتعالى الذي دعاه إليه.

وعليه، فإن هذا الكائن الصغير لديه الاستحقاق للإتصال بذلك اللامتناهي الكبير والذي ألقى في سمعه: أن هلم إلي هلم أياً كنت.

في الحقيقة، فإن الإنسان بطوافه حول بيت الله والذي هو في الظاهر عبارة عن عدة أحجار قد صُفّت فوق بعض، يلمس شفافية باب وحائط عالم الطبيعة والتي غطّتها ستائر الكيفية والكمية، ويُدرك خشونة وقوة هذه الأحجار سوف تزول في مقابل مرونة ومراحة روحه، وستكون كالمرصد تراقب انجذابه إلى ساحة الربوبية.

إن صلاة ركعتين في مقام إبراهيم عليه السلام، توصلنا إلى حقيقة عظيمة وهي هذا المعبد الكبير الذي بُني على الأرض والذي يقف فيه أكمل الناس ويرتبطون بالله سبحانه وتعالى، إنما هو للجميع على حدّ سواء.

أيّ حكمة لا توصف هنا، في السعي بين الصفا والمروة، والتي تقول:

إذا كنت إنساناً، فاسع، وتحرك، لا تبقى راكداً في مكانك، فإن العنصر الدائم لروح الإنسان إنما هو المثابرة والجهاد.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾!

وعليه، فإن كل عمل من أعمال مناسك الحج، إنما تُثري وتنمي عنصراً من العناصر البناءة للإنسان وتوصلها إلى الفعل.

على كل حال، فإن لسان حال جميع الأعمال العبادية وترك جميع المعاصي: أيها الإنسان، إن طريق التوبة مفتوح لك لكي تصل إلى مقام القرب الإلهي، وأذا لم تتجه إلى هذا الصراط المستقيم الإلهي فإنك لا تصل إلى شيء، وسوف تكون جميع طاقاتك الإلهية كامنة، وبدون العبادة، فإنه لا يبقى من وجودك سوى حيوان منحط في الدنيا، ومستحق للعذاب في الآخرة.

وكما قال العارف عماد فقيه:

في واديك لا نستطيع إلا ان نكون حافين، ولا نستطيع ان نجمع بين
حبك والرياء.

حتى وإن كانت الروح عزيزة لدينا ولكن، نستطيع ان نفرق عنها ولكن
فراقك مستحيل صعب.

كل العالم شهد لك بالجمال، لا نستطيع إنكار قدرته العظيمة.
لا أستطيع أن انفع أو أضر نفسي إن أنت، أغرقتني في بحر القضاء فأنا
راض.

نعم، لقد أصبح قلبي فانياً من هجرك، لا نستطيع البقاء دون وصالك
وقربك.

الإتصال مع القرآن الكريم في سفر الحج:

القرآن المجيد، هو في قمة جميع البرامج الإلهية، ولا يصل الإنسان إلى شيء
دون فهم القرآن الكريم والعمل بهذا الكتاب السماوي العظيم.

في هذ السفر المفيد لتصفية الروح وتزكية النفس، هنالك توصيات من جانب أولياء الله بقراءة القرآن الكريم وفهمه والعمل بأوامره الواردة في هذا الكتاب المجيد المؤدّي إلى السعادة، وإن الغاية والهدف من نزول القرآن الكريم هو فهمه والعمل بحقائقه.

وفي حالة فهم القرآن الكريم والعمل بهذا الكتاب، فإننا ننال خير الدنيا والآخرة.

يتعيّن على المسلمين الاستعانة بالعقل والتفكير لفهم القرآن الكريم والسعي بكل شوق لتطبيق برامجّه، وخاصة الاجتناب عن المعاصي في هذا المسير العظيم للحياة، لانه المعصية، تجلب سواده للقلب تكون مانعة لفهم القرآن الكريم وسبباً لعدم توفيق الإنسان في العمل بكتاب الله سبحانه وتعالى.

لا يوجد أمر أو شيء في القرآن الكريم إلا وتراه ذا منفعة دنيوية واخروية للإنسان، ولا ترى أمراً في هذا الكتاب، إلا وقد ضمن الحقوق الطبيعية والروحية للإنسان في إطار الفرد والمجتمع.

وفي قراءة لتاريخ صدر الإسلام الأول، نرى ان فترة العمل بالأمور الإلهية، هي فترة النور، وفترة النصر، وفترة الفتح والغلبة، والمعنوية، وفترة الافضلية وارتفاع راية أهل القرآن الكريم على سائر الملل والأمم.

ومن وقت تركت الأمة الإسلامية العمل بالقرآن الكريم، بدأت فترة الظلمة والذلة والمسكنة للمسلمين.

ولعلّ البعض لا يكأف نفسه مطالعة تاريخ المسلمين ويدرك متى كان يوم عزهم ومتى كان يوم ذلهم، لذا علينا ان نطلب منهم ان يروا الوجه الفعلي لحياة الامة الاسلامية، وان يعوا أمراً هو ان الأمة الإسلامية الآن هي الثانية في العالم من

ناحية السكان، وهي أمة ليست صغيرة من ناحية القوة البشرية، فأما من ناحية الموارد الطبيعية كالنفط والذهب وسائر المعادن الأخرى فإنها أغنى الأمم، وأما من جهة المدرسة التربوية والحقوقية، فإنهم في المقدمة لوجود القرآن الكريم والفقهاء الشامل، ولكن مع كل هذا نراها في غمرة من المشاكل المتعددة، والفقير يدفع بهم من كل جوانب الحياة، والاختلاف ظاهر فيهم، وجميع طوائف المسلمين يرزحون تحت وطأة الاستعمار والمستعمرين، ويطلبون من الأجنبي سد حاجاتهم ويمدون إليه يد الحاجة والتسول.

أما في صدر الإسلام، تلك اللحظة المشرقة التي نزلت فيها أول آية من القرآن الكريم في الحرم المقدس للكعبة بجوار غار حراء على الرسول الأكرم ﷺ، كان الناس يعيشون في الأرض فساداً في جميع مراحل حياتهم.

الانحراف في أمور الحياة، ضعف العقيدة، سوء الخلق، عدم تنظيم شؤون الأسرة، الفسق في العمل، التلوث وعدم النقاء في الأمور النفسية، تفسخ النظام الاجتماعي للعائلة، كل ذلك كان موجوداً في ذلك الزمان.

إن عدم وجود نظام أخلاقي، ووجود الظلم والقسوة، القتل والغارات والاعتصاب، وأسر الناس لإشباع الغرائز الحيوانية، عدم الإقبال على العلم والتعلم، النفاق، عدم وجود العفة، السرقة، المقامرة وشرب الخمر، كل هذه الأمور كان على الإنسان أن يواجهها في ذلك الزمان.

في ذلك الزمان كانت الأمة العربية من أفسد الأمم، وكانت حياتهم مخزية أكثر من غيرهم من الأمم، وتخلّفهم كان أبشع من جميع الأمم.

في جميع المناطق العربية، كان أهالي مكة من أفسدهم، وأبشعهم، وأعجزهم.

ولكن القرآن الكريم عالج هذه المفاسد تدريجياً، وجعل من أولئك الناس البؤساء في زمن النزول، إلى أناس سعداء، علماء، شرفاء ونختصرها في كلمة واحده جعلهم كشجرة طيبة.

الناس البؤساء، آكلو السحالي والجراد، الغافلين الجاهلين، عندما توجّهوا صوب القرآن الكريم والعمل به تحوّلوا إلى أكبر قدرة في العالم وأوصلوا نداء العلم والفضيلة إلى العالم كله، ونشروا نور العلم والفضيلة في جميع نواحي الحياة، وكل هذا هو من فضل تلبية ذلك النداء السماوي.

ذلك النداء، نعم ذلك النداء الذي يعني الوحي والقوانين الإلهية التي تعم جميع زوايا الحياة، وفي ظل نشرها والعمل بها، فإنّ الإنسان وصل إلى السعادة والرشد والكمال والحظ والمجد والعظمة، عندما فقد حدث التغيير في اعماق وجود الناس في صدر الاسلام وصنع منهم امة رشيدة ويقظة.

فارتفع هذا النداء من مكة المكرمة، فهبط الوحي الأمين على الرسول الأمين بأمره بإنقاذ البشرية من مخالب الشيطان والشيطانيين وكل المعبودات الباطلة الأخرى والطواغيت، وذلك بواسطة القرآن الكريم.

نعم، مكة هي مهبط الوحي والنور والفضيلة والسيادة، وهي بمناسكها ونزول القرآن فيها هداية للعالمين.

الحجّ هو لتزكية النفس، وتنوير القلب وتنظيف صدأ الروح والجسم، واذا رجع الملوّث بالذنوب من مكة ولم يطهّر منها، فكأنّما لم يحجّ.

وفي حرم مكة المكرمة طُلب من القائد الأعلى للمسلمين، وبالاستعانة بالقرآن الكريم أن يوجد ثورة في جميع جوانب الحياة، ثورةً توصل الإنسان إلى جميع الأهداف الإلهية.

كان الناس في زمن الرسول الكريم ﷺ وببركة القرآن الكريم ذي اعتقاد راسخ به الحقائق، وذي إرادة ثابتة، وعزم صلب، وأفكار مضيئة، وأعمال لائقة، واتحاد لم يسبق له مثيل، وقوة تفوق كل القوى، علم ممزوج بالتربية الإلهية، وبصيرة بوسعة وجود الإنسان والعالم، وعقل رشيد، وطريق مستقيم، ورؤية كاملة، ولديهم برامج سامية في جميع شؤونات الحياة، وكل هذه الأشياء إنما أنت من كنز القرآن الكريم، ولكن للأسف، فإن المسلمين اليوم لديهم القرآن الكريم، وكذلك آلاف الموارد والثروات الطبيعية، ولكنهم مع ذلك أذلاء للأجانب والمستعمرين، أليس هذا بسبب البعد عن القرآن الكريم؟

عظمة وثواب الحج:

الحجّ هو عمل إذا أداه الإنسان بصورة واقعية، فإنه يظهر من شوائب الباطن وخطايا الظاهر.

نعم، فإن الإنسان عندما يؤدي مناسك الحجّ في هذا السفر الروحي، فإنه يندم على مافاتة، ويرى مستقبلاً مشرقاً لرؤية قلبه.

مع أداء هكذا مناسك، فإن الإنسان سوف لا يعرض عن الله سبحانه وتعالى ولا يتوقف في السير على طريق الله، وإنّ عناية الله ورحمته ولطفه تشمل حقاً هكذا زائر لبيته.

يقول إمام العارفين أمير المؤمنين عليه السلام في آخر لحظات عمره الشريف موصياً أولاده:

«...الله الله في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا. وأدنى ما يرجع به من أمه أن يفر له ما سلف...»^١.

وقد روى أبان بن عثمان عمّن أخبره قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: «لم سمي الحج حجاً؟ قال: حج فلان أي أفلح فلان»^٢.

نعم، فالذي يتشرف بزيارة البيت في الظاهر، وصاحب البيت في الباطن، فإنه قد أفلح، وأي شيء أعظم للإنسان في جميع حياته من أن يسمح الرب الكبير للعالم له بالدخول إلى حريم قدسه، وأن يجعل قلبه مهبطاً لأنواره، ويصقل قلبه ويجعلها كالمرآة له، حتى يغلي من سويداء قلبه العشق، ويطوف هذا الجرم الصغير، في مدار الأزلي الأبدي سبحانه وتعالى، ويمد يديه للغني العزيز.

يقول رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله:

«من مات و لم يحجّ فليمت إن شاء يهودياً و إن شاء نصرانياً»^٣.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من مات و لم يحجّ حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطان يمنعه منه

١- نهج البلاغة: الرسالة ٤٧، بحار الأنوار: ٩٩/٧٥، باب ١٨، حديث ٢.

٢- علل الشرايع: ٤١١/٢، باب ١٤٨، حديث ١، وسائل الشيعة: ١٠٣/١١، باب ٣٨، حديث ١٤٣٥٦، بحار الأنوار: ٢/٩٦، باب ١، حديث ١.

٣- المحجة البيضاء: ١٤٥/٢، كتاب أسرار الحج.

فليمت يهوديًا أو نصرانيًا^١.

بروي الشيخ الطوسي في كتابه الجليل «التهذيب» في حديث صحيح للإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أن رسول الله صلى الله عليه وآله لقيه أعرابي فقال له: يا رسول الله، إنني خرجت أريد الحج ففاتني وأنا رجل مميل، فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجر الحاج، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: انظر إلى أبي قبيس فلو أن أبا قبيس لك ذهبه حمراء أنفقته في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاج، ثم قال: إن الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئًا ولم يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفا ولم يضعه إلا كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، فإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه، فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه، قال: فعد رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا موقفا إذا وقفها الحاج خرج من ذنوبه، ثم قال: أتى لك أن تبلغ ما يبلغ الحاج^٢.

وينقل الشيخ الصدوق رحمته الله في كتابه (من لا يحضره الفقيه) في باب الحج رواية؛ فيقول: عن أبان بن تغلب قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام من أهله - ما بين

١- الكافي: ٢/٢٦٨، باب من سوف الحج وهو مستطع، حديث ٤١ من لا يحضره الفقيه: ٢/٤٤٨، باب تسوية الحج، حديث ٢٩٣٥؛ وسائل الشيعة: ١١/٢٩، باب ٧، حديث ١٤١٦٢؛ المحجة البيضاء: ٢/١٤٥، كتاب أسرار الحج.

٢- تهذيب الأحكام: ١٩/٥، باب ٣، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ١١/١١٣، باب ٤٢، حديث ١٤٣٨٥.

مكة والمدينة - فلما انتهى إلى الحرم نزل فاغتسل وأخذ نعليه بيده ثم دخل الحرم حافياً، قال: أبان فصنت مثل ما صنع فقال: «يا أبان من صنع مثل ما رأيتني صنعت تواضعاً لله محاً الله عنه مائة ألف سيئة وكتب له مائة ألف حسنة، وقضى له مائة ألف حاجة»^١.

ورد عن رسول الله ﷺ في باب الحج أنه قال: «كل نعيم مسؤول عنه صاحبه إلا ما كان في غزو أو حج»^٢.

وينقل أيضاً الشيخ الصدوق رحمته الله في كتابه (من لا يحضره الفقيه) رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من أنفق درهماً في الحج كان خيراً له من مائة ألف درهم ينفقها في حق ودرهم يصل إلى الامام مثل ألف ألف درهم في الحج»^٣.

فعلى على الحاج أن ينتبه إلى حقيقه وهي ان المسلم يجب ان تكون أمواله مصدرها حلال، ولا يخلط معها ولو درهماً حراماً، وإذا لا سامح الله عند استعداده لسفر الحج؛ شك في أمواله بأنه قد يكون فيها حق للناس، او سهم الإمام، عليه أن يطهر أمواله ويرجع حقوق الناس إليهم، وفي غير هذا، فإنه سوف يُحرم ثواب الحج، بل أكثر من ذلك، يُقال له في جوابه عندما يلتي: «لا لبيك ولا سعديك»،

١- من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٠٤، باب فضائل الحج، حديث ٢١٤١؛ بحار الأنوار: ١٩٢/٩٦، باب ٣٤، حديث ٣.

٢- من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٢١، حديث ٢٢٣١.

٣- من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٢٥، باب فضائل الحج، حديث ٢٢٤٧-٢٢٤٨؛ بحار الأنوار: ١٥/٩٦، باب ٢، حديث ٤٦.

كما جاءت في هذه الرواية:

«من حج بمال حرام نودي عند التلبية لا لبيك عبدي ولا

سعديك»^١.

ينقل المحدث الكبير الشيخ الصدوق رحمته الله في كتابه «من لا يحضره الفقيه» عن روى الحسن بن محبوب، عن علي بن رثاب، عن محمد بن قيس قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث الناس بمكة قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه الفجر ثم جلس معهم يحدثهم حتى طلعت الشمس فجعل يقوم الرجل بعد الرجل حتى لم يبق معه إلا رجلان أنصاري وثقفي فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: قد علمت أن لكما حاجة تريدان أن تسألاني عنها فإن شئتما أخبرتكما بحاجتكما قبل أن تسألاني وإن شئتما فاسألاني قالوا: بل تخبرنا أنت يا رسول الله، فإن ذلك أجلى للعمى وأبعد من الارتباب وأثبت للايمان، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما أنت يا أخا الانصار فإنك من قوم يؤثرون على أنفسهم وأنت قروي وهذا الثقفي بدوي أفتؤثره بالمسألة؟ قال: نعم، قال: أما أنت يا أخا ثقيف فإنك جئت تسألني عن وضوئك وصلاتك ومالك فيهما فاعلم أنك إذا ضربت يدك في الماء وقلت: بسم الله الرحمن الرحيم تناثرت الذنوب التي اكتسبتها يداك، فإذا غسلت وجهك تناثرت الذنوب التي اكتسبتها عينك بنظرهما وفوك بلفظه، فإذا غسلت ذراعيك تناثرت الذنوب عن يمينك وشمالك، فإذا مسحت رأسك وقدميك تناثرت الذنوب التي مشيت إليها على قدميك، فهذا لك في وضوئك.

١- من لا يحضره الفقيه: ٣١٧/٢، حديث ٢٥٥٧؛ وسائل الشيعة: ١٤٥/١١، حديث ١٤٤٧٨.

فإذا قمت إلى الصلاة وتوجهت وقرأت أم الكتاب وما تيسر لك من السور ثم ركعت فأتممت ركوعها وسجودها وتشهدت وسلمت غفر لك كل ذنب فيما بينك وبين الصلاة التي قدمتها إلى الصلاة المؤخرة فهذا لك في صلاتك. وأما أنت يا أخا الانصار فإنك جئت تسألني عن حجك وعمرتك ومالك فيهما من الثواب فاعلم أنك إذا توجهت إلى سبيل الحج ثم ركبت راحلتك وقلت: بسم الله ومضت بك راحلتك لم تضع راحلتك خفا ولم ترفع خفا إلا كتب الله عزوجل لك حسنة، ومحا عنك سيئة، فإذا أحرمت وليت كتب الله تعالى لك في كل تلبية عشر حسنات، ومحا عنك عشر سيئات، فإذا طفت بالبيت اسبوعا كان لك بذلك عند الله عهد وذكر يستحيي منك ربك أن يعذبك بعده، فإذا صليت عند المقام ركعتين كتب الله لك بهما ألفي ركعة مقبولة، وإذا سعيت بين الصفا والمروة سبعة أشواط كان لك بذلك عند الله عزوجل مثل أجر من حج ماشيا من بلاده ومثل أجر من أعتق سبعين رقبة مؤمنة، وإذا وقفت بعرفات إلى غروب الشمس فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج وزبد البحر لغفرها الله لك، فإذا رميت الجمار كتب الله لك بكل حصة عشر حسنات فيما تستقبل من عمرك، فإذا حلقت رأسك كان لك بعدد كل شعرة حسنة تكتب لك فيما تستقبل من عمرك، فإذا ذبحت هديك أو نحررت بدنتك كان لك بكل قطرة من دمها حسنة تكتب لك فيما تستقبل من عمرك، فإذا طفت بالبيت اسبوعا للزيارة صليت عند المقام ركعتين ضرب ملك كريم على كتفيك فقال: أما ما مضى فقد غفر لك فاستأنف العمل فيما بينك وبين عشرين ومائة يوم^١.

١- من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٠٢، باب فضائل الحج، حديث ٢١٣٨؛ أمالي الشيخ الصدوق: ٥٤٩،

المجلس الحادي والثمانون، حديث ٢٢؛ بحار الأنوار: ٣/٩٦، باب ٢، حديث ٣.

يقول العارف الفقيه، عماد كرمانى:

كل شخص يرسم على لوح البصر خيالك، فإنه يبقى طوله عمره
يتمنى لقاءك.

متى ينتهي السهر وترتاح عيناى، ويأتى الليل فأكون فى أحضان
خيالك.

يبدو أنه لا مفرّ من البلاء، حتى لو أن سويداء القلب أرادك.
فببغاء روجى هي النفس التي تطلب القدرة، تمر على عبادك الشاكرين.
وروجى هو الطائر القدسي الذي عندما يعطش للقائك، كأنما يميل
بالتراب إلى الماء الصافى.

أه؛ فإن القلب يخاف من المنافسين، إذا نسيم السحر سأل عن حالك.
إذا مررت على تربتي فى يوم ما، فإنى ساجد وأرى واشاهد جمالك.
إذا لم يقبل عماد فى كل لحظه تراب بابك، فالسبب هو ان يفكر فىك.

سبب اختلاف ثواب الحج:

مع صحة روايات ثواب الحج، لكنها مختلفة فى نفس الوقت، مع أن الناس
يؤدون مناسك حج واحدة، لكن الاختلاف سببه هو وضعية وروحية الحاج
القادم لهذا السفر، وكيفية أدائه لها.

يقول صاحب كتاب «آفاق الكعبة» - الذي هو من مشايخي روايات هذا

الحقير وله سبعون عنوان كتاب علمي - فى حل مسألة تفاوت ثواب الحج:

إن سبب تفاوت ثواب الحج هو فى سبب اختلاف وتفاوت معرفة الحجاج،

وتفاوت نياتهم واعتقاداتهم، وقوة إلهامهم، وتفاوتهم في الأدب والخضوع، وكيفية أدائهم لمناسك الحج بكل يقين، تفاوتهم في الفهم وفي جهاز الفهم، تفاوتهم في أجهزة الاستقبال والارسال الدماغية، تفاوتهم في مدى تأثير الحج فيهم، تفاوتهم في مدى نشر ما وصلوا إليه من معنوية في الحج، والتفاوت في مسائل أخرى وأخرى. لهذا، فإن روايات ثواب الحج، مختلفة ومتفاوتة على قدر الحاج، فهناك ثواب لكل قدم يرفعه الحاج أو يضعه بـ «عشر حسنات» إلى «مائة حسنة» وكلها صحيحة وصادقة.

ويوجد في الحج أيضاً درجات دنيا وأقل درجة ان الحاج لا يحصل على أي ثواب، ولكن الله لأنه قد جاء لزيارة بيته وهذا المكان الآمن، فإنه يحفظ اهله وعياله لحين عودته من الحج، وهذا لمن لم يقبل منه الحج.

أقسام الحج:

روي في كتاب «من لا يحضره الفقيه» ان الحجاج على ثلاثة أقسام:

«الحاج على ثلاثة أصناف فأفضلهم نصيباً رجل يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووقاه الله عذاب القبر، وأما الذي يليه فرجل غفر له ذنبه ما تقدم منه ويستأنف العمل فيما بقي من عمره، وأما الذي يليه فرجل يحفظ في أهله وماله» وروي «أنه هو الذي لا يقبل منه الحج»^١.

وروى الصدوق رحمته الله أيضاً في كتابه «من لا يحضره الفقيه»: قال الصادق عليه السلام:

١- من لا يحضره الفقيه: ٢٢٦/٢، باب فضائل الحج، حديث ٢٢٥٣.

«لما حج موسى ﷺ نزل عليه جبرئيل ﷺ فقال له موسى: يا جبرئيل ما لمن حج هذا البيت بلانية صادقة ولا نفقة طيبة؟ قال: لا أدري حتى أرجع إلى ربي عزوجل، فلما رجع قال الله عزوجل: يا جبرئيل ما قال لك موسى؟ وهو أعلم بما قال، قال: يا رب قال لي: ما لمن حج هذا البيت بلانية صادقة ولا نفقة طيبة، قال الله عزوجل: ارجع إليه وقل له: أهب له حقي وارضي عنه خلقي، قال: فقال: يا جبرئيل فما لمن حج هذا البيت بنية صادقة ونفقة طيبة؟ قال: فرجع إلى الله تعالى فأوحى الله إليه قل له: أجعله في الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»^١.

الذنب العظيم؛ الامتناع عن أداء الحج:

إن الذي يكون سبباً في منع مسلم إلى الحج، قد يكون إرتكاب ذنباً عظيماً، مع ما ذكرنا من فضل كبير للحج.

يروى الشيخ الصدوق رحمته الله عن اسحاق بن عمار فيقول: قلت لابي عبد الله عليه السلام: إن رجلاً استشارني في الحج وكان ضعيف الحال فأشرت عليه أن لا يحج، فقال: «ما أخلقك أن تمرض سنة، فقال: فمرضت سنة»^٢.

وفي رواية أخرى: قال الصادق عليه السلام: «ليحذر أحدكم أن يعوق أخاه من الحج فتصيبه فتنة في دنياه مع ما يدخر له في الآخرة»^٣.

١- من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٣٥، نكت في حج الأنبياء...، حديث ٢٢٨٧؛ وسائل الشيعة: ١١/١٤٤، باب ٥٢، حديث ١٤٤٨٠.

٢- من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٢١، باب فضائل الحج، حديث ٢٢٣٤؛ تهذيب الأحكام: ٥/٤٥٠، باب ٢٦، حديث ٢١٥؛ بحار الأنوار: ٣٦٨/٤٧، باب ١١، حديث ٨٥.

٣- من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٢١، باب فضائل الحج، حديث ٢٢٣٥؛ وسائل الشيعة: ١١/١٣٨، باب ٤٨، حديث ١٤٤٦٢؛ بحار الأنوار: ١٥/٩٦، باب ٢، حديث ٤٥.

نعم، فالذين يمنعون الحج ظلماً وعدواناً، أو عن طريق الإعلانات المسيئة، فإنهم في الصف الأول للمتعددين على حدود الله سبحانه وتعالى وحقوق عباده، ولهم في الدنيا خزي، وفي الآخرة عذاب عظيم.

أداء مناسك الحج من المال الحلال:

يقول الإمام موسى الكاظم عليه السلام: ثلاثة أشياء، تكون من أموال الخاصة:

- ١- مهر النساء.
- ٢- ثمن الكفن.
- ٣- نفقة أداء مناسك الحج.

السيدة المؤمنة؛ شطيطة:

إنه اجتمعت طائفة من الشيعة بنيسابور واختاروا محمد بن علي النيسابوري فدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم وشقة من الثياب، وأتت شطيطة بدرهم صحيح وشقة خام من غزل يدها تساوي أربعة دراهم فقالت: إن الله لا يستحيي من الحق، قال: فثبتت درهمها وجاؤا فيه مسائل ملء سبعين ورقة في كل ورقة مسألة وباقي الورق بياض ليكتب الجواب تحتها وقد حزمت كل ورقتين بثلاث حزم وختم عليها بثلاث خواتيم على كل حزام خاتم، وقالوا: ادفع إلى الامام ليلة وخذ منه في غد، فان وجدت الجزء صحيح الخواتيم فاكسر منها خمسة وانظر هل أجاب عن المسائل، فان لم تنكسر الخواتيم فهو الامام المستحق للمال فادفع إليه، وإلا فرد إلينا أموالنا.

فدخل على الاقطع عبد الله بن جعفر وجربه وخرج عنه قائلاً رب اهدني إلى

سواء الصراط، قال: فبينما أنا واقف إذا أنا بغلام يقول: أجب من تريد، فأتى بي دار موسى بن جعفر فلما رأيته قال لي: «لم تقنط يا أبا جعفر؟ ولم تفزع إلى اليهود والنصارى؟ إلي فأنا حجة الله ووليه، ألم يعرفك أبو حمزة على باب مسجد جدي، وقد أجبك عما في الجزء من المسائل بجميع ما تحتاج إليه منذ أمس، فجئني به وبدرهم شطيطة الذي وزنه درهم ودانقان الذي في الكيس الذي فيه أربعمئة درهم للوازوري، والشقة التي في رزمة الاخوين البلخيين. قال: فطار عقلي من مقاله، وأتيت بما أمرني ووضعت ذلك قبله»، فأخذ درهم شطيطة وإزارها، ثم استقبلني وقال: «إن الله لا يستحيي من الحق يا أبا جعفر أبلغ شطيطة سلامي وأعطها هذه الصرة وكانت أربعين درهما ثم قال: وأهديت لها شقة من أكفاني من قطن قرينتا صيدا قرية فاطمة عليها السلام وغزل اختي حليلة ابنة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام»، ثم قال: «وقل لها ستعشيشين تسعة عشر يوما من وصول أبي جعفر ووصول الشقة والدراهم، فأنفقي على نفسك منها ستة عشر درهما، واجعلي أربعة وعشرين صدقة عنك وما يلزم عنك، وأنا أتولى الصلاة عليك، فإذا رأيتني يا أبا جعفر فاكنم علي، فانه أبقى لنفسك»، ثم قال: «واردد الاموال إلى أصحابها، وافكك هذه الخواتيم عن الجزء وانظر هل أجنبناك عن المسائل أم لا من قبل أن تجيئنا بالجزء؟» فوجدت الخواتيم صحيحة. ففتحت منها واحداً من وسطها فوجدت فيه مكتوباً: «ما يقول العالم عليه السلام في رجل قال: نذرت لله لا اعتن كل مملوك كان في رقي قديما وكان له جماعة من العبيد؟ الجواب بخطة: ليعتقن من كان في ملكه من قبل ستة أشهر، والدليل على صحة ذلك قوله تعالى «والقمر قدرناه» الآية والحديث من ليس له ستة أشهر».

وفككت الختام الثاني فوجدت ما تحته: «ما يقول العالم في رجل قال: والله لا تصدقن بمال كثير فما يتصدق؟ الجواب تحته بخطه: إن كان الذي حلف من أرباب شياه فليصدق بأربع وثمانين شاة وإن كان من أصحاب النعم فليصدق بأربع وثمانين بعيرا، وإن كان من أرباب الدراهم فليصدق بأربع وثمانين درهما، والدليل عليه قوله تعالى: «ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة» فعددت مواطن رسول الله ﷺ قبل نزول تلك الآية فكانت أربعة وثمانين موطنًا. فكسرت الختم الثالث فوجدت تحته مكتوبا: «ما يقول العالم في رجل نبش قبر ميت وقطع رأس الميت وأخذ الكفن؟ الجواب بخطه: يقطع السارق لاخذ الكفن من وراء الحرز، ويلزم مائة دينار لقطع رأس الميت لانا جعلناه بمنزلة الجنين في بطن امه قبل أن ينفخ فيه الروح فجعلنا في النطفة عشرين دينارا»، المسألة إلى آخرها. فلما وافى خراسان وجد الذين رد عليهم أموالهم ارتدوا إلى الفطحية، و شطيطة على الحق فبلغها سلامه وأعطاه صرته وشفته، فعاشت كما قال ﷺ فلما توفيت شطيطة جاء الامام ﷺ على بعير له، فلما فرغ من تجهيزها ركب بعيره وانثنى نحو البرية، وقال: «عرف أصحابك واقراءهم مني السلام وقل لهم: إني ومن يجري مجراي من الائمة لا بد لنا من حضور جنازكم في أي بلد كنتم، فاتقوا الله في أنفسكم»^١.

نعم، فأولياء الله سبحانه وتعالى، من ذكر وأنثى، يعيشون في صفاء ونقاء، ولا يريدون من الحبيب سوى المحبة.

حقيقية مسألة الحج:

إن رؤية حقيقة الحج، تحتاج إلى قلب طاهر، وبصيرة نافذة، وصدر مليء

بالنور، وروحاً إلهية، ونفساً زكية.

فأهل البصيرة لديهم في هذا المجال مسائل هي بعيدة عن تصور كثير من العقول.

فهذا السفر، هو سفر ملكوتي، وسير إلهي تجاه خالق الوجود، فالوصول إلى حضرته القدسية، تحتاج إلى لياقة وطهارة مطلقة.

في هذا السفر، فإن الحاج يحتاج إلى خشوع كامل، وخضوع جامع، وحالة إلهية، ونية مستديمة، وعزم راسخ، وعفو وصفح بعرض جميع الأفلاك.

فزاد هذا السفر كله، هو معنوي وروحي، أما الزاد المادي فهو لإدامة حياة الإنسان، ولتأمين الجسم من الضعف.

في هذا السفر، لا تؤدوا مناسك الحج سوى لوجه عز وجل خالصة، وتكونوا إلا للحق، ولا تستمعوا إلا إلى الحبيب، ولا تنظروا إلا إلى المعبود، وعندما تهموا بالدخول إلى المسجد الحرام، فلا تروا إلا الله سبحانه وتعالى.

مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع ابن أبي العوجاء:

انتبهوا إلى حديث عجيب - وهو مؤيد لما ذكرناه آنفاً - ذكره شيخ المتقدمين الصدوق عليه السلام في كتابه «الأمالي»، فقال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور (ره) قال حدثنا الحسين بن محمد بن عامر عن عمه عبد الله بن عامر عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي عن الفضل بن يونس قال كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري فأنحرف عن التوحيد فقبل له تركت مذهب صاحبك

ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة فقال إن صاحبي كان مخلطا كان يقول طورا
 بالقدر وطورا بالجبر وما أعلمه اعتقد مذهبا دام عليه قال ودخل مكة تمردا
 وإنكارا على من يحج وكان يكره العلماء مساءلته إياهم ومجالسته لهم لخبث
 لسانه وفساد ضميره فأتى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فجلس إليه في جماعة
 من نظرائه ثم قال له: يا أبا عبد الله إن المجالس أمانات ولا بد بكل من كان به
 سعال أن يسعل فتأذن لي في الكلام فقال الصادق عليه السلام: (تكلم بما شئت) فقال
 ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر وتلوزون بهذا الحجر وتعبدون هذا
 البيت المرفوع بالطوب والمدر وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر من فكر في
 هذا أو قدر علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر فقل فإنك رأس هذا
 الأمر وسنامه وأبوك أسه ونظامه فقال الصادق عليه السلام: «إن من أضله الله وأعمى قلبه
 استوخم الحق فلم يعذبه وصار الشيطان وليه يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره
 وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه فحثهم على تعظيمه
 وزيارته وقد جعله محل الأنبياء وقبله للمصلين له وهو شعبة من رضوانه وطريق
 يؤدي إلى غفرانه منصوب على استواء الكمال ومجتمع العظمة خلقه الله قبل
 دحو الأرض بألفي عام وأحق من أطيع فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر الله
 المنشئ للأرواح والصور» فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت يا أبا عبد الله فأحلت
 على غائب فقال: «ويلك وكيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب
 من جبل الوريد يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم وإنما المخلوق
 الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخللا منه مكان فلا يدري في المكان
 الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه فأما الله العظيم الشأن الملك

الديان فإنه لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان فلا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة وأيده بنصره واختاره لتبليغ رسالاته صدقنا قوله فإن ربه بعثه وكلمه» فقام عنه ابن أبي العوجاء وقال لأصحابه: من ألقاني في بحر هذا سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألقيتموني إلى [على] جمرة قالوا: ما كنت في مجلسه إلا حقيراً قال: إنه ابن من حلق رؤوس من ترون.

حج الإمام الحسن المجتبي عليه السلام:

كان الإمام الحسن عليه السلام في حجّاته الخمس والعشرين، ترابياً يمشي على قدميه، وهذا المشي لم يكن لعدم توفر المراكب لديه كما ليس من باب الامسك والضنة عن بذل المال في سبيل ذلك، بل كان عليه السلام يأمر بتقديم المراكب تسير أمامهم وهم كانوا يمشون على أقدامهم تواضعاً، كانت المراكب المصطحبة كثيرة حد استعظام الرائين لموكب المراكب وكان السيد يبدو ترابياً بتواضعه.

احتراماً للإمام الحسن عليه السلام كان اخوه الإمام الحسين عليه السلام يترجل أيضاً، كان الحسنان عليه السلام يمشيان على أقدامهما تواضعاً، بيد ان مراكبهما المصطحبة كانت تقدم أمامهما، ما إن كان الناس يرون الحسين يخطوان ماشيين خلف المراكب هم أيضاً كانوا يترجلون.

نعم، كل من كانت معرفته بصاحب البيت أكثر كان أكثر تواضعاً وانكساراً وخشوعاً وتربياً أمام رب البيت، وعشقه ورغبته إلى محبوب العالم، أوفر وأكمل. هكذا إنسان هو من لا يريد إلا منه سواء تعالى ولا يطلب منه غيره وهو من

إذا وصل إلى البيت يغمض عن البيت ويترقب رب البيت، مخاطباً حضرة حبيبه وعشيقه بلسان الحال، صاباً دموعه:

لي من حبك قرب روحي، ولو بلغ القلب ثم فالخوف شديد.
إن كان بين القلب والحبيب قرب روحي، فما الضير لو كان ثمة بعد
مكانني.

ذلك ليس بالحسن الذي يتغير بتعاقب الزمن، وليس هذا بالعشق الشبابي.
ليس يمكن أن نجد قريباً مثلك في الكون والمكان، يكون لحظة محرم
الاسرار الخفية.

لو اطلع قلبي على سر كنز رضاك، كان ذلك محتوى سلطنة
العالمين كليهما.

لو اصبح خاطرك الرقيق ساخطاً على عماد، كان الذنب من جانب هذه
العبد الجاني!

حج الإمام الصادق عليه السلام:

في إحدى رحلات حجه اعطى الإمام الصادق عليه السلام مالك بن انس، شرف
مزاملته.

حين بلغا الميقات، يقول مالك:

فلما استوت به راحلته عند الاحرام، كان كلما هم بالتلبية انقطع الصوت في
فمه، وكاد ان يخر من راحلته فقلت: قل يا ابن رسول الله ولا بد لك من ان تقول:

فقال: يا ابن ابي عامر كيف أتجرأ ان أقول: «لبيك اللهم لبيك» واخشى ان يقول عزوجل لي: «لا لبيك ولا سعديك»^١.

الامام عليه السلام الذي هو على معرفة كاملة في ميقات الحرم الإلهي، نعم، مشاعر ذلك الإنسان الإلهي تكون مستغرقة بمعنويات الوحي السماوي ويدرك كل أسرار الحرم في الميقات ويطابق بين حده وحدوده وحد هذا الحرم وحدوده، إنه واقف على تلك الحدود كما أنه واقف من كل الجهات على حده وحدوده تماماً، نعم، إنه حين يرى نفسه أمام الساحة الكبريائية، ينعقد لسانه ولا يعود يملك نفسه.

أرايتم كم يرى الإنسان نفسه صغيراً أمام الجبل، تخيلوا العظمة الكبريائية جبالاتاً من كل جانب، فيتصاغر الإنسان من كل جانب. في تجاه تلك العظمة اللانهائية في اللانهائية ماذا يصنع هذا الكائن الصغير وكيف يقف وما يقول؟

الإمام الصادق عليه السلام في رحلة حج أخرى كان أولى شرف مزاملته أبان ابن تغلب الذي كان كبير اصحاب الإمام الباقر عليه السلام وروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديثاً، حينما كان يرد المدينة كانت تخصص له اسطوانة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله لجلوسه للتدريس، كان الإمام عليه السلام قد قال له: اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإنني أحب ان يرى في شيعتي مثلك^٢.

١- الخصال: ١٦٧/١، الحديث ١٩؛ أمالي الصدوق: ١٦٩، المجلس الثاني والثلاثون، الحديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٦٧/٤٧، الباب ٤، الحديث ١.

٢- رجال الكشي: ٣٣، الحديث ٦٠٣ «واللفظ بترجمة ابان في فهرس النجاشي عن الإمام الباقر عليه السلام - المترجم».

يقول أبان:

حينما شارف الإمام الصادق عليه السلام الحرم وبدت الاعلام وانتهى إلى الحرم نزل واغتسل وأخذ نعليه بيديه، ثم دخل حافياً، فصنعت مثل ما صنع. فقال: يا أبان، من صنع مثل ما رأيتني صنعت تواضعاً لله محا الله عنه مائة الف سيئة، وكتب له مائة ألف حسنة، وبني له مائة ألف درجة وقضى له مائة الف درجة!

الحج أو المعراج الملكوتي:

عندما تنظر إلى عمل الحج بعين البصيرة، ستجده معراجاً ملكوتياً للروح تصل ببركة المعراج ذلك، إلى الفيوض الإلهية الرفيعة. يقول أحد مبصري الطريق:

لا يمكن مقارنة الحج بياقي المقررات الدينية، إذ بالنسبة لكثير من العبادات مثل الصلاة والصوم وذكر الله وامثال ذلك فهو وان كان ذا تأثير ايجابي في نفسية الشخص، لكن ذلك الاثر مهما بلغ فهو محدود بحد معين بينما عمل الحج ان كان عن التفات ومحتوياً الاركان والشرائط المقررة ولم يفسده عدم الالتفات والانتباه إلى حقيقته، فهو ميدان عمل يوصل الإنسان إلى كل ما مر بيانه. الحج يوجد في روح الإنسان قوة تحرسه في السر والعلن ما دام حياً وتلك هي الفيض الإلهي مما يحوزه الإنسان ببركة هذا المعراج.

قاصد الحج حينما يتهباً للخروج من منزله إن كان عارفاً بمقصده ورفعة شأنه

١- الكافي: ٣٩٨/٤، باب دخول الحرم، الحديث ١؛ وسائل الشيعة: ١٣/١٩٥، الباب ١ الحديث ١٧٥٥؛

بحار الانوار: ١٩٢/٩٦، الباب ٣٤، الحديث ٣.

هو ويقف على ذلك كما ينبغي وينظر إليه بالنور الإلهي وبنبغي طي ذلك الطريق وفق هداية وإرشاد ساحة الربوبية، سيتوجه قلبه إلى عالم آخر وعن الظواهر الزائلة يبصر الحقائق الثابتة.

حينئذ يطلب استغناءه وقوته، لا ما كان حتى الآن يطلبه ويتهاى لازالة كل رغبات وظلمات الطبيعة عن نفسه!!

هذه أول فكرة يستشعرها قاصد الحج أي تأثير هذه الحقيقة الملكوتية في الوقوف على مقام النفس الإنسانية ورفع الروح عن التعلق بظواهر الحياة الدنيوية.

حينما يحضر الميقات واغتسل وارتنى الاحرام يمتلئ قلبه من جلال تلك الافكار والملكات الحالة بنفسه ويبعد عنه الحياة وكل شؤونها.

لا يرى ذاته، نعم يرى أحد جنود الله تعالى الذين دعاهم فوقوا للاستجابة.

يقول الإلهي ذلك العارف الهائم:

لتهناً تلك الروح التي يطلعونها على الاسرار الخفية، يا حبذا ذلك البئر الذي يخرج منه قمر كنعان.

ياله من قلب الذي يأتي مبرأ من الحقد والكبر والنفاق، يا حبذا عقل يستضيفه العشق في زقاق المحبوب.

هنيئاً فهناك يتكلمون عن درس العشق والعشاق، وهنيئاً لجمع هاموا بسالفة المحبوب.

هنيئاً لطير يفرد في بستان كعاشق، يتعد عن ديار الوصل.

هنيئاً للسعداء الذين لديهم قلب كإلهي، يعشق محبوباً ويبحث عنه.

حينما غير الحاج لباسه وهيبته وأبدى ذلة موقفه ولا حوليته، يرى لزاماً على نفسه، أن يكون قلبه طاهراً وفعله نقياً وقوله صادقاً وغير ملوث ولا يؤذي فرداً وان يتجاوز نفسه طلباً لرضا حضرة الخلاق بصفاء وحقيقة، ويبعد ذاته من كل خبث واشتغال بالاغراض ويتوجه للحق تعالى.

نتيجة لذلك حين يتم عمله، تعمّ قلبه نور المعرفة، فتضيئه وتطهر جوانب قلبه من كل مداخل الشرك ما صغر منها وما كبر وتغمر فائدة عمله كل القوى والجنود وما يسندها من فضائل، يرى الكل مسلماً وهم في السبيل المقرر الهياً عون بعضهم متعاونين متناغمين متوحدين وراضين وقد تبدلت نفسه روحاً واستبدلت ظنونه وأفكاره اللامناسبة بالتعقل وعلومه اللاحقة بالحكمة والبرهان وصفاته السيئة، حسناً وخيراً وشهواته عفة وطهارة وغضبه حلاً وعزماً على الخيرات ولذته الشخصية مودة ومحبة ويأسه من الخير والرحمة الإلهية املاً وكفرانه النعمة شكراً وحرصه توكلاً على الله. و قدرته رأفته و حماقته، فهماً واحتياله وجسارته وافتضاحه؛ سبيل الخير والتعبد لله وانانيته تواضعاً ولينه ولغوهم صمتاً واستعلاؤه وطغيانه تسليماً والتنزه عن اي إيذاء وماهي إلا من فضائل الحج وآثاره.

صورة إجمالية عن حقيقة العبادات:

الإنسان جامع لكل الاستعدادات، زود الإنسان بقوى روحانية وملكوية بالحد الذي يوصل الإنسان إلى أعلى مدارج الأعمال محل بلوغ بني آدم الكمال والحقائق الدنيا، والدنيا هي مقتضى الجسمانية وتبعات الجسم مثل غريزة الاكل والشرب والشهوة.

إذا كان السبيل مفتوحاً أمام البطن وشهوة الأكل بلا حدود، فسيصبح الإنسان تدريجاً محكوماً عليه من قبل هذين الأمرين وسيصنع من وجوده وحشاً مفترساً لا يتصور.

فالسبيل لمنع تعديت البطن والشهوة مما قد أهلك أمماً، هو العبادة ليس إلا، هي خصوص العبادة التي نظمها الوحي للإنسان. العباد الحقيقيون مصباح الحياة و ورد بستان الاحياء والدر الثمين في بحر الحياة الانسانية.

قال أحد ذوي البصيرة، له رأي متين بشأن العبادة:
اعلم ان القصد الاصلي من خلقه الانسان، معرفة الله تعالى والوصول لحبه والاستئناس بحضرتة.

بلوغ هذا المتاع متوقف على صفاء وتجرد النفس، فكلما كانت النفس صفاءها وشدته تهذيبها أكثر، كلما كان انسها وجهها لله أكثر.

بديهي أن صفاء وتجرد النفس منوط بالتنزه عن الشهوات النفسانية واجتناب اللذائذ البدنية والآمال الدنية الحيوانية وعدم التعلق بمال الدنيا ومناها؛ إذ أن ذلك كله إن كان خارج حدود الشرع، فهي موانع تصد الإنسان عن المعارف الإلهية والنفحات القدسية وليس ثمة ما يمنع الروح الإنسانية عن الاقتراب من عالم القدس التي نزلت منها، سوى ما يدعى المشتتهيات النفسانية، من قبيل الغرائز الحيوانية والمستقبحات الاخلاقية والافاعيل الشيطانية وكما أن القدح ما دام مملوء ماء، لا يمكن أن يلججه هواء، كذلك النفوس الإنسانية مالم تخل من الصفات والملكات الذميمة، سوف لن ينير قلوبهم النور الإلهي.

كلما زادت نسبة تطهير النفوس من هذه القذارات، ازداد اشراق أنوار العلم على قلوبهم وتواترت العطايا الإلهية.

على العكس من ذلك، فالنفوس المشغولة بغير الله سوف لن تحل قلوبها معرفة واستشعار الرب تعالى وحلاوة وحب والانس. وبحسب درجة كمال تجرد النفس، يزداد الإيمان واليقين وتحل فيه الصفات العالية والفضائل النادرة الرفيعة التي تطلبها النفس في تلك المرحلة من الصفاء والتجرد.

لذا سُرعَت العبادات التي هي بمثابة سلم الرقي وسبيل بلوغ هذا الكمال. ذلك ان بعضها هو انفاق المال وبذله مما يسبب انقطاع الإنسان عن الحرص على الدنيا مثل الزكاة والخمس والصدقات، وهذا الانقطاع هو ذات العلة الغائية لتشريع الانفاق، مما يصطلح عليه العلماء، غرض التشريع وإن ترتب عليه انتفاع بعض الناس.

ومنها الامتناع والاجتناب عن الشهوات واللذات مثل الصوم، وبعضها لاجل اشتغال القلب بذكر الله تعالى وتوجهه إليه مقروناً بمختلف الحركات البدنية الخاصة، مثل الصلاة.

والمعرفة الحاصلة عن الفكر ونور الخلقة، أو المعرفة الناتجة عن استعمال القواعد المنطقية، ليست كافية في حصول ما ذكرناه من حب الله والانس به تعالى وإن حصل بذلك توجه الى الله وانس به، كان ذلك ضعيفاً لا دوام له.

لكن الآثار الكاملة والمناسبة الحاصلة في النفس من المداومة والمواصلة لتلك الاعمال، ستكون ثابتة مستحكمة، اذ بين البدن والنفس علاقة تؤثر تفاعلاتهما تؤثر بعضهما البعض.

حينما يخضع عضو جراحة ما، ألا تتألم نفس الإنسان إثر ذلك الجرح؟

وبالعكس، فلدى التعرض للإثارات الروحية والاضطرابات النفسية مما يتتاب الإنسان على اثر مختلف العوامل مثل موت الأعزة، أو القيام بأعمال مرعبة، ألا ترى تأثر أعضاء البدن أيضاً وارتجاف قطعة اللحم بين الخاصرة والكتف. بعبارة أخرى: تبدي ردة الفعل على شكل رعشة اليد أو الرجل أو اصفرار اللون وأمثال ذلك.

إذن وكما قد اشير سابقاً، فالقصد من وضع وتشريع العبادات أن يتخطى الإنسان بذلك مدارج الكمال خطوة خطوة ويتحلى بالصفات الملكوتية، فالقدر المتيقن؛ ان الصورة الظاهرية لكل عبادة، لها اثر مطلوب في روح الإنسان؛ وهو يازاء الأعمال العضوية والجوارحية، تترك آثاراً حسنة جداً في التنوير والاصلاحات النفسية.

وكما ندرك بالاحساس، فإن الطهارة الظاهرية، لها أثر في طهارة وإضاءة النفس، مثلاً حينما نقوم بأداء الوضوء ونلمس بذلك الطهارة الظاهرية، نستشعر في ختام هذا العمل العبادي حالة من الصفاء والبسطة النفسية، مما لم نكن نجده فينا قبل القيام بالوضوء وسبب ذلك ما أشير إليه، سر الارتباط بين النفس والبدن والافظاهر البدن من عالم المحسوس والروح بالنظر إلى أصل فطرتها هي من عالم الملكوت وموقعها في هذا البدن كالذي ابتعد عن موطنه الاصلي وتغرب، إذن كما تنزل إلى البدن تأثيرات من المعارف النفسية كذلك من الأعمال الجوارحية تصعد أنوار نحو الروح.

الحج هذا العمل العبادي الاسلامي العظيم يشتمل على ما تحويه سائر العبادات، إضافة لذلك فهو يتضمن أيضاً رياضات خاصة، عبارة عن ترك، ارهاق البدن، والاطلاع على الشعائر ومشاهدتها.

في أفعال الحج، يحصل أيضاً إخلاص النية لذكر الله والتوجه إليه بموارد أخرى من الطاعات والعبادات.

مع أن بعض أعمال الحج أمور لا تطفئ النفوس على الحكمة من ورائها ورموزها أو تعرف العقول معانيها، مثل قذف الجمار بالحجارة والسعي بين الصفا والمروة مكرراً، مع ذلك لا يمكن التردد في أن أحكام الله جميعاً تتصف بالحكمة البالغة والمصالح والمنافع الرفيعة، بيد أن مصلحة بعضها واضحة وبعضها خفي والبعض بنحو لا يدركه أكثر العقول وفي هذا القسم، إنما يتحقق نور كمال العبودية، بتمام حقيقته؛ إذ في الأعمال التي الحكمة والمصلحة فيها ظاهرة. بما أن الإنسان ينزع فطرياً إلى الكمال، فإنه يرغب في انجاز ذلك العمل وهذا بحد ذاته يصبح داعياً نحو العمل ويعين على الانقياد ولا يتضح به كمال وحقيقة العبودية.

لكن الأحكام التي قررها الله ويعجز العقل الانساني عن إدراك حقيقتها ولا يتطرق إلى كنه معناها والآثار المترتبة عليها ولا يأنس بها طبع الإنسان، فقبولها ليس إلا بلحاظ صدور الأمر وقصد امتثاله من حيث أنه أمر وتجب طاعته.

إتيان هكذا عبادات التي لها كمال التأثير في تركية النفوس واعادتها من اقتضاءات الطبع والسوء والظلم ورغبة النفوس إلى الله تعالى والتحلي بأخلاقه تعالى، ينبغي اعتبارها أفضل أنواع العبادات.

عدم معرفة الحكمة والمصلحة للخصوصيات المأخوذة في بعض العبادات بلحاظ الكمية والكيفية، يؤدي ببعض الناس إلى التعجب والحيرة وسبب ذلك الجهل بحقائق أسرار التبعيدات والأنوار المكونة في المجاهدات.

كل عمل ينبغي إتيانه بقصد القربة، فمهما ابتعد عن تصرفات العقل، خاصة

فيما لم يكن ثم أنس بذلك العمل، وكان فيه كلفة ومشقة أيضاً، فحصول مقام العبودية به اعلى وأثمن، وإنما أتبان هكذا عبادات تجعل الروح الإنسانية تجاه الحق تعالى وتهتدي في العالمين به إلى السبيل الثابت.

ما أرفع وأحلى ان يسلم الإنسان امام كل ما يصدر من أوامر المولى مما ينبع عن علمه وعدله وحكمته ولا يتضمن سوى جلب منفعة الإنسان ودفع الضرر عنه، وتمثل تلك الاوامر لمحض إرضاء ذلك العزيز ولا يتوفر ظاهر أو باطن الإنسان على أي قيل وقال تجاه تلك الأوامر اذ، القيل والقال من عمل المتكبرين والابتعاد عن امتثال أوامر الخالق، سبيل المفسدين.

الحج أو قصد النمو والسمو:

هذا المقطع مستفاد من مجموع الآيات في سورة البقرة، آل عمران، التوبة، إبراهيم، الحج، البلد والتين ولكي يزداد الفراء الكرام انساً بالقرآن الكريم، ندعوهم إلى قراءة آيات هذه الصور والتدبر فيها وهنا نشير إلى صورة اجمالية عن حقيقة هذه الآيات.

الحج هو القيام والاتباع والقصد، قصد كائن صغير، ذرة عاجزة، حقير غير ذي قدر، فقير معدم، تجاه الغني المطلق والمولى الجليل والكريم الرؤوف. طواف عاشق وله حول الحبيب توجهاً إلى ما عينه له من اتجاه أي؛ الكعبة المعظمة، هذا القصد والنهوض والاتباع هو العبادة الأكبر والأجل بين عبادات الإسلام الجماعية التي يمارسونها المسلمون.

شعائر الامة الإسلامية هذه إن تمت طبق جميع قواعدها وشرائطها، فهي رمز الوحدة الأكبر والمؤشر الكامل على تهذيب الشؤون المادية والأداة الأكبر

لتحكيم الصلاة بين الشعوب الإسلامية.

نعم، هو اجتماع ممتاز بين الشعوب الإسلامية من كل بقاع الأرض بقصد تطهير الباطن وبنية ايجاد التعاضد والاطلاع على جميع الاوضاع الحياتية لبعضهم البعض وإدراك المنافع المادية والمعنوية فإن لذلك عظمة وجلال مذهل وهو أفضل السبل لعلاج الآلام ومداواة المآسي.

يحصل هذا مرة سنوياً، اجتماع عقلاء ومستطيعي الأمة الإسلامية في مركز وفر الله تعالى أمنه من كل جهة بما اختصه من مقررات، بين الآداب الإسلامية؛ هي من أهمها وبين الشعائر من أعظمها.

لكن المسلمين من لحظة انعكاس نور الحق في قلوبهم ومن حين ترنمت السنتهم بكلمة التوحيد والاقرار بالمعارف، وبما عينه الخالق تعالى من مختلف السبل كالصلاة، والصوم، والجهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون، والإحسان، والتقوى والعدل والتناصف، والمودة والتعاضد و... قد قصدوا نحوه تعالى ونهضوا لاجله وطافوا حول مركز هذه الحقائق وبادروا في كل مقام إلى حج ما، بيد أن لمسألة الحج المخصص في شهر ذي الحجة في أرض مكة والى جنب بيت الله، امتيازات تخصه لا تحتويها باقي الاحكام الإلهية. فما أحلى هذا العمل العظيم، و هو أن يتوجه المكلف بقلب متيقظ من أول إلى آخر الشعائر ويخطو في ميدان اقامة المناسك كما ينبغي لضيف الله، فعسى ان تفتح عظمة الحج الروحية؛ بضيرة باطنه، فيتمكن أن يجد عمق المسائل فتتحقق ثورة في روحه وعقله ويتحرر من قيد الظاهر ليقوم في فضاء عالم الروحانية اللامحدود ويطير نحو المحبوب باجنحة الفكر.

الحج والجهاد، رهبانية الإسلام:

مرحلة النظر في أسرار ورموز وحقائق الحج من أصعب مسائل هذا الموضوع.

إذا اراد الإنسان الوقوف على ملكوت الحقائق وأن يتحد بها، فذلك انما يتيسر حين يكون قد تحرر من قيد الشهوات الخاطئة والاهام والخيالات والاعتبارات والفسانيات الشيطانية واكتفى في الأمور المادية بضروراته وما يتناسب وشأنه، وكان مسعاه في كل حركاته وسكناته ان يخطو جبلاً لرضا الحبيب تعالى.

حقاً كيف يمكن ان يكون الإنسان غارقاً في الأمور غير الإلهية، ويصل مع ذلك إلى الفيوضات العالية الربانية والاسرار الملكوتية؟

جمع من الناس ولأجل بلوغ الحقائق الربانية والاسرار المستورة، كانوا يهجرون الموطن والديار وينصرفون عن الشؤون المادية والذهب ومظاهر الدنيا، ويعتزلون الخلق، ويلتجئون إلى شقوق الجبال والكهوف والمغارات؛ يؤطرون انفسهم بالرهبانية، كي يتمكنوا من الانس أفضل مع جلالة الرب تعالى ويستفيدوا من الروحانيات أكثر، بيد أن الإسلام العزيز اعتبر اسلوبهم خاطئاً ومنع من اعتماد الرهبانية طريقاً إلى الحقائق السماوية، ولكي يصل عشاق الأسرار والمعارف إلى أهدافهم وضع لهم برامج رفيعة للغاية وأعمالاً حسنة جداً ووعدهم حتماً أنهم لو اتخذوا هذه السبل فيصلون إلى طلباتهم المعنوية؛ وكل من اتبع هذه الاوامر، قد بلغ ما ينبغي من حقائق.

في مسألة الرهبانية والسير والرحلة الروحية والنضج السلوك، يسألون نبي

الإسلام ﷺ: هل إن شريعتكم أيضاً تدعو إلى ذلك؟

يقول ﷺ: بأن الرهبانية في دينه لكسب الفيوضات الربانية، وهي حج بيت

الله والجهاد.

نعم، لأجل السير في الامرين كليهما، يجب الابتعاد عن الديار والبلد والزوجة والاطفال واعتزالهم فترة، ويجب في هذين السفرين كليهما غض الطرف عن زينة الدنيا وحليها ومظاهرها المادية، فالسير في هذا المسير، يجعل من الإنسان العادي أن يصبح كسلمان، والمقدار، وعمار، وميثم، وحجر بن عدي و... شخصيات أخرى حيث أنه يصل إلى أسمى وأرفع المستويات المعنوية، كما ويوصل الآخرين إلى أرفع الدرجات المعنوية.

جعل الرحيم تعالى الجهاد في سبيله وحج بيته بديلاً للأمة الإسلامية عن الرهبانية والانعزال، كي يلجوا إلى الحرم الإلهي من السبيل الصحيح الصائت.

جعل الرب تعالى بيته مقصد عباده، وجعل ما حوله حراماً آمناً، وعظم مكانة ما هو هنالك، وجعل عرفات ساحة حرمة وأوصى بحرمة ذلك البيت وما حوله بحيث لا يستطيع أحد أن يصطاد، أو يخرج من تلك الارض المقدسة حتى نبتة واحدة، كما منع الجميع عن كثير من الأمور كي يعلم الإنسان بهذه الرياضة درس النظم والتقوى، اذ الحياة تستند إلى النظم المفحم بالمنافع المادية والمعنوية.

من يتحرك قاصداً بيت الله؛ هو كمن ذهب يزور الله وكم في هذه الزيارة من لذة عجيبة زيارة الحبيب، فمن نال الزيارة هذه قلبياً وفي عالم المعنى، فسيسكر بشراب اللقاء و يبلغ حدّاً انه لا يفيق من ذلك السكر والى الأبد.

أيها الساقى اسقني شراب الصبوح، اعط العشق غذاء الروح.
 اعطنا عن السكرى شراب العشق، اعطنا الخمرة خذ منا النفوس.
 اجعل في قلبي حلاوة السكر، كي يصبح عدمي وجوداً.
 من ذلك الصراح وهو قدح الرضوان، اعطني شراباً مما جرعه الروح.
 يا من على ذكر جمالك الفتان، بعد لم اشرب الخمر وها قد سكرت.
 اسأل عن السكرى لحظة، ارح عباد الخمرة.
 احترقت! احترقت بنار الشوق، ادهسني عن نفسي لحظة بخمرة الانتشاء.
 اعجب انا من عاشق الخمرة، لم يذق خمر العشق وهو سكران.^١

الحج عن معرفة:

مناسب ان يبادر الزائر بحال اليقظة وقلب ملؤه الشوق ووجود امتلاً اخلاصاً
 وبمعرفة تامة لمسائل الحج، إلى ما يجعله في الميعاد المعين؛ ينال فيض لقائه
 تعالى، أي مقام قرب حضرة الحبيب، مسلمٌ ان الظفر بالمقام المعنوي لله الحق
 تعالى انما يتيسر حين يسعى الإنسان لتصفية النفس والخروج من كل ذنوب
 الظاهر والباطن، كي يهيء بهذا الطريق وجوده لاستلام الفيض.
 كل انسان له انطباع خاص عن الحج حسب حجم معرفته وقابليته، بيد ان عليه
 ان يسعى لتوسيع قابليته الوجودية لكي ينال إدراك كل الزوايا الملكوتية
 والمعنوية لهذه الرحلة، ويبلغ المقامات العالية الإلهية.
 الحج، لاولئك الذين يدركون مفهومه الحقيقي، نور يمكنه اضاءة المظلم من

١- «عشقنامه، فخر الدين عراقى».

جوانب الحياة، مسألة الحج قبل كونها امر عقائدياً أو اقراراً دينياً أو سنة الهية؛ هي امر تعليمي وتربوي وعامل مؤثر جداً للتحرك في جميع شؤون الوجود.

أمر الله الرحيم عبده المخلص العزيز ابراهيم عليه السلام ان يدعوا الناس إلى طواف ذلك الحريم، عسى ان يستفيدوا من الفيض الإلهي العظيم هذا، ويفوزوا فوزاً عظيماً.

بيت الله مختبر وينبغي لأول زائر وحتى آخرهم ان يتم اختباره في هذا المركز المعنوي.

هذا البيت مبني بحجارة سوداء جرداء عن التلوث، دون زينة ونقوش و زخارف، لكي يتحرر الناس من الامور المادية الخاطئة والرغبات الشيطانية، من خلال اعمال الظاهر والباطن واتبان المناسك.

و لكون بيت الله في سفح الجبال، ومنحدر الأودية، إلى جنب الصحراء الحارة الساخنة، والقاحلة من الماء والعشب وفي موضع صخري وحجري؛ هو بحد ذاته احد الأسرار ولعل السرّ انه يجذب الناس إلى هناك كي يحرّهم من التضحية بأنفسهم أمام الاغراءات والترغيبات الخاوية ويفهمهم بأن النزعة المادية الصرفة لو كانت اساس الحياة، لكان ينبغي زيادة البهارج المادية، في هذا المكان أكثر من أي مكان آخر.

نعم كان بالإمكان بناء البيت بالزمرّد الاخضر، والياقوت اللامع، واللؤلؤ والمرجان والذهب الخالص والفضة الخالصة، بيد ان هذا البناء ونظراً لما لمناسكه من معانٍ سامية؛ قد أدخل من الامور المادية و تصرف الشيطان، وهو يبطل جهد وسعي ذلك العدو الخطر، الهادف لمحو شخصية الإنسان.

القرآن الكريم يشير في كثير من آياته الى أن عباد الحق تعالى وعشاق الإله، يجب ان يختبروا بالشدة والمشقة لا بالراحة والسرور، لأن المقامات الإلهية لا تتبع عن صدر يخلد إلى الراحة، ابحثوا عن الحقائق والاسرار في عمق الشدائد وتحمل المآسي، ليس غير، حيث:

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾!

بتعبير بلبل بستان العشق، المرحوم المولى هادي السيزواري:
القلب ذهب من رفاق الفكر، عاجوه، زوده بعجين مرهم، ارموا جسده به.
يذهب خيالي، يا دمع سد طريقه، يا جيش الأنين، هيا أسرعوا إلى ساحته.
إن ذهب عن الدمع المسيل وإلا نأخذ المشعل، تذهب فورة المحشر
يا رفاق أندموه.

خسرى أيها الفارس المجيد، عزم على الجولان، يا معشر العشاق،
اجعلوا الرؤوس على صولجانه.

الخلاص من التعلقات، قبل الحج:

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

عندما تقصد نية السفر، وتستعد للخروج من الوطن للحج، فقبل الابتعاد عن الديار، اخل قلبك من كل تعلق، وأوكل جميع مهماتك إلى كافي المهمات، وتوكل عليه في جميع سكناتك وحركاتك، اخضع له في حضرته بالتسليم والرضا بتقديره لك.

اغسل يديك عن الماديات، واغمض عينيك عن ملذات الدنيا، واخرج عن التفكير بالأملak والامتلاك والتجارة وجميع الامور التي لا تخص المحبوب، وفي هذا السفر؛ لا تفكر فيما يحدث بعدك إن أنت ذهبت للحج. ما يلزم في مقدمة هذا السفر؛ هو أنك عندما تريد الحركة للحج، عليك أن تكون قد أدت حقوق الله وحقوق عباده، وتخلصت من جميع مظالم العباد، وخرجت من بئر الطبيعة.

انتبهوا إلى المقطع الأخير من أمر الإمام الصادق عليه السلام، يظن جماعة أنهم إذا طهروا ذلك القدر من المال الذي يمكن ان ينفق على الحج ويدفعوا الحقوق الإلهية وحقوق الناس التي فيه، أو استرضوا الآخرين، بشأن الديون.. بينما يجب ان يعرفوا ان على زائر الحق تعالى الخروج مما يوجب الظلمة. ويحرر وجوده قبل ان يبادر إلى السفر مما لا يرتضيه رب البيت من تعلقات وإذا لم يتحرر فلن يقدر على التحليق في ذلك الجو، يذهب ويعود ولم يشهد ذلك التأثر في حالاته. أجل عليكم قبل بدء الحركة، اعملوا بتعهداتكم المالية، الأخلاقية، العقدية، العلمية، الروحية، اذ في هذا الوادي انما يتقدم المخفون.

حج العارفين:

لاجل الانتباه الاكثر لمعاني هذا الجزء من رواية الإمام الصادق عليه السلام القيمة، يستحسن ان يتحلى هذا الفصل بالقلم النير للعالم الناظر بقلبه، المرحوم الحاج الشيخ محمد البهاري، الذي كل كلمة منه نور، يغسل قلب السالك من أي كدر، مرفق بشرح حسب اقتضاء كل موضوع، بيدي العاجزة:

يا طالب الوصول إلى بيت الحق تعالى: تيقظ، اذ لحضرة الاحد جل شأنه

العظيم بيوت مختلفة، يقال لاحدها البيت الظاهري وأنت تقصدها، والآخر بيت المقدس والآخر البيت المعمور وآخر العرش وهكذا... حتى يصل إلى حيث البيت الحقيقي الأصلي وذلك يدعى القلب وهو أعظم من جميع هذه البيوت. اجل، ينبغي أولاً الإتيان بمناسك بيت القلب وتلك هي تصفية هذا البيت من صنم الرذائل وتحليتها بالصفات والأسماء الإلهية، إذ ما لم تطهر كعبة الباطن هذه من الاصنام ولم ترفع عنها غشاء الخبث، لن تتأهل لزيارة الكعبة التي في مكة، و ان ذلك هو السبيل لولوج ذلك الحريم الذي هو في الحقيقة حريم العناية والرحمة، القلب.

يا رب العالم الرحيم طهر القلب، بيتك الأصلي هذا، من كل التأثيرات الشيطانية واجعله مؤهلاً لتعكس فيه أنوار الحقيقة.

آداب زيارة الكعبة:

لا شك ان لكل بيت من بيوت الله تعالى آداباً وتقاليد، على قاصد أي بيت مراعاة آدابه وتقاليده، لكي يبلغ حقيقة وواقع ذلك البيت، اذ دون مراعاة الآداب و التقاليد بيت، يستحيل الوصول لذلك البيت والجهد في سبيل ذلك عبث ونصب دون جدوى ونفع.

لكن ما معنى بيته، هذه الاضافة، أي إضافة البيت لله من باب التشريف أو بنحو آخر، ليس المقصود بيان ذلك، الغرض في هذه الرسالة، بيان آداب الكعبة الظاهرية غير تلك الآداب المسطورة في المناسك، ضمناً قد تتم الاشارة أيضاً في الجملة إلى آداب الكعبة الحقيقية.

اعلم ان الفرض من تشريع هذا العمل الشريف ان تعلم من خلال مناسك هذا

البيت ان المقصود الاصلي من خلقة الإنسان معرفة الله والوصول إلى درجة العشق له والانس بحضرتة وذلك ما لا يتحصل إلا بتصفية القلب والقلب أيضاً، إلا بحفظ النفس عن الشهوات والانقطاع عن الدنيا الدنية والمثول في رحاب العبادات الظاهرية والباطنية.

الشارع المقدس لم يجعل العبادات في نسق واحد، بل وضعها على اختلاف؛ اذ بكل واحدة منها تزول عن المكلف رذيلة من الرذائل كي يتصفى بالاشتغال بها جميعاً تصفية تامة، فكما أن أداء الزكاة والحقوق المالية تقطع الميول عن الحطام الدنيوي والصوم يقطع الإنسان عن المشتتهات النفسانية والصلاة تنهى عن كل فحشاء ومنكر وهكذا باقي العبادات كذلك الحج.

و حيث أن الحج مجمع العناوين، فقد اكتسب خصوصية أخرى بين العبادات، ذلك أنه يشتمل على جملة من مشقات الاعمال حيث لكل منها صلاحية تصفية النفس، كإنفاق المال الكثير، الانقطاع عن الاولاد والعيال والانفصال عن النفوس الشريرة وطى المنازل البعيدة والابتلاء بشدة الحرارة والعطش واتبان اعمال غير مألوفة وخلاف الطبع؛ مثل رمي الجمرة والطواف والسعي والاحرام وغير ذلك.

وله فضائل عليا أخرى مثل تذكر احوال الآخرة لدى مشاهدة أصناف الخلق واجتماع الكثير في نسق واحد على نهج واحد لا سيما في الاحرام والوقوفين والوصول إلى محل الوحي ونزول الملائكة على الأنبياء من آدم وحتى النبي الخاتم صلوات الله عليهم اجمعين والتشرف بمحل اقدم اولئك العظماء وإضافة إلى التشرف بحرم الله وبيته، إضافة لحصول الرقة التي تورث صفاء القلب برؤية هذه الأمكنة الشريفة وأمكنة شريفة أخرى لا تسع هذه الرسالة لذكرها.

الحصيلة أن الحج يشتمل على جملة من المشاق كما فضائل كثيرة للاعمال
وقد قال رسول الله ﷺ:

«أنه قد أبدل الرهبانية في دينه بالحج والجهاد»^١.

ينبغي للإنسان بمشاهدة هذه الحقائق أن يعرف أنه لن يبلغ كرامة هذه
المرحلة الروحانية، إلا بمراعاة آدابها وتقاليدها الحقيقية، وتلك أمور عدة:

النية الصادقة:

الأول: كل عبادة من العبادات ينبغي أن تكون بنية صادقة، يؤتى بها امتثالاً
لأمر الشارع المقدس، كي تكون عبادة.

الذي ينبغي ويريد الحج، يجب أولاً أن يتأمل قدرماً ما بنيته، يضع هوى النفس
جانباً ليرى أن غرضه في هذه الرحلة امتثالاً للأمر الإلهي ونيل الثواب والفرار من
عقابه أو لا؛ ان غرضه نستجير بالله كسب الاعتبار أو خشية مذمة الناس أو
تفسيقهم أو الخوف من أن يصبح فقيراً، كما هو معروف فكل من يترك الحج
يتلى بالفقر. أو لا؛ إنه يهدف إلى أمور أخرى، من قبيل التجارة والاستمتاع
والتجول في البلاد وغير ذلك.

لو تأمل جيداً فإنه سيفهم هو ما قصده، لو صار معلوماً ان وجهته والجهة
ليست هي الله، فعليه السعي في اصلاح قصده وعلى الاقل ان ينتبه إلى قبح هذه
المسألة انه قد قصد حرم ملك الملوك، لكنه لأجل هذه المسائل المادية والخيالية
واللامجدية، هنا حيث ينبغي و بشعور مفهم الخجل ان يبتديء رحلته لا نحو
الغرور والغفلة.

١- أمالي الصدوق: ٦٦ المجلس السادس عشر الحديث ١، بحار الانوار ١١٤/٦٧، باب ٥١ حديث ١.

التوبة:

الثاني: ان يهيئ للحضور لمجلس الروحانيين، مع اتيان توبة حقيقية، أي توبة تراعى فيها كل المقدمات، من قبيل رد الحقوق، سواء المالية مثل الخمس ورد المظالم والكفارات؛ أو غير المالية مثل الغيبة والايذاء وهتك العرض وسائر الجنايات؛ وان كانا أبويه على قيد الحياة، فعليه ان يرضيهم عن نفسه كي يخرج من البيت طاهراً نقياً؛ بل عليه أن يقطع كل علاقته، ويقطع مشغله القلبية خلفه؛ كي يتوجه إلى الله بقلبه، كما عليه أن يفترض انه قد لا يعود، بعد ذلك.

نعم، قطع العلاقة مع غير الحق تعالى أهم الأمور في هذه الرحلة وما لم يتم قطع العلائق الخاطئة والرغبات الشيطانية والنوايا الملوثة، لا يتم التوجه إلى المحبوب ولذا لن يواجه المحبوب الإنسان أيضاً.

كل الاستمتاع في هذه الرحلة لأناس؛ لا فكر لهم سوى حضرة الرفيق ولا ذكر سوى ذكر ذلك الجنب، ولا كلام عدا ما يرتبط بحضرتة، وبكل وجودهم يتقدمون إلى ساحة العشق الحقيقي ولسان حالهم:

مرحبا مرحبا محبة الحبيب، اذ جئت من اللب لا من القشر.

قلبي اختلى بيته من غيرك، معك انتحى نحو الا اباليه.

ما ان سكن همك قلبي، اضاء البيت من مصابيحك.

قد ابتلينا بفتح عشقك، كلنا سكارى قدح هواك.

يا من حسن وجهك يضيء القلب، ليلنا لخيالك نهار.

حسنك ابهى من روضة الجنان، ذكرك احلى من كل ما في العالم.

كل لم تجده صورتك، فصورته موجودة لكن روحه مفقودة.^١

على الزائر ان يوصي وصيته تامةً ويُطلع الخيرين والعقلاء كيف ينبغي ان تكون كيفية الوصية، على أي حال عليه أن يقوم بما من شأنه أن لو لم يرجع لن يعاق أي جزء من جزئيات عمله، بل ينبغي ان يكون في كل عمره كذلك إذ لا احد يعلم بساعة موته و موعد أجله.

ذكر الحق تعالى:

الثالث: أن لا يوفر لنفسه دواعي انشغال القلب، كي تصده في حركاته وسكناته مما ينبغي ان تكون بذكر الحبيب الحقيقي فقط؛ كالرفيق الغير منسجم معه، أو مال التجارة أو غير ذلك، بل لو استطاع أن يزامن ويصاحب في السفر اناساً تذكّر القلب بالله صحبتهم، أو لو اصيب والعياذ بالله بالغفلة، ان يتداركونه.

الانفاق:

الرابع: مهما امكن؛ عليه أن يكثر من حمل المال الخالص والحلال والطيب ولا يمتنع عن الانفاق في هذه الرحلة، اذ الانفاق في سبيل الحج، انفاق في سبيل الله، لا ينبغي الانزعاج من كثرة البذل في هذه الرحلة الملكوتية حيث جاء في الاحاديث بذل درهم في هذا السفر يعدل سبعين درهماً، ازهد الزهاد الإمام السجاد عليه السلام، كان في هكذا سفر، ينفق بكثرة.

ان ذهب في هذا السفر شيء من الأمور المالية ينبغي ان نكون في غاية الامتنان من الحق تعالى ونغدوا مسرورين؛ اذ على المضيف ان يسجل ذلك في السجل الأعلى اضعافاً مضاعفة، كي يعاد إلى العيد يوم اللقاء.

ألا ترى أنه لو استقدمك شخص إلى ضيافته واصابك ضرر خلال الطريق فإنه

سوف يجبر ذلك حتى لو كان لثيماً فما ظنك في حق اقدر القادرين واكرم
الاکرمين؟

حسن الأخلاق:

الخامس: ان عليك في هذه الرحلة وبنحو جاد اتخاذ الحسنات الأخلاقية وان
يكون متواضعاً تجاه الرفيق وصاحب الحملة وباقي الناس ويحذر اللغو والفحش
والتجاسر وما لا ينبغي؛ اذ لا ينحصر حسن الخلق في عدم ايذاء الاخ المسلم
والمؤمن، وفوق ذلك أنه تجاه اساءة الآخر، يخفض جناحه ويتذكر الحديث
القدسي الشريف وذلك: بأن الله قد أخفى رضاه في جفاء المخلوق ومن كان
ناوياً إرضاء الله فعليه أن يتحمل ايذاء الغير له.

الأعمال الحسنة:

السادس: أن لا يقصد مجرد الحج وحسب، بل عليه ان يقصد عدة مراحل
في هذه الرحلة، من قبيل زيارة القبور المطهرة للشهداء، والأولياء والسعي في
حوائج المؤمنين وتعلم وتعليم الاحكام الدينية وترويج مذهب الاثني عشرية
وتعظيم شعائر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

التواضع:

السابع: أن لا يوفر لنفسه أسباب التجميل والتكبر، بل يتوجه إلى حرم الله
بقلب كسير وهو مغبر، كما أشير لذلك في باب الاحرام.

قدر الإنسان في هذه الرحلة بمقدار انكسار قلبه وما عليه من غبار، ولا يدخل
إلى هذا الحرم، إلا الضيف المتواضع الخاشع، لا قابلية للمتكبر للمثول في هذا

المحضر الرفيع.

العشق دليل الرجال في سبيل الطلب، جناح الرجال لدى السكر والطرب.
ليس السفر ان تذهب من مصر الى بغداد، الذهاب من النفس الى
الحبيب رحلة الرجال.

ليس الظفر ان تغلب في المعركة، تجاوز الذات، ظفر الرجال.
ليس الحذق ان تجتهد في كسب الفضائل، التحليق بجناح العشق، فنّ الرجال.
كل القلوب مقصرة، كل النفوس ميتة، متوجع ومتوقد، آه، سحر
الرجال.

عين الكوثر و عشب ارض الجنة، خبر من أثر أعين الرجال.^١

ايكال التعلّقات إلى الحق تعالى:

الثامن: ان لا يتحرك من البيت مالم يوكل نفسه وكل ما جلبه معه وكل رفاقه
وأهل بيته وكل ما يتعلق به، بكل اطمئنان، إلى خالقه جل شأنه، امانة، ويخرج
من البيت بقلب ساكن؛ ذلك ان حضرته نعم الحفيظ ونعم الوكيل ونعم المولى
ونعم النصير.

التوكل على الله:

التاسع: ان لا يكون اعتماده على ثروته وقوته وقدرته، بل ينبغي ان يكون
اعتماده في كل حال على صاحب البيت. مقدمات هذا السفر أكثر مما قد عددنا،

لكن لو ان في البيت أحد، كلمة واحدة تكفيه.

ينبغي ان يتأمل ويعرف ان هذا السفر الجسماني إلى الله وعليه ان يبادر إلى سفر آخر روحاني وذلك ان يسافر من هذه اللامبالاة والغفلة والجهل إلى تلك الحقيقة وهي انه لم يأت إلى الدنيا لاجل الاكل والشرب بل ان خلقته لاجل المعرفة وتكميل النفس اذ ان هذه رحلة عجيبة و مليئة بالعجائب.

زاد وراحلة الحج:

ويعلم كما ان في رحلة الحج، يلزم الزاد والراحلة والزميل وامير الحاج والدليل والخادم وغير ذلك وأن أي من اولئك إذا لم يكونوا فقد يتعثر العمل ولا يصل إلى المنزل، بل سيؤدي إلى هلاكه؛ كذلك هو محتاج في تلك الرحلة إلى هذه الاشياء بعينها والا فلن يتقدم خطوة، ولو تصور امكان ان يسير بلا ذلك فذلك لأن السفر قطعاً نحو تركستان لا الكعبة الحقيقية.

لكن الراحلة في هذا السفر هو بدنه، ينبغي باعتدال ان لا يمتنع من تقديم الخدمة له ولا يشبعه بحد لا يتمكن هو من منع طغيانه ولا يجوعه بحيث عدم تيسر العبادة عليه.

«خير الأمور اوسطها»^١.

الافراط والتفريط في هذا المجال وفي كل المجالات سواء المادية والمعنوية مذموم شرعاً.

أما زاده واعماله الخارجية فهو عبارة عن فعل الواجبات وترك المحرمات

١- عوالي اللآلي: ٢٩٦/١، الحديث ١٩٩؛ بحار الانوار: ١٦٨/٧٤، الباب ٧ الحديث ٢.

والمكروهات واتيان المستحبات ويقال لهذه المجموعة التقوى على امر الاجتناب لاجل الله وآخر درجات التقوى الاجتناب عما سوى الله وحاصل الكلام ان كلاً من ترك المحرمات واتيان الواجبات هو بمنزلة زاد يحتاج إليه في واحد من المنازل الاخروية بحيث لو لم تصطحبه فسبتلى؛ وتعوذ بالله من هذه البلية العظيمة.

رفاق رحلة الحج:

اما رفاق الرحلة في هذا المسير فالمؤمنون الذين بهمتهم واتحاد قلوبهم ستطوى هذه المنازل البعيدة وتشير إلى هذه الحقيقة، قرآناً:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^١.

كان استاذنا - رضوان الله عليه - يقول: كثير من الاعمال تنجز بسبب اتحاد القلوب مما لا يستطيع الفرد أن يأتي به لوحده، كن مهتماً كامل الاهتمام بهذا المطلب لأن كل المفاسد هو بسبب اختلاف القلوب وذلك مما يطول شرحه.

أمير الحاج:

اما أمير الحاج في هذه الرحلة فهم الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فيجب ان يكون ظل اولئك الاجلاء الرفيع، على رأسك وتكون متمسكاً بالحبل المتين وهو ولاؤهم ويكون ذلك كمال الالتجاء لآل العصمة والطهارة اولئك، كي تتمكن من التقدم عدة خطوات والا استحوذت عليك شياطين الجن والانس في الخطوة الاولى، كما هو الحال مع رجل الصحراء الجائع؛ الذي يسلبه المسافر.

دليل الطريق:

اما دليل الطريق، وإن كان الأئمة الطاهرين عليهم السلام هم الادلاء على الله سبحانه وتعالى، ولكن لانحطاط التربية والمنزلة التي نحن فيها، لا نستطيع تلقي الفیوضات من اولئك الاجلاء مباشرة، نحتاج في هذا المسير إلى علماء الآخرة وأهل التقوى، فبركتهم ومن خلال تعليمهم ندرك الفیوضات اذ بدونهم يكون إدراك الفيض عسيراً و متعذراً دون شك فمن دون العلماء الربانيين فلا يتيسر عمل من تلقاء الشخص.

الزائر في الميقات:

أجل حين يصل الزائر إلى الميقات يخلع ثيابه في الظاهر ويرتدي لباس الاحرام ويقصد في الباطن خلع لباس المعصية والكفر والرياء والنفاق وارتداء لباس الطاعة والعبودية، كما ويتبته إلى انه كما يلاقي نفسه في الدنيا بغير لباسه وعادته، مغبراً مكشوف الرأس محتفياً، فكذلك بعد الموت سيلقي عمال الله تعالى وهو في كمال الذل والانكسار عرياناً.

تطهير الروح:

في حال التطهر ينبغي ان يكون قصده تطهير الروح من لوث المعاصي ولدى الاحرام أيضاً، ينوي عقد التوبة الصحيح، أي يحرم على نفسه، بعز و ارادة صادقة كل ما حرمه عليه اله العالمين ان لا يعاود تطوافه حول المعاصي بعدما يرجع من مكة المعظمة وحين التلبية ينبغي ان ينتبه إلى ان هذا اجابة لدعوة توجهت له وفي التلبية ينوي أن:

أولاً: قبلت كل طاعة لله سبحانه وتعالى.

ثانياً: ان يتردد فيما ان هذا العمل اللاشيء سوف يقبل منه أو لا؟ هناك ليتذكر قضية الإمام السجاد عليه السلام حيث لم يكن لدى الاحرام يستطيع التلبية وكان يُغمي عليه ولا يساير راحلته، وكان يُسأل: ما هذه الحالة؟

كان يجيب: اخاف ان يقول الله: لا لبيك وكذلك من هذه الوجة ليتصور كيفية يوم الحشر حيث يخرج الناس جميعاً بهذا النحو من القبور عراة مكشوفي الرؤوس مزدحمين، فبعض من جمع المقبولين وجماعة من فريق المرفوضين، والبعض متنعم والآخر معذب، البعض متحير في الامر، بعد ان جميعهم كانوا مترددين في الورطة الاولى.

آداب الدخول إلى الحرم:

إذا دخل الحرم فينبغي ان يكون حاله حال الرجاء والامن من السخط والغضب الإلهي مثل حال المقصّر الذي انسد به الطريق ويجد هذه الحقيقة من مفاد الآية التالية:

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾!

فهنا محل زيادة الرجاء والامل، إذ أنّ شرف البيت العظيم وصاحبه الكريم نفسه وهنا محل الرحمة، إذ انك هنا ضيف خاص لاكرم الاكرمين، ذلك الرحمن الذي كان يبحث عن ذريعة كي يدعوك ولو لمرة واحدة إلى بيته، وان كنت على الدوام ضيفه. والآن تيسرت تلك الضيافة، حاشا وكلا لكرمه ان لا ينجز لك طلباتك و حاجاتك، هكذا ظن لا ينبغي أن يُظن ببعض الاسخياء من البشر فضلاً

عن الجواد المطلق.

أما الآن فأنت لا تستطيع أن لا تأتي أو تأتي، لا تستطيع الاحتفاظ، أو من الأساس لا تعلم ماذا تريد، أو تفعل ما لا يبقى اقتضاء البذل لك، فليس تقصير احد، الاستجداء لا ينسجم مع الكاهلية، نعم العيب في ان اغلب الناس الذين تشرفوا بمكة اعظم همهم ان يسرعوا في الفراغ من صورة هذه الاعمال على سبيل الاستعجال، وعندئذ يطمئنوا إلى افكارهم التجارية، بيد ان الحواس كلها ينبغي ان تكون لدى معنى هذه الاعمال، فمعاني هذه الاعمال لهؤلاء غير مهمة، مع أن كل حواس الضيف ينبغي ان تكون لدى المضيف وعينه على يده وحر كاته وسكناته وفق رغبته، حتى الصوم المستحب مذموم بدون اذنه فما بالك بهتك عرضه في بيته وهتك عرض سلطان السلاطين هو مزاوله مناهيه.

كم من الحجاج يردون مكة وتبدر منهم على الأقل مائة معصية من قبيل الكذب، التهمة، الغيبة، الايذاء للغير، النميمة وتعطيل حق الغير والفحش للآخرين نعوذ بالله من هكذا رحلة والويل لهكذا ضيف!

الطواف:

فلما يبدأ بالطواف ينبغي ان تعم وجوده الهيبة والخوف والخشية والرجاء والعتو والرحمة، اذا لم ترتجف الجوارح الخارجية، فعلى الأقل أن يرجف قلبه، مثل اولئك الملائكة الذين هكذا دائماً يطوفون حول العرش، وينبغي له الانتباه إلى أن الطواف ليس مقصوراً على الطواف الجسماني، بل ثمة طواف آخر ايضاً وهو الطواف الحقيقي ذلك الذي يقال له طواف القلب بذكر رب البيت واصالته لاجل ان الاعمال الجسمانية قد جعلوها امثلة تلك ليستدل الإنسان بهذه على

تلك، كما هو مضمون الرواية.

ويجب ان يعلم كما لا يمكن دون قطع العلاقة بالامور غير الإلهية؛ المسمى إلى هذا البيت، فالكعبة الحقيقية كذلك.

في تقبيل الحجر والالتحاق بالمستجار واستلام الحطيم والأخذ بجدار الكعبة؛ ينبغي ان يكون حاله حال مقصر، هرب من جريمته والتجأ إلى صاحب الاصلي للحق كي يتجاوز عن تقصيراته. لهذا فهو حيناً يقبل يديه ورجليه، وحيناً يلوذ به و يعود، وحيناً يلصق نفسه به، وحيناً يبكي وحياناً يقسم عليه بأعز الاشخاص، ومرة يتضرع عسى ان ينقذه من هذه الهلكة خاصة لو كان الإنسان يعلم ان لا ملجأ ولا غياث سواه.

فاذا جاء إلى السعي، ينبغي ان يعلم بان سعيه هذا ينبغي جعله بمنزلة تردد في بيت السلطان بأمل العطاء والهبة.

عرفات:

أما في عرفات فمن ازدحام الخلائق هذا ورفع اصواتهم بشتى أنواع التضرع والالين والالتماس بمختلف اللسان واتباع كل فريق أئمتهم والنظر إلى شفاعته، عليه أن يتذكره حكاية المحشر، هنا ليبادر إلى منتهى التضرع والالاحاح، حد ان لا يتلى ويظن بقوة جداً بحصول مراده؛ وذلك انه يوم مهيب وموقف عظيم والنفوس مجتمعة والقلوب إلى الله منقطعة وأيدي الاولياء وغيرهم نحوه جل شأنه مرتفعة والرقاب إليه ممتدة والعيون من خشيته باكية والمفاصل من خوفه مرتعشة وهو يوم بعد يوم؛ عطاء واحسان؛ والابدال والواتاد حاضرون وقد اخذ السلطان على نفسه حتماً العفو والرحمة و الصفح وكذلك هو يوم خلعة صدر

الدولة العليا، ولي الأمر الأعظم عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه.
 في هكذا يوم لا يستبعد حصول الفيض بأعلى مدارجه بالنسبة لكافة الناس
 والخلق، هل تظن بخالفك ان يضع سعيك مع انك انقطعت عن الاهل والاولاد
 والوطن، ألا يرحم غربتك؟!؟

في هذه المسألة ورد حديث ما أعجبه:

«أَعْظَمُ النَّاسِ جُرْمًا مَنْ أَهْلَ عَرَاقَاتِ الَّذِي يَنْصَرِفُ مِنْ عَرَاقَاتِ
 وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ!».

منى:

و عندما يترك عرفات ويتجه نحو الحرم فليتفائل من هذا الاذن الثانوي
 بدخول الحرم ويقبول حجة وقربه من الله معبوده، واذ وصل إلى منى فليرم
 الجمار وينتبه ان باطن هذا العمل ابعاد الشيطان.

الوداع:

اجل، عندما يودع الحرم ينبغي أن يكون بمنتهى التضرع وتشوش الحال،
 بحيث كل من رآه يفهم ان هذا قد أودع عزيزاً عليه ويذهب، مثل ترك
 ابراهيم عليه السلام اسماعيل عليه السلام وهاجر، وليكن في حسابه، العودة اول ما يتمكن إلى
 هذا المحل الشريف، ويجب ان ينتبه دائماً لمضيفه، حذراً من ان يودعه بسوء
 ادب فلا يجذب ان يقدم هذا الضيف إلى بيته والى الابد؛ وان كان هذا المضيف
 سريع الرضا، لكن مراعاة الادب قدر الطاقة وما ينبغي للضيف، نعم الزائر حين

الوداع عليه الأخذ بطرف الكعبة مبدئياً بكل خضوع وخشوع بالدموع إلى ساحة الحبيب:

لو يا أمل الروح وهو انت، اراك مرة اخرى كما انت.
 اتخلى من قيد الجسم والروح، مشغول بك ولست معنياً بالعالم.
 أن يوماً أنت لقول كلام، التفت لمثلي انا.
 حيث تسمع حديثك اذني، يذهب الوعي مني بحالي.
 البصر ينبغي له رؤيتك أنت، لرؤيتك لك وإن زاد الشوق.
 روحنا ومالها من تعلق بك، جئنا بها معنا من البدء^١.

في طريق السفر:

الحاج و هو في وطنه عمل بكل تعهداته الإلهية والانسانية وحرر وجوده من ثقل القيود واغلال الأسرار، ليلبس عزمه وقصوره ثوب العمل والكينونة، تدريجياً وبتدئ السير نحو وادي الامن ومقام القرب وديار الوصال.
 في اول مراحل انجاز البرنامج، حيث يبادر إلى وداع المال والزوجة والابناء والقوم والقبيلة والاصدقاء، فليتصور انه قد وصل إلى حين الانتقال من الدنيا إلى الآخرة وليتفت أن العامل بالوظائف والتزامات والمسؤوليات حين الرحلة إلى الآخرة، مسرور، والهارب من التكاليف؛ وقت الخروج من ديار العالم مستاء وفي مصيبة وعذاب.

ليعزم على التوجه في سيره إلى الكعبة بذكر الموت ويقنع نفسه بضرورة

١ - «عشقنامه، فخر الدين عراقي».

الاستعداد لبيت الآخرة.

ليبذل كل سعيه في طريق السفر مراعاة الآداب الإلهية ومراقبة ذلك، وليحسن تعامله مع كل رفيقه، وليتذكر طوال الرحلة؛ الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء حيث كانوا يذهبون مع القوافل دون تعريف انفسهم وكانوا يفعلون كل ما كان بوسعهم تقديمه من خدمة لزوار بيت الحق تعالى.

صحاري حول الحرم:

لابد لمسافري بيت الحق تعالى من شتى بقاع العالم، بكل وسيلة يأتون بها؛ وخاصة في هذا الزمان ان ينزلوا في جدة ومن هناك لو اتسع الوقت؛ يذهبون إلى المدينة؛ ومع ضيق الوقت فإنهم يذهبون إلى مكة مباشرة.

على كل حال فعين الزائر تقع اول شيء؛ على الصحاري التي تقع في امتداد الحرم، صحاري جرداء من الماء والعشب، صحاري مليئة بالصخر والحصى والمنخفضات والمرتفعات، خضارها الشوك، ماؤها السراب، نعومتها الحجارة والرمل؛ فرؤية هذه المناظر في عالم الفكر يصور لنا اننا قد رحلنا عن الدنيا، ودخلنا ميقات القيامة، لأن الإنسان لدى وروده القيامة لن يجد أي من محارمه ومعارفه وباقي برامجها؛ عدا اعماله؛ هناك يرى محكمة العدل امامه ليس إلا؛ وفي تلك المحكمة يطالبونه بالعمل الصالح والايمان دون لحاظ زوجته وولده وماله ومناله، ان كان وقت وروده تلك الصحارى ليلاً فينبغي له تذكروحدة القبر وسؤال منكر ونكر... وباستماع ضجيج الحيوانات المؤذية، ليتذكر مما قد أعد من العذاب الأليم للمجرمين، ويستعيد بالله سبحانه وتعالى.

نعم، ليتفكر في حاله دائماً، ليتفكر في ماضيه، ليرى مستقبله، ليلق نظرة على

وقت الموت والسقوط في صحارى الوحدة البرزخية، عسى ان تحدث هكذا افكار ثورة في روحته وفي جميع ابعاد وجوده، لعله يعتبر بهكذا مواقف ويشع نور من عالم الملكوت على روحه، وإثر تلك الحرارة؛ يتحرر من هذه البرودة والكسل والترهل والضعف والسكون في الأمور المعنوية، وأن يؤخذ بيده ويتمكن في باقي عمره من تنظيم حركته نحو المقصد الأعلى.

مع رؤية تلك الصحارى وأنت منقطع عن كل شيء، وقد اتصلت بالله. تمت
مناجاة الفيض الكاشاني؛ إذا يقول:

على بابك تجز حاجات الخلائق، من تطرده عن هذه الباب فأين يذهب؟
انا اضرب نفسي كالحلقة على باب لطفك، علك تفتح بوجهي باب
لطفك!

من تطرده عن بابك فأبو لهب، ومن تقبله يصبح المصطفى.
لا يستطيع احد مخالفة امرك، كل من يلوي رأساً عن قضائك اين يكون.
بئس من يسحب رأسه من طاعتك، يسود قلبه ويصبح اسير الغموم.
مبارك السالك الذي يطيعك، يفتح قلبه على عالم الانوار.
الفيض في بابك اين يذهب من هذه الباب، تلبى الحوائج كلها عند
هذا الباب.^١

المدينة الطيبة:

الزائر عندما يرد المدينة، فليذكر لدى رؤيته تلك البلدة، بأنها المحل الذي

اختاره الله الرؤوف لنبيه ﷺ؛ مدينة اختارها نبي الاسلام ﷺ بأمر الحق تعالى بعد الهجرة بوصفها مركز بث الحقائق الإلهية، مدينة توفرت فيها اسباب السعادة لاهل الإسلام.

ليتذكر ان المدينة هي مركز لا يصال دعوة نبي الإسلام العظيم ﷺ والنداء الإلهي للناس؛ بتحملة شتى الشدائد والمصاعب.

المدينة هي الموضع الذي فرض فيه على المسلمين في الصدر الأول، لدى القيام بنشر قواعد الإسلام التي تهب الحياة، نحو ثمانين حرباً.

حروب ابتدأها أناس بمنأى عن الإنصاف، لأجل هدم صرح الحقيقة؛ والنبي ﷺ والمؤمنين في مرحلة الدفاع عن الحق، قدموا شهداء فضلاء في تلك الحروب دفاعاً عن الحق.

ليتذكر في المدينة؛ كم تحمل الرسول العزيز ﷺ واصحابه من مشاق؛ كي يؤمنوا له خير الدنيا والآخرة.

المدينة هي موضع تخرج فيها الشيوخ والشباب والرجال والنساء؛ بدمائهم لأجل اعلاء كلمة الله، المدينة هي محل سالت فيه الدموع من عيون الامهات الثكالي، في سبيل دين الله.

المدينة هي الموضع الذي شهد لسنين اعلى خدمات صادقة من أجل الإسلام، هذه المدرسة التي تهب السعادة.

تذكر هنالك مظهر العصمة والعفة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كيف أنها بحجاب كامل - هذا الامر الإلهي القيم جداً - جاءت مع جمع من نسوة قريش إلى مسجد أبيها ﷺ وخطبت ضد الظلم والعدوان خطابها البالغ الأهمية البالغة. نعم، فاطمة الزهراء عليها السلام هي رمز الفضيلة والعفة والكرامة التي اعطت في كل

لحظة من لحظات عمرها؛ لثناء العالم كلهن إلى يوم القيامة درس العفة والعصمة والستر والحجاب والستر بعيداً عن عيون الاجانب.

أنت ايها الرجل! وانت ايها المرأة! في هذه المدينة الكبيرة امام الرسول ﷺ وأئمة البقيع والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام؛ انظروا إلى وضع ايمانكم وعملكم وقارنوها مع أولئك الطاهرين؛ في هذا المختبر الإلهي الكبير؛ دقق أكثر لمعرفة الشؤون المادية والمعنوية.

عندما تلاحظ جو المدينة؛ بما يضم من نبي الإسلام ﷺ والأئمة العظام عليهم السلام؛ بالعقل والفكر والرؤية والبصيرة نهياً الآن كي تتحرك صوب حرم الرسول ﷺ؛ بدنيا من المعرفة والخضوع والخشوع والتواضع.

وقف هنالك بكل أدب أمام الرسول الإلهي وتحدث معه بصدق وصحة لأن الرسول ﷺ يسمع صوتك ويقيمك، اسع ان يقبلك ذلك النبي العظيم؛ بوصفك فرد حقيقي من الأمة.

بعد زيارة النبي ﷺ؛ امض نحو مقبرة البقيع، وهناك ايضاً مثل قبر النبي ﷺ، قف تجاه المجتبي والسجاد وباقر العلوم ورئيس المذهب الإمام الصادق عليه السلام؛ وتذكر ان اولئك الأجلاء لاجل انقاذك أنت وتأمين سعادة دنياك واخراجك تحملوما تحملوا من مآسي.

تعاهد وتعاهد معهم أنك عندما ترجع إلى الوطن، ان تستسلم أنت وزوجتك وابناؤك لاوامر اولئك العظام وتتحلى بأخلاق هؤلاء السادة ولا تمد يدك إلا نحو الحلال من المال والدنيا الطيبة الطاهرة.

إلى هنا ينتهي شرح لمختلف مقاطع حديث «الحج» العظيم مما نقل في كتاب «مصباح الشريعة» ووصل الدور للمقاطع اللاحقة، فيما يتعلق بالمناسك،

فدعوا الله في أن يوفقنا الى ان نتحلى بما مر ذكره في المقاطع الاولى؛ وأن يحالفنا توفيق الحق تعالى، في العمل بالمقاطع المقبلة.

«وَأَحْرَمَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَمْنَعُكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَحْبُبُكَ عَنْ طَاعَتِهِ وَكَبِّ
بِمَعْنَى إِجَابَةِ صَافِيَةِ زَاكِيَةِ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي دَعْوَتِكَ لَهُ مُتَمَسِّكًا بِعُرْوَتِهِ
الْوُثْقَى»

الميقات:

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

و إذ بلغت الميقات، فاحرم عن كل من يصدك عن ذكر الله ويكون حجاباً
بينك وطاعته.

و حينما تلبّي اقصِد معنَى ان يا الهى! بقلب صافٍ و نفس زكية ملبياً دعوتك،
و قصدي من اجابة دعوتك قبول كل اوامرك و نواهيك في كل شؤون الحياة، يا
مولاي اتشبث بلطفك و استمسك بمتين حبلك و انا استعطي عونك و محتاج
لرحمتك.

و إذ خلعت ثيابك عن بدنك و اردت لبس قطعتي القماش تلك؛ بأمر المحبوب،
نعم في الميقات، أي في موضع يحذر فيه الإنسان ان حان وقت الحركة، وقت
الخروج من مستنقع المادية و سوء الخلق و عمل الشر.

نعم، في الميقات؛ أي حيث يصل إلى سمعك في ميقات روح الإنسان ان
كفى التوقف، لا مجال للسكون.

يا انسان! يا آدمي! يا أيها الذي ورطت شخصك كدودة القز، بحفنة من شبك الشهوة والبطن؛ ولذلك حرمت نفسك من كل الفيوضات؛ قد حان الوقت لأن تتحرك نحوه، نعم نحوه، نحو اللانهاية، نحو الكرامة نحو العظمة، نحو الحقيقة، نحو الله، نعم في الميقات؛ يعني حيث دمعت وبكت عيون كل الانبياء؛ وعفر الأئمة عليهم السلام جباهم تواضعاً وخضوعاً.

نعم، في الميقات ولدى التلية بقطعتي القماش البيضاوين، وسيل الدمع الجاري من عينيك؛ نادِ بخطاب عشق؛ قائلاً للحبيب:

لو اسرجنا مصباحاً بشمعمك، نحرق به حصاد وجودنا.
 في همك يعلو منه الدخان الى العرش، النار التي نوقدها من داخل.
 يا شمس الجبال اشعي علينا، اننا بلا وجهك سود الايام.
 ما ان نرى وجهك الجميل، نغمص العين عن العالمين كليهما.
 نسقط دواعي الروح والقلب، فأفضل من عشقك ماذا ندخر.
 كالاطفال في كتاب عشقك، نتعلم ابجديه العشق.
 في غم العشق لو ذهب رأسنا، يا عراقي قَلِّمْ اذ نحن منتصرون.^١

لباس الإحرام:

عندئذ انظر بعين العقل إلى لباس الاحرام والالبسة الأخرى، انظر في الالبسة الاخرى طوال التاريخ؛ ومن باب الغرور والتكبر، أي اجرام أجرموه بحق البشر المظلوم؛ وفي هذا اللباس فكم من الاجانب اصبحوا من معارف الحرم.

١- «عشقنامه، فخر الدين عراقي».

فحين خلع لباس الظلم، ولباس التفاخر، ولباس الكبير، ولباس الغضب، ولباس الفتك؛ وارتداء لباس التوبة، ولباس الكرامة، ولباس الذكر، ولباس التوجه، ولباس المراقبة، ولباس الطاعة، ولباس ترك الذنب.

نعم، احرم، كي تتخفف من كل لباس غير لباس الحق، تجانس مع الجميع في هذا اللباس؛ كي تعلم أنك لا شيء وما كنت تتصور في حق نفسك، لم يكن سوى خيال.

في هذا اللباس مت بي واحي به، اخرج من مسكة الشيطان واجذب رداء الحبيب، انقذ نفسك من التعلقات ثم ادخل عالم النية العظيم.

النية:

بعد ارتداء لباس الاحرام، يأتي دور النية، النية تعني القصد، أي العزم، أي التوجه، وذلك التوجه نحو أول وآخر مقصد؛ وهكذا توجه لا يتحقق إلا بالانقطاع عما سوى الله.

في هذا الحال، ليكن توجهك للمقصد الحقيقي المقصود الواقعي، فقط المقصد الذي مآل ومرجع كل الكائنات إليه.

نعم، عد إليه، كفي هذا القدر من الذهاب في الطريق الخطأ، كفي هذا القدر من الاعراض عن الحقائق، واخيراً عد، عوداً لا عودة فيه.

بهكذا عزم ابدأ ذلك السفر المعنوي؛ ذلك السير الملكوتي، تلك الحركة الإلهية؛ بالله عليك لا تكتف في مسألة النية بمجرد اللفظ، لا دور للفظ، كل ما هنالك؛ فهو ما يرتبط بالقلب.

النية عزم، هو عزم جزمي، العزم على التحلي بالحقائق السماوية، العزم على

النجاة من القذارات وانقاذ المجتمع والعائلة من المآسي والحاصل أن النية تعني تفجر مركز الفطرة بقدرة نور الله بحثاً عن الحقيقة ونشرها بين عباد الحق تعالى. نعم، النية تعني العزم على التحرر من أسر الشهوات الشيطانية، العزم على الخلاص من تمام طواغيت الباطن والخارج والوقوع في بحر الرحمة للتطهير من كل المهالك.

إذا نويت هكذا، فبقلب منكسر خاشع تتم مضمون الآيات ادناه بمحضر المحبوب، في مسجد الشجرة في حال السجود وعفر الوجه بالتراب ثم ادخل في دنيا التلبية العظيمة:

ما ان تعرفت على غمك، قلبي انفصل عن روجه.

ما أن قبلني غمك، ملك وجودي.

في سماعي لك حيث اخذني الحال، نثرت داعي الجروح والقلب.

حيث اشعة شمس حسنك، فتش عن العشاق و جيداً.

يا شمس أن تضيء الروح، ليلنا في وجهك يغدو نهاراً.

يكون في ذلك من وجهك شعاع، كشمس و التمر.

يا من سوقك حافل بالعشاق، افضل مني عالم مشترون.^١

التلبية شعار ملكوتي رفيع:

بعد ان هيات فيك شروط وآداب الحضور، تستطيع ان تعلن بهذه الاشعار

الرفيعة السماوية والحقيقة الملكوتية بكل طهارة واخلاص وعشق.

لكن انتبه اسع ان تعلن مجيئك على نحو يلتفتون إلى صوتك ويقبلون مجيئك. هناك محل الاتقياء والاطهار، هناك ليس محل قبول أي احد، هناك الايمان والتوبة والعمل الصالح والاخلاص وسائل القبول لدى الرفيق تعالى، الإنسان.

لا شك ان من لم يزيّن نفسه بالاوصاف السماوية، فلن يسمعا نداءه ولن ينظروا إلى حركته ولن ينتبهوا لاعماله.

«لييك اللهم لبيك» تخبر عن مجيئك في لباس التعرف والمصالحة، وتشعر بهجرتك عن كل المفاسد والمعائب والقذارات والمقايح، هل هذا هو كله؟! «لييك اللهم لبيك» أي انقل نفسي من مضيق الظلم والعدوان والطغيان، إلى عالم العدل وطلب الخير.

حين التلطف بهذه الجمل، يلتفت الإنسان في باطنه إلى معانٍ متعددة كالطهارة، والقدس، والخضوع والاستجابة لنداء المولى، ويعتبر مسلماً لنفسه؛ أنه يعترف بوحدانيته؛ وانه تعالى متفرد بالمالكية والقدرة والفضل والعطاء والتدبير.

نعم، يا حبيبي يا مالكي وخالقي اقبل نداءك، انا واقف في اعتاب قدسك، استمع لامرك، اسارع في اطاعة اوامرك، احافظ على عهدك دون تردد أو تغيير.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^١.

يا مولاي أنت الواحد لا كفو له، أنت الذي على الجميع ان يستجيوا لندائك ويقبلوا دعوتك، فالجميع متوجه اليك، أنت صاحب ومعطي النعم الذي لا تحصى، مالك تلك العزة التي لا ذلة في حريمها، أنت قوة لا تنقص؛ حاضر بكل

مكان، لا اله إلا أنت.

نعم، يا مولاي اقبل نداءك، الحمد والنعمة لك والسيادة والتفرد انما تليق بك. هذا معنى التلبية؛ بهذا الشعار يتم اعلان وحدة عباد الله الواحد، بالطبع، هذه الحقائق كلها في حال الالتفات إلى حقيقة التلبية.

الملبّون، يرفعون أنفسهم إلى سماء التجرد النوراني حيث لا اثر هناك لطفيان النفوس والامتيازات المؤدية إلى الكبر وحالة النفاق.

بما أن التلبية، شعار الإيمان والمقصود منها ان يصير الإنسان مصداقاً حقيقياً؛ ومعناه أداء الأوامر الإلهية؛ ومن جهة أن يكون تحت عنوان معين في مسألة الحج، اذ الحج له مزايا فريدة، إذن كم هم بمنى عن الإيمان وكم هو قبيح وجه باطنهم، اولئك الذين ابتعدوا بأنفسهم عن هذا الحريم السامي واوكلوا سرهم ومجتمعهم إلى الشيطان، وهم بأكملهم تحت تصرف اعداء الدين والشعب! وفي شؤون الحياة يتبعون ثقافة الشياطين؛ هؤلاء قصّار الهمم المردودون فطرة إلى اسفل سافلين، لدى التلبية لا اتصال لهم سوى باللفظ الذي لا معنى له، ولا مفهوم.

كم هم بعيدون عن حقيقة التلبية؟ ليس لديهم الأهلية و الجدارة للاصطفاف مع الاطهار.

على كل حال انتم يا زوار بيت الحق تعالى! راقبوا هذا الشعار بكل وجودكم اجيوا نداء مولاكم امنعوا وجودكم بعد هذه الكلمات النورانية والشعار الملكوتي عن اجابة دعوة الشيطان، والطاغوت، والشهوة، والاجنبي، والمستعمر، والانانية، واليهودي، والنصراني، والشرق والغرب وكل من يضر بكم وبدينكم.

لبوا بالحقيقة، اجيبوا نداء الحق بصدق، كونوا في هذا المقام بصحة وطهارة
اذ لو قُبلتم في هذا المقام؛ فقد قُبلتم؛ ولو رفضتم فأنتم من أكثر أهل الأرض
بؤساً.

اجابة نداء الحق تعالى بتسليم الروح:

كان لي اخ مؤمن، وكان مورد اطمئنان من كل جهة، كان متكفلاً خدمة
زوار بيت الله لخمسة وعشرين عاماً؛ كان الاطياب والاطهار يسعون ان يصاحبوه
في هذه الرحلة الملكوتية.

ذات يوم كان بمحضره حديث في هكذا بحث، حكى لي قصة عجيبة في

احدى رحلاته:

قال: صاحبي في احدى السنين بعض الزوار لاجل الذهاب إلى الحج عن
طريق العراق، الكل استقروا في الباص، كي يسافروا، في هذه الاثناء رجل
وزوجته وكان ساطعاً من وجهيهما آثار الوقار والادب والعبودية اقتربا من
السيارة لأجل الركوب، وكانا آخر المسافرين، وكانا قد سجلا اسميهما في
حملتي، من اصفهان.

اجلستهما باحترام في المكان المخصص لهما، احد المودعين اوصاني بهما

برعاية خاصة.

انجزنا الزيارة الممتازة للعتبات المقدسات في العراق، ثم توجهنا الى أرض

الحجاز لأجل الحج، وصلنا المدينة و أقمنا هناك مدة من الزمن، ثم تهيأنا

للذهاب إلى الميقات، فمن بين افراد حملتي تلك السنة، كانت حالة الرجل

والمرأة الذين ذكرتهما تختلف، لم يكن انقلاب الحال يمهلهما، ما ان وصلنا

إلى مسجد الشجرة، كان المتواجدون يتموجون، الكل وبسرعة كان يفكر في الاحرام، الرجل العجوز طلب مني مهلة، كي يغتسل، هيات له مستلزمات غسله، اغتسل وشد على نفسه قطعتي الاحرام، لم يكن البكاء يمهل، احضرته كي يقول التلبية، فسألني: ما معنى التلبية؟ قلت: التلبية تعني: يا الهي الرحيم! دعوتني إلى المجيء إلى حريم قربك وقد جئت، فقال آه؛ هذا معنى التلبية؟! قالها مرة أو مرتين في شدة انقلاب من حاله ثم أردف: يا الهي جئت، جئت. وفجأة سقط على الأرض، وبمتهى الحيرة تقدمت اليه، ووجدته قد فارق الحياة.

محرمات الاحرام:

الزائر إذا لبي، حُرِّم عليه خمسة وعشرون شيء، وحرمة هذه الخمسة والعشرين مرحلة لأجل ان يتهياً الإنسان ليصل إلى بعض درجات العبودية والاخلاص ويتمكن من الحضور في قدس ذلك الجنب وحرم ذلك المحبوب الحقيقي.

ليس معلوماً ان ما يجيء في توضيح هذه الخمسة وعشرين مسألة، ان يكون حكمتها واسرارها اذ عقلنا الناقص عاجز عن ادراك كثير من الحقائق، لكنه يستطيع ان تكشف عن صورة اجمالية لحقائق هذه المحرمات.

١ - صيد الحيوانات:

بدل توجيه الانتباه حين الاحرام، إلى الله، فان التوجه نحو الصيد هو إساءة ادب نحو ذات حضرة المولى، إضافة لذلك، في هذا المقام تحبذ للانسان رقة القلب والعاطفة والمحبة وهذه المسألة لا تتناسب مع صيد الحيوانات.

هذا السفر لأجل السير إلى المقامات العالية الإلهية، لا التفرج والتزهر، لحفظ النفس، لا سلب كائن حياته، للحب والعاطفة لا عدم الرحمة والقساوة. تيقظ، انك في مقام، تسير فيه الان بسفينة الامل نحو بحر الرحمة ومقصدك الاتصال إلى لطفه وكرمه، الصيد نوع من التزهر ويصدق عن الوصول إلى الهدف، من جهة أخرى فإن ابداء الحي ذنب في تلك الرحلة وقد نهى عنه مولاك نهياً مؤكداً.

من جهة أخرى فانت الان قد اصطادك عالم المعنى واجتذبك عالم الملكوت، فاتباع الصيد، تنزل من علو ذلك المقام إلى الحضيض وستنصل من ذلك الحریم العال، اسع ان تكون عينك التي تبصر الحق مفتوحة وراقب القلب عسى ان يتجلى فيه جمال المولى وينقذك من الاسر ويقبلك بحضرة.

٢ - النظر في المرأة:

نعم، في هذه الحالة الرفيعة والثمينة، ينبغي ان يكون نظرك إلى افق مقام القرب السامي، ويتوجه نظرك إلى التكاليف والمسؤوليات التي على عاتقك من قبل الحبيب.

انظر في أوامر ونواهي المولى وامتنع من رؤية الذات والنظر في الذات والاعجاب بالذات.

على كل حال لا تنظر هناك إلى نفسك اذ لو نظرت رؤية الهية، لم تبق لك ذات واساساً، لا ذات لك.

وان قدر ان تنظر إلى نفسك فانظر إلى النقائص والعيوب وانظر هل ان حضرة

الحبيب يقبلك مع كل هذه العيوب؟!!

في الحقيقة ان هنالك هو محل رفع العيب وغسل الباطن، هناك محل التحرر من ما سواه تعالى والاتصال به.

نعم، هناك للحظة وبكل اخلاص ضع إذن الاخلاص على باب القلب وتحقق، ماذا تسمع:

كل لحظة تأتي بشارات القلب من هاتف الروح، كل من تجاوز النفس يصل في النهاية الى الحبيب.

لا تسترح للحظة ليل نهار اطلب الرجولة إبع الألم، فجأة واذا تأدى الألم جاء بالروح الدواء الشفة يأتي.

لو طال عليك الطريق، فأمامك مرتفع ومنخفض، فلما ترك المداهمة يؤدي بك إلى النهاية.

هذا البيت حين ينهدم يعود معمورا، هذا الرأس حين يفقد انساقه. ينتظم فجأة، يا مبتلى يا مبتلى، إن كان في القلب أي وبلاء فزرق الضيف يصل.

الفكر والحزن والغم والأذى والتعب والألم، اي أن من يضع يطاء القلب فانما جاء بحكم وامر.

لو كان على القلب عبأ فهو عبأ هم الرفيق، في الرجل لو كانت شوكة فالشوكة من البستان.

٣ - رائحة العطر:

في ما حدث لك من سير، اجتنب استشمام الريح الطيبة للعوامل الظاهرية ولا

تشم سوى ريح الحبيب و وصال جنابه.

ابتعد عن ريح العطر كي ترتاح من ذكر الحياة المادية ومظاهرها، يا من أنت ضيف جئت لبستان ورد الرفيق، شم من العوامل المعنوية كي تكون قد قمت بتزكية وجودك من كل التلوثات، في رحلتك هذه قرب نفسك من الاطهار وطيب ريح بحريم الحبيب كي تقطف ورداً من هذه البستان المعنوية.

نعم، بادر إلى النظر له واستشمام ريحه كي وفي اللحظة الاولى تلك تفتح من شوقه، ويغمر كل وجودك السكر والنشاط وتستطيع أن تبدي بكل وجودك أمام حضرة المحبوب:

بريح ان يستريحوا لحظة في الحرم، يسهل لو اجتازوا الف بادية.
سبيل العشق تحمل الجفاء والتضحية بالنفس، ما الحيلة اذن ينبغي
تحمل القوي.

باب الفرار ليست مغلقة لكن نظره، اين يذهب الاسرى والقيود بارجلهم.
فداء لنفسك لو تطمع في نفسي، العبد المملوك يفعل ما يؤمر به.
حديث حسنك وقصة عشقي انا، ينيف على الف ليلي ومجنون.^١

٤، ٥، ٦ - لمس بدن المرأة، الجماع، التقبيل:

إن أهم مقدمات هذه البرامج الثلاث، هو النظر والتحديد في النساء وفي ذلك الحرم وبحال الاحرام لا يفرق ان تلك المرأة زوجة نفس الإنسان أو أخرى نعم، إن اقوى العوامل المقربة للإنسان من الشهوات الجنسية هو النظر الخاص.

لا يتردد أهل الحق في مسألة ان النظر لوجه ويدين النساء اللاتي حرمهن رب العالمين هو منبع ومبدأ كل المفاسد الهدامة للأسرة والمجتمع.

الإنسان الغربي مع انه مسيحيته ايضاً كانت غير متدينة، بيد ان هذا اللاتدين بعد عصر النهضة بلغ ذروة التحلل والانفلات، فجنس الرجل هم بعد الثورة الصناعية؛ بنحو عجيب على شخصية المرأة. فسلبها ستار عفتها، كي يتمكن من رؤية من شاء من النساء ويستمتع بها كيف شاء، ولا يواجهه أي مانع.

نعم، كان الإنسان الغربي يرى نفسه ممنوعاً من النظر إلى أي امرأة وفتاة وكان يرى أن هذه الممنوعة هي من الدين، فهدم اساس الدين واصول الاخلاق كي يسهل استحصاله على جنس المرأة من كل حيث ومن خلال الوصول إليها يتمكن من الاستفادة منها في ارضاء غرائزه الحيوانية مهما امكن.

ظهور المفاسد والخيانات غير المعهودة، سقوط الرجل والمرأة في وادي الضلالة، هروب البنات من محيط الاسرة، التجاء الغربيين جميعاً إلى شتى انواع التحلل، ظهور مراكز الفحشاء والمنكرات، اللامبالاة، والاستهتار، كل ذلك يدل على خطأ مسير حياة الغربيين والأعجب من حياة الغربيين، حياة المقلدين الشرقيين وبعض المسلمين منهم حيث وبلا تفكر وتعقل ودون الغور في حقائق وعاقبة العمل، يسيرون خلفهم.

جميع البلدان الغربية وبعض الدول الشرقية، تن من حكومة الفساد في كل شؤون الحياة وهي في ماتم تفسخ الاوضاع الاجتماعية والأخلاقية بسبب هذا التحلل.

الله وحده يعلم كم توجه من خلال ذلك من ضرر وأي ضربات خطيرة نالت حياة الإنسان في الكرة الارضية.

نعم، لو لم يتمكن الرجل من رؤية المرأة كيفما يحلو له والمرأة لا تتمكن من تكوين العلاقة التي ترغبها مع الرجل، سوف لن يحصل هذا القدر من الخسران.

في مدرسة الإسلام، اعتبرت مسألة حجاب وستر المرأة ومسألة المحرم والاجنبي في كل موضع واي وقت، من ضروريات الدين ومنكر ذلك مع علمه بكونه ضروري من ضروريات الدين، كافر نجس.

هذا الأمر القيم، هو سد عظيم بوجه الانحرافات والجرائم والخيانات والجنايات وشتى الامراض المضمرة والاخلاق الفاسدة.

حرمة اتصال الرجل بزوجه حين الاحرام على نحو لمس البدن، أو المجامعة أو التقبيل، هو تمرين للرجل والمرأة لاجل الاقتراب من جو التقوى الملكوتي، وفيه تزداد قوة ارادتهم لترك هذه البرامج الثلاث في المسير اللاشعري.

إضافة لذلك، ينبغي تحريم أي نحو من التلذاذ في هذا البرنامج على الرجل والمرأة، كي ينالوا إدراك وفهم لذة وصال المحبوب الحقيقي وينالوا تلك المنفعة الإلهية والخط المعنوي من مدرسة الحج.

٧ - تغطية ظاهر القدم:

انتبه انك في حرم قدسي، حرم يكتسب منه وادي الطور وارض سيناء النور، كموسى عليه السلام اخلع نعل التعلقات من قدم النفس والنعل العادي من قدم البدن، لا ينبغي لك ان تسير في هذا الواد الملكوتي بزينة وتجملات القدم كالحذاء والجورب.

﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾!

إن استطعت فتحرك محتفياً تماماً أو لا؛ سر نحو المسجد الحرام بنعل أو حذاء بسيط جداً بحيث لا يغطي ظهر القدم، كي تكون قد راعيت منتهى التواضع في محضره الكبريائي، وتخضع بلحاظ الباطن تدريجياً وتتهياً لسماع نداء حبيبك والآخذ بالقلب، من وادي سيناء القلب طور الروح.

إخلع حذاء المتكبرين من رجلك، إرم كل جلال وجبروت الظاهر الاعتباري من جميع وجودك، ناج وجود مولاك المبارك ودوام على حالتك المعنوية كي تسمع جواب ذلك الجنب من داخل قلبك، وعيناك تصبان على قلبك مع الشوق أو دمع الندم على ماضيك بمنتهى الذلة والتخضع تقدم إلى حريم قدسه، وأنت تقول:

الذي رأى وجهك فهل يعلم بحالي، إذ كل من سلمك قلبه ليس يصبر.
اي انسان وقفت عيناه على ذلك الجمال، يهبك القلب ويسلم على روحك.
كم أيام امضتها روحي المنتظر، برائحة ان تمضي ليلة حتى الصباح معك.

الا ان تستر وجهك انت اولا فغير ممكن، ان يصد نظره الانسان الذي يراك.

خذني بيد الرحمة من تربة العتبة، إذ لو القيتني فلن يقبلني احد ولو بلا شي.
اي حاجة لقتل العاشق، الى السيف، اذكر له حديث الحبيب، يسلم روحه.

نداء اهل القلب هذا الكلام، اذ ان سعدي، ليس كل من استمع اليه، يعرف

معنى الكلام.^١

٨ - القسم:

قواعد الإسلام الرفيعة تمنع الإنسان حتى في الظروف المعتادة من القسم، ما لم تكن حاجة لاثبات حق. وذلك ايضاً في محضر القضاء الشرعي.

ليس مما يُصدّق ان زائر بيت الحق تعالى والسالك إلى الله، وفي مسير الحج، ان يضيّع حقاً كي يحتاج إلى القسم، المجرم ممنوع عليه القسم في الحالة العادية ولن يبلغ به الحال إلى ما ليس معتاداً كي يتم البحث!!

الحجاج وبوحدة الحركة نحو حريم التوحيد بمعونة الإيمان والعشق يسرون، كلامهم هو الله لا سواه، وهم قد حافظوا على حرمة اسم الحبيب، ويجتنبون في كلامهم اتخاذ اسم الحق تعالى للقسم.

للزائر في حريم القدس ذلك، ليس له سوى ذكر الحق وتذكر الحق والسعي في قطع التعلقات الخاطئة.

ان احلى حقيقة للزائر، حقيقة تذكر المحبوب وكفى، ولا ذكر له سوى الالتجاء إلى محضر قدسه، تطرقاً إلى ذلك الملكوت.

٩ - الخاتم للزينة:

الزائر المُحرم عليه تجنب أي ادوات تجمل وزينة؛ رفيقه اراده بلا لون وبلا

تعلق وخرأ.

وان كان الخاتم لا وزن له لكنه مع قصد التزين، يصح ثقيل الوزن وهذا الثقل يقلل من سرعة الحركة المعنوية.

لا يريد المولى الرؤوف ان يكون مع الإنسان شيء مما يتأذى لانانية أو انحراف فكر، أو خراب، حال لتكن في حركتك حر البدن من التعلقات المادية والروحية طاهر ونقي من الرذائل، وعقل مرتاح من الشوائب، بحلقة خاتم؛ تجعل نفسك عبداً بأذن حلقة الأمور الدنيوية، اخل يدك من الأمور المادية كي يملؤها رحمة وعناية.

هنا يقبلون الذلة والمسكنة والفقر وحرقة القلب، هنا سوق القلب الخاشع، البدن الخاضع ودمع العين كالسيل والندم على الماضي.

١٠ - لباس الزينة للنساء:

تعلمون ان في غير مناسك الحج، تزين المرأة بمختلف الثياب وسائر الادوات من قبيل الذهب والفضة والجواهر لمحرمها، لا مانع فيه اسلامياً لكن بعد ارتداء لباس الاحرام والتلفظ بالتلبية، تحرم عليها كل الزينات، كي تتمكن بذلك ولفترة من الخروج عن حدود المادية، فتصبح الهية محضة وتتذوق لذة عبودية الحق خارج التعلقات المادية.

في تلك الأرض الطاهرة يجب ان تنتبه النساء إلى نداء سيدة الكونين فاطمة الزهراء عليها السلام؛ واليوم وبعد اربعة عشر قرناً لا زال يسمع من فضاء مكة والمدينة، حيث تقول:

«أفضل زينة المرأة الحياء والعفاف، وأن يرين النساء ولا يراهن الرجال»^١.

ينبغي للنسوة في كل مكان وكل حين وخاصة في هذا السفر تذكر حضرة الاحد تعالى ويعلمن انهن بابدائهن مفاتنهن، سواء في هذه الرحلة، أو في الحضر، قد جلبن آلاف البليات الهدامة إلى المجتمع البشري وأغرقت امة في الفساد والافساد.

نعم، ابتها المرأة في هذه الرحلة تمرني أكثر من ذي قبل على الحياء والعفة وترحمي على المجتمع وخاصة على جيل شبابه، اذ المجتمع وشبابه يقعون بسبب تكشفك في بثر؛ قد يبدو لهم احياناً أن النجاة منه مستحيل.

١١ - تغطية الرأس:

في حين السير من الميقات فالوصول إلى المنزل المقصود، تحرم أي تغطية للرأس بالنسبة للرجل.

القبعة، الغترة، العمامة، التاج... أي من ذلك لا تجعله على رأسك بمحضر الحبيب واعلم ان الكبرياء في كل مكان وزمان انما تليق بحضرة الحبيب تعالى. أي قبعة على رأسك، ارفعها، ازل عن رأسك غطاء التكبر، حرر طائر العقل من هجمة الغرور والكبر؛ كي تتمكن من التحليق في هواء الحقيقة وتكتسب لك معنى.

حقاً، أي عار هذا ان تبقى جوهرة الخلق، الشمينة، اعني العقل اسيرة في سجن الرأس العظمي.

الحج، موضع الحركة ومركز التحرر من السلاسل المرئية واللامرئية، لا تجعل مانعاً امام الفكر والتعقل، بعون حضرة الحبيب وعناية حضرة الرب خلق طائراً في ملكوت العالم وأنشد في ذلك المحضر الطاهر والحريم القدسي ومشهد المعنى:

يا الهي املاً قلبي غمماً، تكرم بباطن مربي الألم.
اجعلني اسكر من صهباء الشهود بحيث، لا أعرف الرأس من الرجل
والرجل من اليد.

الرأس الحالي من العشق، ليكن من القبر، كل من يرى غيرك يعمى.
اخطأت غيره من ثم، اين لغيره اسم او رسم.
ماذا اقول من جمال شمسه، اذ عين اللامحجوبة عدا حجابيه.

١٢ - ازالة شعر البدن:

في هذه الأرض وحين ممارسة البرامج الإلهية، لا ينبغي ان تقل من رأس
احد شعرة، بإزالة شعره واحدة من بدنك والآخرين، يتأذى الجسم وهذا القدر
من ايداء الذات والآخرين، ممنوع أيضاً.

لو اهتم بهذا الامر الرفيع، فسيعلم، ان بعض اعمال الحج، تثير حس الحب
البشري والترحم في الطف مرحلة بقلب الإنسان وتمنع الإنسان في مسار بحيث
لا يؤذي شخصه والآخرين حتى بقدر رأس إبرة وشعرة.

هل تجدون في المدارس الاخرى هكذا قواعد للحفاظ على حقوق الإنسان
ولو في حد شعرة واحدة.

المدرسة الوحيدة التي لا تسمح للإنسان، التلوث قدر شعرة بالعدوان هي
مدرسة الحق والشرعة الإلهية.

١٣ - الكذب والمفاخرة والبذاء:

لا ينكر احد من البشر قبح الكذب، فهو يقتلع من الجذور الثقة والاطمئنان في

حرم حياة المجتمع ويوجه إلى هيكل الحياة ضربات قاصمة.
الكاذب، قد لعن في كتاب الله وحرمان الكاذب من عناية حضرة الحق من
ابرز الشواهد على قبح هذا الذنب.
الكذب، من وجهة الإسلام في كل مكان وزمان - عدا خصوص موارد حفظ
النفس أو المال أو العرض وذلك في مسير الحق - ممنوع وحرام.
اعلام حرمة المسألة حين الاحرام لعله الزائر بتمرين ترك هذا الذنب قد
يتمكن من التخلص من هذه البلية الهدامة وتقطع جذور هذه القذارة، من ارض
وجوده.

التفاخر على الاخرين امر مذموم، اذ الناس كلهم من اب وام ولا تفاضل
بينهم سوى بالتقوى والصلاح وهذه الطهارة والصلاح، هو زاد الآخرة لا ينبغي
ان يكون سبباً لتعجب الطاهرين والاطياب.
الشارع المقدس قبل اربعة عشر قرنا قد اعلن بصوت بليغ ان لا فخر للعرب
على العجم، ولا للأبيض على الاسود، ولا للغني على الفقير وولا للأمر على
الرعية.

الفحش في القول والكلام البذيء من فعل اناس عديمي الإيمان وضعيفي
البيان، وقد ورد في الروايات الإسلامية الرفيعة:

أن الفحش في القول هو من عمل غير المسلمين.^١

القرآن المجيد منع الناس في اصوله الاخلاقية والتربوية عن الفحش حتى

١- تستطيعون الرجوع إلى آيات التي تمنع وتنهى عن الفحش في القول في كتاب؛ مستدرك

بالنسبة إلى الاعداء، المسلم الذي يؤذي الآخرين بالفحش وكلام السوء ورد في تقييم اولياء الله، انه ليس مسلماً.

١٤ - الاكتحال:

حقاً ليس حسناً، بعدما اجتذبت الجذبة الإلهية والنداء الطاهر لسفيره ابراهيم عليه السلام؛ الإنسان إلى مشاهدة المعاني السماوية الرفيعة، أن يصرف وقته في الاكتحال بدل المشاهدة.

تعلمون ان الاكتحال للرجل والمرأة يمثل زينة ولاجل جذب انتباه الآخرين وتغطية عيب العين والحاجب.

الموضع الذي ينبغي فيه جلب انتباه حضرة الحبيب هو محور للعمل، فلا حاجة إلى كحل، فأفضل كحل، هو الخلوص في العمل؛ وأجود وأرفع زينة، هي التقوى والتزاهة.

١٥ - تغطية المرأة وجهها:

أي درس عجيب، و أي ارضية محكمة للتربية، حيث يقال للرجال: في هذا الاجتماع الكبير حيث يجتمع الرجال والنساء في محيط واحد، اجتنب النظر لوجه المرأة إذ ان النظر إليها حرام ويقال للنساء: لا تسترن وجوهكن.

ما يجتذب الرجل بكل وجوده نحو الشهوات، يدعونه في متناوله امامه، ثم يخاطبونه: لا يحق له الاستفادة منها ولو بنظرة.

نعم، هذا سبيل إحياء شعور التقوى في جنس الرجل، نعم، حريم الإيمان العظيم ووادي المعنى، في هذا الحريم لا تلوث نفسك اذ ان الذنب ذلك

عظيم وعبؤه ثقيل جداً.

جَنَّبَ البصر كل المناظر الجميلة، حتى وجه زوجتك أنت، كي تنال ادراك الجمال المطلق وتتوقف لمشاهدة وجه الحبيب ببصر القلب.

١٦ - تدهين البدن:

في مراسم الحج الرفيعة، ينبغي ان يكون كل جهد الزائر في أن يخلص نفسه من القيود والاعراف المادية ويفرق كل وجوده كالسمكة في ماء بحر الرحمة. الإسلام العزيز يريد من الإنسان في كل شؤون الحياة ان يكون لله ويحيى لله. وجوب الصلوات اليومية لاجل ان لا ينفصل الإنسان حتى ليوم واحد عن عالم المعنى.

مراسم الحج هو لأجل ان تتقوى في الإنسان حقيقة العبودية، وتكبر الطاقة المعنوية، في برنامج الحج من وقت الاحرام لا يسمح بتدهين البدن كي لا تبتعد حواس الشخص والآخريين، عن حريم حضرة الحبيب

١٧ - الاستظلال:

السير من الميقات حتى الحرم مكشوف الرأس وتحت الشمس المحرقة، احد برامج الحج الهامة.

حينئذ يتذكر الإنسان المحشر الاكبر والقيامة العظمى.

زوار بيت الحبيب! هنا ليس محل تظليل الرأس اذ تظلل على رأسك الرحمة والعناية واللفظ والمرحمة.

تحمل ذلك المعنى ربما لاجل ان يبتعد الإنسان عن الكسل والترهل وتتحرك عجلة وجوده للنشاطات الرفيعة الإلهية.

الحاج بعد ان يحرم في الميقات، حيث يقصد السير نحو الحرم، ما وجد في نفسه القوة والقدرة، ينبغي ان يتحرك في الفضاء الحر.

انكشاف الرأس، التحرك بقطعتي قماش، وتحت شمس الحجاز المحرقة هو رياضة شرعية وتحمل مشقة الهية.

رأس مكشوف، قلب كسير، هم الابتعاد عن الوطن والزوجة والأبناء والاصدقاء، يؤدي بالإنسان إلى ما يعجز المرء عن بيانه.

كم هو ممتاز؛ لو وجد الإنسان في أهل القافلة، شخص ذا قلب معنوي، وبالاتصال بحاله يتغير هو حاله؛ ففلت من الفراق فيأتي في جو الوصال ويتقدم تجاه حضرة الحبيب:

قلبي في تذكرك الحبيب، لا خير له عن العالم، رأسي لا يحسن سوى السكر.
لا نحسن نحن سوى السكر، لا يحسن احد شيء الا من لا خير له عن ذاته.
انما يعير السكارى من لم يذق السكر، هو ذاته كل العيب ولا خير فيه.
إن جئت باللوم او من باب النصيحة، ماذا تفعل بمثل العشق اذ لا تأثير كذلك فيه.

انت كونك زاهداً اجتنب، انت كونك عابداً يقظان في الاسحار، رأسي
ثمل دائماً ولا سحر لليلي.

انا وبازي العشق قد قتلنا في العلم والزهد، بخراب القلب هذا اولا ثم لواحد.
قلبنا مسرور وبهيج بكل ما يفعله الحبيب، لا يحزن فيض من عدم تأثير الدعاء.^١

١٨ - ايداء الحيوانات:

في برنامج الحج حتى الحيوانات أيضاً ينبغي ان تتمتع بالامن والامان، في الوادي الآمن ينبغي أن يكون أي ذي حياة مصوناً من شر الإنسان. حماية الحيوانات في ذلك الحريم وحفظ حقوق الأحياء في ذلك الوادي المقدس له صورة حقيقية، خلافاً لإدارة حماية الحيوانات في الغرب التي باطنها وظهرها نفاق ورياء.

الغربيون من ناحية يشكلون جمعية حماية الحيوانات، ومن ناحية أخرى في البلدان التي اسروها استعمارياً، يلطخون أيديهم يوماً بدماء مئات الاشخاص بجرم المطالبة بالحق، نعم بجرم المطالبة بالحق.

١٩ - الاستمنا:

في حال الاحرام، البدء في عمل يكون قبل الاحرام أيضاً من المحرمات الدينية الشديدة، هو عمل قبيح جداً وفعل ذميم غايته. لا أظن ان أحداً من الزائرين يصاب بهكذا برنامج قدر، عدا الشخص الذي قد اولج نفسه خطأ في عداد ضيوف الله!! هذا البرنامج احد المستوردات من ثقافة الغرب المضادة للانسانية ولو أراد الإنسان، ان يشرح مآسي هكذا برامج، فسيربوا على عدة مجلدات. عوامل تحريك الشهوة وايقاع الناس وخاصة جيل الشباب في المعصية والذنوب؛ هي إلى حد يعجز أي عاد عن احصائها. أكثر أهل العالم اصبوا باللاطهارة في كل شؤون الحياة وتورطوا اثر أنواع المعاصي في مغالقة مخوفة.

طريق الفحشاء والمنكرات أصبح بكل صورة مفتوح على الناس، العالم مصاب بالحيرة. حل بالبشرية بلاء بحيث وكأنه لا سبيل لهم غير الوقوع في ورطة الهلكة.

في غد القيامة مديري الكرة الأرضية، أي جواب سيكون لهم بشأن كل هذه المفاسد الذين كانوا هم أشد عوامله؟!!

عمل الاستمناء الذميم الذي عد ممنوعاً في المدرسة الإلهية كل حين، أكد عليه في برنامج الحج أيضاً؛ إذ هو عمل لا عائدة له سوى كسر أركان البدن وشمل حركة العقل والروح.

٢٠ - العقد والشهادة له:

الورود بلباس الاحرام وثم التلفظ بالتلبية وفي الحقيقة؛ ان يصبح محرماً، هو لأجل ان لا يفكر الإنسان بغير حضرة الحبيب ولا يعقد سوى عقد وصله ولا يشهد على شيء سوى عالم ملكوته.

هناك حيث نور الحق يتجلي، فعلى الإنسان ان يفيد من ذلك التجلي بوصفه افضل وانفع فرصة، عليه ان يتحسر على ما ماضيه، ويغتتم الحال الفعلي ويفكر في مستقبل نير وملكوتي، لعله بانقلاب الحال هذا، يتمكن من تأمين اصول سعادة الدنيا والآخرة.

٢١ - لبس الثياب المخيطة:

لو كان لبس أي ثياب حرأ، حين اداء الحج، كانت من جديد اتباعاً للهوى والنزوع، وكانت ستطرح من جديد مسألة الالوان والتظاهرات والمفاخرات. ولم يكن هدف الحج الأصلي قد تم.

وحدة لون اللباس وعدم تخيطه، لاجل تفهم الإنسان، أنكم جميعاً من حقيقة واحدة، فلون القومية والتعلقات الظاهرية، ليست سبباً إطلاقاً في امتياز طائفة. التميز العنصري حصيلة الكفر والشرك والالحاد، وعار كبير على جبين حياة الماديين.

٢٢- ٢٣ - ٢٤ - قلع السن، تقليم الاظفار، اخراج الدم من البدن:

حين يلبس الزائر لباس الاحرام ويلبى، عليه التنبه لسلامة وامن ظاهره وباطنه ولا يلاحظ غير استحصال عناية الحق واخذ عطية الله والخروج من الذنب. نعم، حين ورد ضيف حضرة الحبيب؛ بلباس الإحرام أي اللباس المخصوص بالضيافة، فقلع السن، أو تقليم الظفر، أو اخراج الدم من البدن، هو خلاف الادب والوقار وشرائط الضيافة، الضيف الحقيقي ضيف، يغض حتى بكل وجوده عن النعم ولا يراقب سوى صاحب النعمة.

٢٥ - حمل السلاح:

مسير الحج وخاصة من الميقات إلى الحرم والى ختام الاعمال والمناسك هو مسير آمن، وهو مسير السلامة والصواب، ومنظر ملكوتي وعرض لجنة الخلد. طريق فيه ممنوع حتى ازالة الشعر واخذ الاظفار واخراج نبات الحرم وكثير من البرامج، ذلك انه في هذه الضيافة ينبغي توفر الامن من كل الجوانب. في هذا المسار؛ الكل مسؤول ومكلف باقامة المهام الالهية والانسانية، فالسلاح في المسار هذا، هو الإيمان والارادة، التي ينبغي استعمالها ضد العدو؛ ظالم الحقائق، الشيطان الرجيم الذي له تنفذ في الحياة بمختلف الاشكال. السلاح الأسمى في هذا المسار، هو الدعاء الذي ورد في المأثورات

«الدُّعاء سلاحُ المؤمن»^١.

نعم في جميع مواقف الحج، ينبغي رفع يد الحاجة إلى باب الغني تعالى والطلب منه، بأن يغفر الذنوب وطلب خير الدنيا والآخرة لنفسه ولكل مسلمي العالم.

حريم الأمن:

قافلة النور، بعد الاحرام والتلبية والتوجه إلى محرّمات الاحرام، بقلب ملؤه الصفا وعين دامعة ونية خالصة، تسير نحو حريم امن الحق تعالى.

مع أول نظرة للمتجهين لمدينة مكة، عليهم، ان يتذكروا ان هناك محيط امن، محيط نور، مركز وحي، مهبط الملائكة ويتضمن قبة العبادة.

نعم، فإنهم يردون منطقة الامن والامان، منطقة هم آمنون فيها من أي ظلم وعدوان، وهنالك حيث يجب وبكل الوجود، أن يجتهدوا للنجاة من عذاب القيامة.

يصلون محيطاً ينبغي الاستغراق في كل لحظاته في الحق تعالى، والتحقق، وقول الحق واستماع الحق، والعودة إلى الحق، عود، عودة له.

يكونون في محيط ينبغي لهم استبدال أسي الفراق بحلاوة الوصال ويرفعوا بتوفيق صاحب البيت كل الحجب عن بصر القلب وعين الروح.

على الزائر في اول ما ينظر إلى مدينة مكة، ان يتذكر بان هذه مدينة جعلها الله تعالى استجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام محلاً آمناً ورفع شأنها حد أن أقسم بها، وقال:

١- الكافي: ٤٦٨/٢، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، حديث ١؛ عيون أخبار الرضا: ٣٧/٢، باب ٣١،

حديث ٩٥، بحار الأنوار: ٢٨٨/٩٠، باب ١٦، حديث ١.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾^١.

الزائر يرد بذلك الوضع الروحاني، محيطاً هو آمن لكل شيء، محيط أشجاره تأمين من التعدي دون ان يحيطونها بحصار حفاظاً، حتى الاغصان والجذور والنباتات في امان جميعاً.

الحرم، أربعة فراسخ بأربعة فراسخ، وقد جعل الله ذلك محيطاً آمناً إلى حد ان غصن شجرة لو كان خارج الحرام فلحرمة ان جذرها في الحرم فليس يمكن قطعها أو قطف ورقة منها وكذلك لو كانت شجرة خارج الحرم وكان غصن منها قد دخل الحرم فليس يمكن المساس بأي ما لتلك الشجرة.

محيط تأمين وحوشه وضباعه في الأربعة فراسخ ومصونة من التعدي، لذا لا تروض ولا يصح ترويضها، او جعلها تستوحش، ولا ينبغي العمل بنحو حيث تنفر من الإنسان، وفي هذا المحل لا يصح تنفير صيد حتى بإشارة عين!!

محيط؛ طيور في الجو تحتك بالركاب ولا تنفر، والحال ان خلف الجبال وفي الصحاري وفي كل بقاع الأرض، يخافون من البشر، بينما في هذه المنطقة حتى الطيور الملتجئة ايضاً قد اعطاها اماناً بحيث يلمس ركاب طريق مكة رؤوس الطيور ولا تنفر، مع أن للطائر جناحاً للتخليق. وليست قدمه في الطين كي إذا خاف، لا يستطيع أن يطير.

محيط؛ إذا ما كان خارجه غزال متجه نحو الحرم، وإن لم يصل إلى الحرم فلا يمكن استهدافه، أو ان يدل شخصاً عليه كي يصطاه، حتى برمشة عين؛ وايضاً لا يصح ايصال ضرر إليه كما لا يمكن بإشارة العين تفهيم شخص كي يؤدي ذلك الحيوان.

محيطاً، لو استقر طائر فيه على غصن شجرة كانت جذورها نابتة في الحرم، لا يجوز استهداف ذلك الطائر، أو إذا كان على غصن شجرة امتدت داخل الحرم! محيطاً، لو نَفَّر شخص مجموعة من الحمام، فعليه إصلاح ذلك بدفع شاة كفارة، ولو ذهبت المجموعة تلك ولم ترجع إلى موضعها، فعليه تعويض كل حمامة بدفع شاة غرامة، محيطاً لو صدر فيه من شخص ظمماً كان في حد الاحاد والخروج عن الحق وبمنزلة اللاتدين.

محيطاً، لو رأى شخص امامه مال ليس له مالك، فلا يحق له حمله وحتى لا يحق له مسه باصبع قدمه.

فالزوار بعد دخول هكذا محيط، وهو ما يعبر عنه بالحرم، يتحركون نحو المسجد الحرام تدريجياً لأداء المناسك. ويتحركون لرؤية ذلك الموقع المبارك المقدس واقامة مناسكه.

الزائر بعد طي الطريق يصل إلى درب المسجد الحرام، هنا ينبغي له وبكل ذلة وانكسار وحياء وخضوع وخشوع، ان يضع خده على جدار المسجد الحرام، ليقول:
«اللهم البيت بيتك والحرم حرمك والعبد عبدك»!

الزائر بعد دخوله المسجد الحرام، يقع بصره على الكعبة، نعم الكعبة التي لاحد لجلالته وعظمتها، حيثئذ ينبغي تذكر كل لحظات عبودية الأنبياء والأئمة والاولياء عليهم السلام وخاصة ابراهيم واسماعيل ويكون بكل وجوده مقتفياً لهم ويتحرك نحو الحقيقة الحقة الإلهية، كي يؤمن لنفسه في هذا المسار وهو مسار العبودية والخلوص، خير الدنيا والآخرة.

دروس من زيارة الكعبة:

أي لحظة جليلة لحظة رؤية الكعبة، من ذا يستطيع وصف تلك اللحظة، لحظة لقاء بيت الله، نعم لقاء بيت الله، اللقاء ليس يمكن في كل لحظات العالم ان نجد لحظة، اثن منها، في هذه اللحظة ينبغي النظر إلى الكعبة بنظارة آيات كتاب الله والمعارف الإلهية.

عندما يكون النظر بمرآة الآيات والمعارف، سنرى ابراهيم في مرآة الكعبة، الرجل الذي بنى وابنه هذا البنيان، وجعل اساس ذلك، الخلوص والتقوى والتضحية، نعم ينبغي النظر بدقة كي نجد ابراهيم عليه السلام من الجو المعنوي لبنيان التوحيد هذا وبعد وجدانه، ادراك رموز العبودية لديه ومبادئه المعنوية وان لم يكن كذلك، كانت زيارة ناقصة بل سياحة.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ

إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ﴾^١.

جعل مثابة؛ أي محل رجوع، مثل جعل الامامة؛ ما قد بينه في الآيات الشريفة قبل هذه الآية، بحق ابراهيم عليه السلام، الامامة التي يجعلها الله، كي تتوجه القلوب إليها وبعد توجه القلب، تستقيم عقيدة الإنسان وعمله واخلاقه بظل قيادة الإمام الحق، كي في النتيجة يمتلئ العالم عدلاً وقسطاً ويطوى بساط الظلم والخيانة. جعل البيت مثابة ايضاً هو وفق الانجذاب النفسي الانساني إلى محل الأمن والعدل.

النفس الباحثة عن الحقيقة بطبيعتها، هذا البحث كالبحث عن الإمام والتوجه

لهكذا بيت كي يوقظ فطرة طلب الحق والعدل من الجواذب والرغبات الباطنية للانسان وهي تنفعه.

كما ان اناساً يتجهون نحو الشهوات والترفع والمحيط المناسب لذلك، هنالك اناس ايضاً؛ وتحت قيادة فطرة وتربية الأنبياء يسعون إلى رفع مُثُل وقيم الإنسان وتقويتها ويوصلون انفسهم إلى محيط الخير والحق.

إذن هكذا دافع للرفعة والاستعلاء هو من طلبات الفطرة، بل هي الطلبة والجاذبية البشرية الوحيدة؛ وباقي الدوافع تأتي من الجذور النفسية والحيوانية.

«للناس» في الآية يدوا أنها اشارة إلى جهة الإنسانية ذاتها، هكذا دوافع ومبادئ انسانية رفيعة بما أنها بقيود وغرائز مادية، تسعى لاستنقاذ نفسها من هذا القيد وايصالها إلى ما ينبغي من كمالاتها، لذا ما ان يعرف الإنسان الإمام بابتلاءاته المعنوية واتمام كلماته، فسينجذب إليه ويبغي الدخول في ولايته.

﴿وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^١.

ترون ان الظالم خارج من هذا الحريم، واكبر ظلم على النفس، هو صدها عن معرفة الإمام والقائد. وأن من لا يجعل نفسه في حريم الرؤية فهو ظالم معتدي. على كل حال بما ان الإمام وبتلاءاته واتمام كلماته ليس موجوداً بنحو الظاهر، فالصورة عن ولاية الإمام، هو هذا البيت نفسه مما يصور ويجسم بنيانه ومناسكه وآدابه معنى امامة ابراهيم عليه السلام، ذلك التصور الذي ليس له الضرر

الفكري والعقدي وقطع الطريق مما للمجسمة، ليس يبدي الشمائل الظاهرية فقط ولا كالكتاب مجرد يشرح الاحوال، هذه المدينة وهذا البيت وهكذا مقاصده ليس خارجة عن المبادئ الرفيعة، هذا البيت بكل آدابه يرسم تصويراً عن وجه ابراهيم في اعلى ما تصور المعنوية في الضلع الظاهري في الخيال ويلحظ الإنسان نفسه حين الأداء للمناسك مواكباً لابراهيم ومتناغماً معه وواقفاً على افكاره الرفيعة وتلك الكلمات التي انبعثت من ضمير ابراهيم وابتليت بها صورته وسيرته حتى اتمها وهي تنبعث في ضمير كل انسان يطلع على رموز هذا البيت ويلحظ فيه حقيقة ابراهيم، نعم من خلال ذلك ينبغي ان ينشر سنوياً نحو مليون انساناً ابراهيمياً في كل بقاع الأرض ويبثوا نداء التوحيد بكل شرائطه، مثل ذلك الإمام العظيم، عالمياً لكن يا للأسى...

في حال تنبه الادميين، على صورة ابراهيم المعنوية، فإن إمامته تجعل قلوبهم المستعدة، تتابعه.

صيرورة هذا البيت مثابة أيضاً، هو عبارة عن خطوط العبودية لدى رجل التوحيد العظيم ذلك، تجتذب إليه نفوساً مستعدة، كي في خضم الحياة تهوي وتتوجه إليه مما بعد أو قرب وتحرر هناك كي قليلاً قليلاً يحكم الحق وكلماته وجود الناس وتحرر النفوس من المناوشات والتشويشات ومختلف الجاذبيات والمخاوف مما ينشأ عن العجب والنفعية والاستعلاء وتجتمع بطمأنينة وأمن الهي «وأمناً».

بعد التوجه والتردد المتواصل يتبدى الوجه الحقيقي لابراهيم عليه السلام وقيامه بكل كلمات ومهام الامامة، ومن بين بناء البيت وحجره وطينه، يظهر ابراهيم، كما ان

صورة الرجال المضحين ونماذج الغيرة والوطنية، أو الضعة والشهوة، توقظ العواطف والوطنية والشهوة، ينعكس وجه ابراهيم عليه السلام وهو يؤدي المناسك بمرآة روح الإنسان كي يظل هذا الانعكاس، يوقظ فطرة عبادة الله والنهوض بالمهام الإنسانية وتظهر وتبتديء في صورة وحال اداء الصلاة:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾^١.

نظرة أخرى على امامة ابراهيم عليه السلام في زيارة الكعبة:

﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
وَالْمُكِنِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^٢.

وضع محيط حياة ابراهيم عليه السلام:

فتح ابراهيم عليه السلام عينيه في محيط قد غمرت كل آفاقه، اوهام الشرك وعبادة النجوم.

كانت الابنية المجللة، هياكل الاصنام والنجوم شاخصة نحو السماء من كل صوب وكل علماء النجوم وممارسوا الغيب ممن كان يلبسون الثياب البيض ووجوههم مهيبه، يتكفلون الحفاظ على هذه المعابد والهياكل، قد كانوا سخروا كل القلوب، كان سكان تلك البلاد مصابين بأوهام قد امتزجت بعلوم ذلك الزمان. وتجذرت في النفوس بالتقليد والتعظيم.

كانت كل الطبقات تطأطأ رؤوسها للتعظيم امام هذه الأصنام التي هي صورة

١- البقرة ٢: ١٢٥.

٢- البقرة ٢: ١٢٥.

زعماء الماضي ونقش الربوبية وتدبر النجوم وتعفر جبهتها للتضرع، بأي ذهن كانت تنطرق فكرة غير ما يفكر به الجميع، واي عين عقل كانت لترى غير ما يراه الجميع واي نفس كان باستطاعتها التخلص من تلك الاوهام والوقوف على بطلانها واي لسان كان ليجتريء فيقول كلمة خلاف واي ارادة كان بوسعها الصمود امام ذلك؟!!

بيان القرآن حول ابراهيم عليه السلام:

هنالك آيات من كتاب الله تشرح مسائل مختلفة عن ابراهيم عليه السلام وابتلاءاته، مضمونها كالتالي:

بعد ان طلعت كلمة الحق في وجوده، بادر إلى محاجة من تبناه أو بتعبير جمع من المفسرين؛ عمه، ليطرد اوهام الشرط ويدينها وتتكشف لديه قدرة ملكوت السماوات والارض إلى ان يبلغ مرحلة اليقين، عندئذ يستخرج نفسه من محيط انبعاث الشرك ذلك.

في محل خلوته، يلحظ الطلوع والغروب ويفكر ما للنجوم من نور، بعد إظهار الملكوت وظهور قدرة الربوبية، يدرك توحيد الربوبية.

إن ما صد الناس عن مبدأ الخلق، كان شرك الربوبية واتخاذ الارباب لا الشرك في المبدأ والصانع.

فإبراهيم عليه السلام بملاحظة طلوع وغروب النجوم وكونها مسخرة، يحاول إزالة غبار افكار الناس بشأن روحانية وتدبير و ربوبية النجوم مما كان نشأ عن اوهام المحيط، عندئذ اعلن تجلي هذه الحقيقة وتوجيه وجهه تلقاءه تعالى واطمأن قلبه من الاضطراب والخوف وخلد إلى الامان ولم يخش التهديد من الآلهة

المصنوعة وباقي الارياب التي لا تأثير لها.

هذه الآيات تبين كيف ان كلمة الربوبية قد تقدمت بابراهيم عليه السلام من محيط الشرك حتى مقام مشاهدة الملكوت وتوجيه الوجه والطمأنينة واكمل هذه الكلمة وبعثته كلمة رحمة من مستقر الأمن والطمأنينة لانقاذ الخلائق من الاغلال التي قيدوا بها عقولهم فتأدت إلى ان يعبدوا غير الله ربهم، حتى نهض بلسان الدعوة والاحتجاج وسار بين اولئك الضالين.

مقام امامة ابراهيم عليه السلام:

نعم، انه بعد كل ذلك الابتلاء واتمام الكلمات اختيار لمقام القيادة والامامة، كما استفاد من مضمون الآية مفهوم لفظ «اماماً» واطلاقه امام هو المثال الكامل بجميع الكمالات العقلية والنفسية والبدنية وبما أن كل هذه الخصوصيات والابتلاءات لم تذكر لمقام النبوة والرسالة، فينبغي كون مقام الامامة فوق مقام النبي والرسول الذي لم يتم الكلمات ولم يبلغ مقام الامامة.

الآن وقد تنبّهت لكفاءة ابراهيم عليه السلام فاهتموا بدلالات الآية الشريفة كي تتعرفوا أكثر من ذي قبل على حقيقة المناسك.

وان كان الوجه الواقعي وحقيقة الإمام وحسب اقتضاء النفوس وتطلبها ظاهراً حيناً وخفياً حيناً آخر، بيد أن مظهراً وصورة من مقام الإمام المعنوي والفكري ينبغي ان يكون محسوساً باقياً أو ان تستقر خطة الامامة استقرار دور ثابت وهي اكبر دور واكثره تأثيراً لقيادة وكمال الخلق.

لو صفت مجسمة الإمام، كما يصفون مجسمات لابقاء واحياء ذكرى الابطال ومفاخر التاريخ والاستلهام منهم، هو بحد ذاته قطع الطريق في حريم التوحيد

والتعبد للحق تعالى، واخفاء المعنى تحت الجسم ونزوعاً إلى الصورة والجاهلية والضلال مما نهض ابراهيم عليه السلام إلى تحطيم مجسماته.

ينبغي ان يصنع بنياناً يعلم العباد بكل شؤونه خطوط العبودية للحق تعالى وتشير إلى صورة الامامة وقيادتها للناس لاجل هدايتهم نحو الحق تعالى.

هذا البيان طبعاً يجب ان يكون بنياناً بسيطاً من غير زوائد وبإسم الحق والتوحيد ونقياً من الصورة والاهام البشرية ويمثل فكر وتعقل وابتلاءات ابراهيم الإمام عليه السلام المتقدم.

وعلى الله ان يحفظ بنياناً كهذا بكل شؤونه ويحافظ عليه ما كان نظام العالم قائماً، كي يعرض صورة وخطة إمامة قائد الموحدين ذلك، وتتم الحجة على العباد، كما أتم الكلمات على ابراهيم نفسه وهكذا بيان دون زوائد، لن يقام على بسيط الأرض والى الابد ولا يدل على خطوط التعبد العليا إلا بأمر وعناية مقام الربوبية الرفيع.

﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾!

بما أن ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام قد طهرا حرم فكرهما و نفسيهما من تلوثات الدنيا المغبرة آتئذ جنباً نفسيهما الشرك والاهام والذنب والقذارات وتجلى لهم التوحيد الخالص، كان هذا التجلي ذلك العهد الذي تحقق هما به وعليهما بهذا العهد ذاته تطهير حريم البيت الذي اقاماه بأمره تعالى من كل تلوث ومن آثار الشرك وتكون منظومته خالصة لله ولاجل تطهير النفوس.

كما ان أي اسلوب وطريقة تؤدي إلى المقصود، يكون عهداً محققاً على

السالك ان يتخذ دوماً ذلك السبيل ويكون السبب في تمسك الآخرين أيضاً بذلك، ويرفع الموانع دائماً عن طريق السالكين.

بما أن هذا البيت مضاف ومنسوب إلى الذات الالهية «بيتي» ومناسكه هو ظهور وتمثل لذات النهج الذي اتخذه ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام، فتطهيره من لوث الشرك والانصراف عن غير الحق تعالى، أول شرط في الطريق وسالك الطريق.

تطهير بيت الله و مناسك حجه من كل ما يصرف الذهن عن التوحيد، وما يثير العاطفة وتأليه الغريزة ويعصف بالأمن الداخلي النفساني ومحيط الخارج، التطهير من كل ذلك، هو مما يستفيد منه هؤلاء المصطفين ويُمهد لهم الطريق، والحاصل ان هذا البيت وآدابه وواجباته وحتى حركات وفكر الحاج، كل ذلك يجب أن يكون ظاهراً!!!

نعم، ينبغي للبيت أن يكون طاهراً من كل الشوائب واوهام الشرك والقذارة:

﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^١.

كأن هذه الاوصاف الأربعة الواردة في الآية، اشارة إلى مقامات ومراتب مما قد مر به ابراهيم عليه السلام، وما تجلى الحق تعالى للسالك في هذا المسير في رحاب العبادات الخالصة، إفرادته وفكره التي اتصالتها على الدوام بالمنافع والشهوات الفردية تتصل بالحق تعالى وتصبح كأجزاء العالم الصغار والكبار تدور عندئذ حول مركز الحق تعالى والنفع العام.

هذه الحقيقة تصبح في عالم الشكل، تكون على نحو الطواف حول البيت

المنسوب إلى ابراهيم والمنسوب والمضاف إلى الله. إذ أن الطائف لبيت الله، اثر التوجه إلى حقيقة المسألة وجذب البيت روحانياً، والتحرر من الجواذب النفسانية والشخصية كلياً ومشاهدة الحق من كل جانب وكل جهة، فسوف يلزمه ويعتكف فيه.

﴿الْعَاكِفِينَ﴾ أو كما جاء في سورة الحج: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾^١ كأنها تشير إلى القيام بالحق والمهمة التي بعد الطواف، عندئذ ينصرف العاكف أو القائم عن نصف وجوده أو أكثر وعن العالم، ويفنى في ضوء العظمة والقدرة وينحني امامه ويركع تقرباً إليه ﴿وَالرُّكَّعَ﴾.

بعد ان انغمس في انوار العظمة تماماً، ينفذ في هيئة السجود، عن كل شيء، جاعلاً رأسه على التراب ويفقد وجوده امام الإرادة الأزلية، ﴿السُّجُودَ﴾.

لمحة عن عبودية ابراهيم واسماعيل عليهما السلام:

ما ان يدخل الزائر المسجد الحرام وينظر إلى الكعبة فعليه أن يتذكر ان ابراهيم واسماعيل حينما أعدا البيت طلبا من حضرة الحق تعالى؛ حقائق؛ أخبر الله ذو العزة عن تلك الحقائق في الآيات:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ
 سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
 الصَّالِحِينَ ﴿١﴾.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾.

دعيا وطلبا، الدعاء الذي يظهر خضوعهما وانقطاعهما، ويكشف الستار عن
 سر قلبيهما و جرى على لسانيهما كونهما مقهورين امام عظمة وإرادة الحق،
 بحيث استصغرا القيام ببناء البيت فلم يكونا لذكراه.

طلبا قبول ذلك العمل وتعلمون ان العمل مالم يكن خالصاً، لن يكون في
 المقذور طلب قبوله.

على كل حال فان قبول أي شيء بأن يجعله المتقبل جزء من وجوده ويلحظ
 مقصود المتقدم به.

المراد من طلب القبول، في هذه الآية، هو ان يشمل الله رب العالمين برؤية
 ﴿رَبَّنَا﴾ وان يهب الحجر والطين وهو بمعرض الغناء، صورة البقاء وفي ضوء
 ربوبيته يصبح مثل ثابتات العالم ومصدر تربية للخلق.

على الزائر هنا أن ينتبه إلى هذه الحقيقة ويوصل نفسه في كل شؤون حياته،
 برؤية رب العالمين، كي يستفيد من كل الفيوض الربانية.

﴿رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾.

ارادا ان تنصرف اعينهما عن الغير بالمرة وان يجعلهما الله مستسلمين له وهذا المقطع من الدعاء هو تذكّار للهدف النهائي من هذا البنيان والبيت، يبدو من هذه النية والطلب انه ممزوج بماء وطين هذا البنيان ويجسد روح بانيه في هيئته هذه، كي يكونا بتكميل البنيان ومناسكه وآدابه، فردي الإسلام الكاملين الشاخصين ويصبحا من كل حيث، مستسلمين لارادة وممثلين لامره ويتربى من ذريتهما دائماً اناس مماثلين فكراً وبتمام معنى الكلمة مستسلمين للحق تعالى، كي يدوروا وككل ظواهر العالم من الذرات، إلى المجرات حول محور الحق والعدل.

﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾

نعم، ينبغي للزائر الانتباه للحقيقة هذه ويكون مسعاه وجهده، ايصال نفسه إلى حريم التسليم، لا ان يستسلم هناك في صورة الظاهر وبعد العودة من الحج يصبح من جديد، الذي كان من قبل.

﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾

فهم يريدون من الله ان يدلهم على كل جزء من العبادات ومواضعها، أو ان يعلمهم بنحو يكون كالرؤية، إذن من بدء تأسيس البيت كانت جميع المناسك وفق الامر الإلهي وكان ابراهيم متعبداً بذلك، هذه المناسك تبديء بالطواف والسعي وتكتمل بالتضحية التي ترمز إلى الإسلام الكامل وكل من هذه المناسك من طواف وصلاة وسعي ووقوف بعرفات والمشعر والرمي والذبح، يرمز إلى احدى مراتب التكامل في التوحيد.

عندئذ يطلبان من الله التوبة ويبدو أن مراتب تسليم العبودية لدى المسلمين

والتعبد في المناسك والتوبة هي بصورة أخرى لسبيل الرجوع إلى الجنة وموطن الإنسان، الأول الذي هبط منه^١.

يا زائر بيت الله! التزم آداب الحج وبرنامج المناسك على نهج ابراهيم واسماعيل عليهما السلام.

حقاً، أذ الحج وبالحقيقة خذ بطرف رحمة حضرة الحق تعالى وهيء نفسك للاستسلام والتوبة الحقيقية في ذلك الموضع المبارك.

اعتبره من المسلمات انك بعد العودة إلى الوطن ان لم تتحرك في خط العبودية بالمعنى الذي ارادوه، فلم تؤد الحج، بل انك في اقدس موضع وبمحضر بانى الوجود، قلت في الظاهر بعض الاقوال واديت اعمالاً مختصرة تخلو من الروح والمحتوى.

نداء نبي الإسلام، العظيم صلى الله عليه وآله بجنب الكعبة:

إضافة لما ينتعش في ذهن المشاهد اليقظ لدى رؤية مكة والحرم والبيت فإن ذكرى أخرى تجلب انتباهه إليها مما يتوقف عليه خير الدنيا والآخرة.

وذلك نداء نبي الإسلام، العظيم صلى الله عليه وآله بجنب الكعبة إلى جميع مسلمي العالم النداء الذي كرر إبلاغه أربع مرات أخر في حجة الوداع من قبل النبي صلى الله عليه وآله نفسه وان تكرر إبلاغه فهو يدل على عظمة النداء واهميته.

في ذلك النداء الامن، اعلان السلام، اعلان الاعلان السعادة.

قال نبي الإسلام الاكرم صلى الله عليه وآله في هذه الخطبة:

١- لمزيد من التفصيل في هذه الحادثة العجيبة راجعوا تفسير اشعاع من القرآن.

«نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم بلغها من لم يسمعها»^١.
 تلك الشخصية الرفيعة السماوية وذلك الإنسان الملكوتي وقف بجانب بيت الله
 وتوجه نحو الناس ليقول رافعاً صوته:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
 و[من] سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

١- أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على العمل بطاعته؛ واستفتح الله
 بالذي هو خير أما بعد: أيها الناس! اسمعوا مني [ما] أبين لكم، فإني لا أدري لعلني
 لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا هل تدررون أي بلد هذا؟ وهل تدررون
 أي شهر هذا؟ وهل تدررون أي يوم هذا؟ فقال الناس: نعم! هذا البلد الحرام
 والشهر الحرام واليوم الحرام. قال: فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة
 بلدكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وكحرمة يومكم هذا. ألا هل بلغت؟ قالوا:
 نعم.

قال: اللهم اشهد.

٢- ثم قال: وأتقوا الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض
 مفسدين، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها.

٣- ثم قال: الناس في الإسلام سواء، الناس طف الصاع لادم وحواء لا فضل
 لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي إلا بتقوى الله، ألا هل بلغت؟ قالوا
 نعم! قال اللهم اشهد.

١- من المصادر: الخصال: ٤٨٦/٢؛ بحار الانوار: ٣٨٠/٢١، باب ٣٦، الحديث ٨

٤- ثم قال: كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي، وأول دم أضعه دم الحارث ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعاً في هذيل فقتله بنو سعد بن بكر وقيل في بني ليث فقتلته هذيل ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم! قال: اللهم أشد.

٥- ثم قال وكل رباً كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي، وأول رباً أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم! قال: اللهم اشهد.

٦- ثم قال: يا أيها الناس إنما الشيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم: رجب الذي بين جمادى وشعبان يدعونه مضراً وثلاثة متواليه: ذو العقدة وذو الحجة والمحرم.

ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد.

٧- ثم قال: أوصيكم بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله، ولكم عليهن حق، ولهن عليكم حق كسوتهن ورزقهن بالمعروف، ولكم عليهن ألا يوطئن فراشكم أحداً، ولا يأذن في بيوتكم إلا بعلمكم وإذنكم، فإن فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم! قال: اللهم اشهد.

٨- ثم قال: فأوصيكم بمن ملكت أيمانكم فاطعموهم مما تأكلون، والبسوهم مما تلبسون وإن اذنبوا فكلوا عقوباتهم إلى شراركم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم! قال: اللهم اشهد.

٩- ثم قال: إن المسلم أخو المسلم لا يغشه ولا يخونه ولا يغتابه ولا يحل له دمه ولا شيء من ماله إلا بطيبة نفسه، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم! قال اللهم اشهد.

١٠- ثم قال: إن الشيطان قد يئس أن يعبد بعد اليوم، ولكن يطاع فيما سوى ذلك من اعمالكم التي تحتقرون فقد رضي به، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم! قال: اللهم اشهد.

١- ثم قال: أعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله وضارب غير ضاربه.

١٢- ومن كفر نعمة مواله فقد كفر بما أنزل الله على محمد، ومن انتمى إلى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم! قال اللهم اشهد.

١٣- ثم قال: ألا إني إنما امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وإني رسول الله وإذا قالوها عصموا في دماءهم وأموالهم إلا بحق، وحسابهم على الله، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم! قال: اللهم اشهد.

١٤- ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يملك بعضكم رقاب بعض، إني قد خلفت فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم! قال اللهم اشهد.

١٥- ثم قال: «إنكم مسؤولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب»^١.

رسالة الإمام علي عليه السلام إلى والي مكة:

و للإمام علي عليه السلام إلى واليه على مكة رسالة هامة في مراعاة حال زوار بيت الله، مما يجعل ولاية مكة وعلى امتداد التاريخ مكلفين ومسؤولين جداً تجاه ما

تضمنته من تعاليم:

إلى فتم بن العباس، وهو عامله على مكة:

«أَمَّا بَعْدُ فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَاجْلِسْ لَهُمْ
 الْعَصْرَيْنِ^١ فَأُتِيَ الْمُسْتَفْتِي وَعَلَّمَ الْجَاهِلَ وَذَاكِرِ الْعَالِمَ وَلَا
 يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ
 وَلَا تَحْجِبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَن لِفَاتِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنِ ذِيدَتْ عَن
 أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدَ فِيمَا بَعْدَ عَلَى قَضَائِهَا وَأَنْظُرْ
 إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ مِنْ
 ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالخَلَاتِ^٢ وَمَا
 فَضَّلَ عَن ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبَلْنَا وَمُرُّ أَهْلِ مَكَّةَ
 أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ سَوَاءٌ
 الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي^٣ فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ وَالْبَادِي الَّذِي يَحُجُّ
 إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابَّتِهِ وَالسَّلَامُ»^٤.

١- أي: الغداة والعشي.

٢- أي: الحاجات.

٣- الحج ٢٢: ٢٥.

٤- نهج البلاغة: المكتوب ٦٧؛ بحار الأنوار: ٤٩٧/٣٣، باب ٢٩، الحديث ٧٠٢.

«وَطَفَّ بِقَلْبِكَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ حَوْلَ الْعَرْشِ كَطَوَافِكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِكَ
حَوْلَ الْبَيْتِ»

طواف الكعبة:

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تنمة الرواية التي تخص الحج، بأنك كما تطوف بوجودك الظاهري مع الحجاج حول بيت الحق تعالى، فطف أيضاً بوجودك الباطني وحقيقة روحك وقلبك مع ملائكة الملكوت التي تطوف حول العرش.

الكعبة حجر علامة كي لا يشتهب الطريق، أيها الحاج احرم، احراماً آخر، انظر ابن الرقيق تعالى.

أي موقع حساس، أي مرحلة ذات عظمة، الطواف، نعم الطواف، وطواف ملكوتي، طواف روحاني، طواف سماوي، طواف تبديء أولى دوراته بالدوران حول البيت وختام دوراته، بالدوران حول رب البيت.

طواف افضل من طواف الملكوتين حيث ذلك طواف حول العرش وهذا طواف حول رب العرش.

طواف، نعم طوافاً من الله والى الله وبالله وعاقبه في الله، أتدرك اين أنت؟ وتعلم انك في أية مرحلة؟ وهل أنت متبته ان الوجود الاقدس لرب الوجود الله وجود

اللانهاية في لانهاية ذاك، قد سمح لك بدخول مطافه وأذن لك.

تبتديء الطواف حول البيت وتدور في الطواف السابع على محور عظمته؟! في المطاف وهو موضع العشاق الحقيقيين، اعرف قدرك وانتبه ان الطواف الحقيقي هناك، انما يتحقق إذا كان الظاهر والباطن طاهراً من كل الخبائث والفتنات، اذ الطهارة هي من شرائط الطواف الهامة جداً، وليست الطهارة هذه مجرد طهارة الجسم، بل ان طهارة العقل والروح والقلب والنفس افضل واعلى من طهارة الظاهر وبطهارة الباطن يستطيع الطائف من التحليق طائراً في فضاء المعنوية الرفيع ذلك اذ حضرة الحبيب ينظر لمقام باطنك وتناسباً مع طهارة الباطن يفتح عليك طريقاً إلى حريم قربه.

أسرار الطواف:

الطواف، بالامكان تفسير وشرح هذه المسألة العظيمة بالتناغم مع المقامات الإلهية الرفيعة الملكوتية مما انشئ لأجل نمو وكمال الإنسان، كل زائر وفق حكم الحق تبارك وتعالى عليه ان يطوف ثلاث مرات خلال حجة بيت الله، كل مرة سبع مرات، وكل طواف له معنى وسر.

أسود الباطن؛ هذا العاصي؛ وصفر الدين من المعنوية ليس يجروء، أن يفسر كل دورة، ينبغي في ذلك التوسل بالاولياء الإلهيين اذ اولئك الاجلاء مطلعون على أسرار الحقائق.

في إحدى الليالي وبين جماعة من الاطهار، كان حديث بهذا الشأن. اسير الهوى هذا والمتورط في بثر الطبيعة قال بأن: سبع دوران طواف عمرة التمتع، تشير إلى الخروج عن سبعة قيود واغلال خطرة، فلو أي منها كان على قدمه أو

- يده، لكفى في ابتعاده عن حرم القرب ولاستحق عذاب يوم القيامة.
- على الزائر في كل دورة حول بيت الحبيب ان يخلع على نحو الحقيقة قيلاً
وغلاً من قيود واغلال الشيطان السبعة، كي يكون قد طاف حقيقة وواقعاً.
- ١- ان يحرر وجوده بالطواف الأول عن حجاب كفر الظاهر والباطن.
 - ٢- أن يتحرر في الطواف الثاني عن شرك الداخل والخارج.
 - ٣- ان يتخلص في ثالث طواف عن ان يكون ذا وجهين و منافق.
 - ٤- بالطواف الرابع ان ينجو من الهوى والرغبات واسرار المظاهر.
 - ٥- ان يخرج بالطواف الخامس من قيد الطمع والحرص والبخل.
 - ٦- ان يخرج بالطواف السادس من داء العجب الخطير.
 - ٧- وفي الطواف السابع ان يتحرر من الحالة الخطرة أي الكبير
والاستعلاء.

ما ان يفرغ من الدورات السبع وخرج من المطاف، ليحس بالحقيقة انه قد
تخلص من عبء هذه البرامج الشيطانية وبلطف وعناية حضرة الحق تعالى فك
هذه القيود عن حياته الحياة وأصبح خفيفاً؛ بشكل انه في كل لحظة يريد طائر
روحه كسر قفص البدن والتخليق طائراً نحو الحبيب بكل شوق وعشق.

وكما يقول العارف العاشق، «إلهي»:

اذهب بشوق وجهه، اجول هنا وهناك منزلاً فينزل نحوه.
عسى ان اصل من طريق الى معرفة، كي اصبح من سلاك زقافه.
يا صبا قولني للمعروف من الرفيق، تحدث قل عن شعره الاسود.
ما لم استلم تموج الحبيب، ما لم اشم سنبلته العطرة.

سأضح كالقصبه بعويل، املا العالم ضجيجاً عنه.

سبعة اشواط، سبعة برامج:

وإذا استفاد من الطواف ما يلزم من فوائد معنوية ودخل في الاعمال اللاحقة، تصل النوبة إلى طواف حج التمتع، في هذه السبعة اشواط عليه ان يحرر نفسه من سبعة برامج ظاهرية لا تتناسب ومحضر الحبيب.

١- ان ينصرف إلى الابد عن معاصي الرأس وما فيه من اعضاء مثل العين والاذن واللسان ويضع الرأس وما في تصرفه، باختيار الحبيب، أي يعاهد الحق تعالى، أن لا يهتم إلا بفكرة، ولا ينظر إلا لآثاره، ولا يستمع لغير صوته، ولا ينطق بغير قوله.

والحاصل أن يسلم هذا العضو الهام جداً إلى حضرة الرفيق الأعلى ويقرر أنه ما دام حياً ان يتخذ طريق الحبيب، اذ من تحلى بذلك، يغدو عبداً مهذباً ويصبح موضع عناية حضرة الحق تعالى.

قال النبي ﷺ لأصحابه: «إِسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا لَنَفْعَلُ ذَلِكَ».

قال ﷺ: «لَيْسَ ذَلِكَ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَليَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»^١.

١- منهاج الطالبين: ٢٥؛ روضة الواعظين: ٤٦٠/٢ مع اختلاف بسيط - ؛ كتر الفوائد: ٢١٧/١ مع

٢- في الطواف الثاني لحج التمتع، فليطهر يديه من جميع المعاصي والذنوب
اذ كل من اضحى أسيراً لمعاصي اليد مثل اخذ الرشوة، وغضب المال، واللمطم
على رأس اليتيم وكتابة الباطل. فلا سبيل له إلى حريم القرب ولن يوصله هذا
الطواف إلى شيء.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

«فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^١.

ونقل أيضاً نظير هذه العبادة في الجوامع الروائية مثل الكافي عن نبي الإسلام
الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- أن يحرر نفسه في ثالث طواف لحج التمتع من تجاوزات البطن ويجعل
نفسه والى الابد جائعاً، تجاه الغذاء المعنوي ويقنع من الدنيا وطعامها ولباسها،
بقدر الضرورة.

٤- عليه في الطواف الرابع ان ينهي حرية الشهوة وخاصة الغريزة الجنسية
ويقيدها بقيد العفة، اذ الشهوات شيطان خطير، لو تغلب على الإنسان، لن يبق
للإنسان عاقبة سوى سحق الحق تعالى وعذاب الآخرة.

٥- في الطواف الخامس، عليه ان يخلع من قدميه قيد الذنوب ويحرر ذاته من
خطوات العصيان ويقرر ان لا يذهب باقدام وضعها في مطاف الكعبة، إلى حيث
لا يرتضيه الحبيب، ما دام في الحياة.

٦- في الطواف السادس، ينبغي له تحرير القلب - هذا الحرم المقدس حضرة
الحبيب - من الرغبات الخاطئة، وكل ما عشش هناك من اجنبي، ان ينبذه عنه

١- نهج البلاغة: خطبه ١٦٧؛ بحار الأنوار: ٤٠/٣٢، باب ١، حديث ٢٦.

ويحول هذا البيت العظيم إلى مرآة لتجلي الاسماء والصفات، اذ لو كان القلب اسير الاصنام والشياطين والرغبات الخاطئة، فلن يتحقق طواف. ألم تقرأ في آداب ظاهر الطواف في الرسائل العملية للفقهاء العظام، ان النقصان والزيادة في الطواف يبطله، في الطواف إن لم تحضر القلب فقد نقصت وان جاء القلب بالاصنام والشياطين فقد خرجت عن حد الطواف.

٧- في الطواف السابع لحج التمتع، اخرج عن محل التقصي والبعد بكل قدرة وقوة وبمتهى الخلوص والاخلاص وكن في محور القرب والوصل وتهياً في هذه المرحلة لمشاهدة الجمال بناظري البصيرة كي تستقر اثر مشاهدتك اياه بمقام ابراهيم عليه السلام وبكل وجودك تضع الرأس ساجداً، منصرفاً عن الدنيا وما فيها والى الأبد!!

من يفعل هذا ان ابعد قلبك عن ذكر الرفيق، الا من كان قلبه اتسى من الصخر. الذي قال ان لدي خيراً عن حقيقة العشق، قد كذب في دعواه علمه بنفسه هو. ان نظر الى العالمين كليهما فليحرم عليه، اذ من صفاء الباطن له نظر مع شخص. هلاكنا سيكون بصحراء العشق، اين الرجل الذي يرغب في السفر معنا. لو جاء من المقاتل سهم ومن خلف سيف، ليس عاشقاً ان فكر في الخطر. لو صوروا الجنة للعاشق، لا ينبغي ان يرفع نظره بعد الحبيب. مما يلقونه على ارجل الاحبة من متاع، لي رأس لا ادري ما في رأسه هو. يا حسرة حيث تغطأ رجل العشق والتراب، لم لا تغطأ رأسي وعيني انا. العوام يغيبون التعشق طول العمر، أي عيب وسعدي هو له هذه الميزة^١.

منازل السلوك السبع:

الطواف الاخير، هو طواف النساء فليس بعد ذلك عمل، فأنت تتهاً تدريجياً للعودة إلى الوطن، هنا حيث نقطة الذروة والكمال.

ينبغي في كل دورة، الدخول إلى مقام من مقامات السلوك الرفيعة السبع وتلك المنازل حسب ما ورد لها من ترتيب في المعارف الإلهية، كالتالي:

١- في الطواف الأول ادخل منزل التوبة، وتلك التوبة عن غير الحبيب، كيفية التوبة وأقسامها ستذكر في الباب التاسع والسبعين.

٢- في ثاني دورة اخطوا في منزل الورع العظيم، الحقيقة التي ستعرض لشرحها بمشيئة الله في الباب الثالث والثلاثين.

٣- في الطواف الثالث ادخل منزل الزهد الثمين، نعم منزل الزهد مما يوكل شرح حقيقته للباب الواحد والثلاثين.

٤- في رابع دورة ادخل منزل «الفقر» الهام، الفقر الذي كان فخر الاولياء والعشاق وكان النبي الخاتم ﷺ يعتبره رأس مال معنوي. وكان يفتخر بذلك ويقول:

«الفقر فخري»^١.

والمراد من الفقر، ضد الاستعلاء واستغناء النفس تجاه حضرة الحق تعالى، تلك الحقيقة العجينة بوجود كل الكائنات وكل من ينتبه إليها، لن يسكت للحظة عن العبودية الخالصة.

الفقر، هو الواقع الذي يمثل الباعث الأساس لعشق الإنسان المحتاج، تجاه

١- عوالي اللآلي: ٣٩/١، حديث ٣٨؛ جامع الأخبار: ١١١، فصل ٦٧؛ بحار الأنوار: ٥٥/٦٩، باب ٩٤، حديث ٨٥

حضرة الغني تلك الحقيقة التي تضمن بقاء الإنسان بكل وجوده، والى الأبد مستجدياً ذليلاً مستطلباً امام الحضرة الربوبية.

٥- في الطواف الخامس اخط بوادي «الصبر» الإلهي، تلك الحقيقة التي تضمن الحفاظ عليك من كل مخاطر الدنيا والآخرة وسيأتي شرحها في الباب الواحد والتسعين.

٦- وفي الطواف السادس، ادخل منزل «التوكل العظيم»، الحقيقة التي سيتم شرحها في الباب الخامس والسبعين.

٧- وفي سابع دورة، اخطُ الى وادي «الرضا» النير، اذ هنا نقطة الذروة لكل الاعمال والحالات وسيأتي الشرح في الباب التاسع والثمانين بمشيئة حضرة الحق تعالى.

«وَهَرُولٌ هَرُولَةٌ مِنْ هَوَاكَ وَتَبَرِّيًّا مِنْ جَمِيعِ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ»

السعي بين الصفا والمروة:

بعد الطواف وصلاة الطواف تذهب للسعي بين الصفا والمروة، في مقام العظمة ذاك حيث اثر اقدام الأنبياء والأئمة والعشاق والعارفين، اخطأ بأدب وتحرك بكل وقار وطمأنينة، هنا موضع سعت فيه هاجر سبع مرات خالصاً لوجه الله طلباً للماء إلى ولدها، أنت ايضاً وبخلوص واخلاص اخطوا طلباً لماء الرحمة وعناية ولطف ومحبة حضرة الحق تعالى لك ولغيرك بحيث تنال في ختام الدوران السابع من يد الساعي الحقيقي شرباً طهوراً وتذوقك لداعي السعادة ذاك بعالم القلب، تجد طعم لذة الاتصال بالحقائق.

في مكان من هذا المحل المقدس، هنالك موضع هرولة، فعند الهرولة حيث يتحرك كل البدن لأجل تسارع الخطوط ليكون قصدك وعزمك، أن تقوم باعادة ترتيب بيت وجودك، بحيث تتساقط كل اوراق هوى النفس عن شجرة وجودك وتتحول هذه الشجرة التي اخبثتها بالتلوثات، إلى شجرة طيبة.

اخرج عن حولك وقوتك بكل وجودك، اذا ما كنت تتصوره حولاً وقوة، لم يكن غير تصورك، ليس لك ولا لجميع الكائنات حول ولا قوة لها غير حول وقوة حضرة الحق تعالى، في هذه المرحلة انقذ نفسك من كل الرغبات النفسية الخاطئة وإغواءات شياطين الداخل والخارج.

«فَاخْرُجْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَزَلَاتِكَ بِخُرُوجِكَ إِلَى مَنِي وَلَا تَتَمَنَّ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ
وَلَا تَسْتَحِقُّهُ»

الحركة نحو منى:

حين الحركة نحو منى، اقصد أن ترفع عن بصر العقل والقلب غشاء الغفلة
وتخرج من كل زلاتك وتوجه نحو طاعة الحق تعالى ولا تمن ما لا يحل لك
ولا تستحقه حقيقة.

«وَأَعْتَرَفَ بِالْخَطَايَا بِعَرَافَاتٍ وَجَدَّدَ عَهْدَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ»

عرفات:

في أرض عرفات وهي بقعة مباركة ومقدسة جداً والآيس من رحمة الله هناك أكثر أهل الأرض بؤساً، اعترف بذنوبك وأطلب من الحبيب العفو والمغفرة وجدد عهدك معه.

والمس بذات قلبك وروحك حقيقة ان لا مدبر فيما يعينك غير وجود الواحد الاحد التبارك و تعالى.

والأهم بعد الظهيرة وعلى طهارة، مستقبلاً القبلة بدمع العين وعويل القلب وبحال خضوع وخشوع، اقرأ دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام قراءة وعي اذ ليس كمثل ذلك الدعاء بين كل الأدعية.

«وَتَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ ذَاتِ ثِقَةٍ بِمُزْدَلِفَةَ وَأَصْعَدْ بِرُوحِكَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى
بِصُعُودِكَ إِلَى الْجَبَلِ»

المشعر الحرام:

في المشعر الحرام اطلب قرب الحبيب واعتمد عنايته ورحمته اذ هو لا يرجع
أي سائل صفر اليد من عتبه وحين صعود جبل المشعر، ارفع روحك هذا الراحل
الرفيع بعالم المعنى حتى الملاً الاعلى بعون الحق تعالى.

«وَأَذْبَحُ حَنْجَرَتِي الْهَوَى وَالطَّمَعِ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ»

الذبح في منى:

في ارض منى لدى الذبح اقطع حنجرتي الهوى والطمع بسكين الإيمان اذ لو لم تضح بذئب الهوى وحيوان الطمع هناك، فليس لك ضمان لحفظ سعادة الدنيا والآخرة.

«وَأَرْمِ الشَّهَوَاتِ وَالْخَسَاسَةَ وَالذَّنَائَةَ وَالذَّمِيمَةَ عِنْدَ رَمِي الْجَمْرَاتِ»

رمي الجمرات:

في الحقيقة لدى رمي الجمرات، قم؟؟؟ جذور الشهوات الخاطئة من أرض
وجودك وارم عن ساحة حياتك الخسة والدناءة والصفات الذميمة.

«وَإِخْلِقِ الْعُيُوبَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ بِحَلْقِ رَأْسِكَ»

حلق الرأس:

مع حلق الرأس بالشفرة مما لا يبقي حتى شعرة واحدة، إحلق كل عيوب باطنك وظاهرك ولا تبقي للنفس سوى مرآة صقيلة ولوح نقي تنعكس فيه الحقائق بنقش الواقع.

«وَادْخُلْ فِي أَمَانِ اللَّهِ وَكَفِّهِ وَسِتْرِهِ وَكَلَاتِيهِ مِنْ مُتَابَعَةٍ مُرَادِكَ
بِدُخُولِكَ الْحَرَمِ»

الخروج من منى:

وإذ عدت من منى، فبوضح قدمك في حرم الحبيب، أخطُ في أمانه وحفظه
وحراسته وعنايته تعالى وتجاوز عن متابعة هواك ورغبتك، وحيث تجتاز قيد
الهوى، تتمكن من ولوج أمان الحبيب.

«وَزُرِ الْبَيْتَ مُتَحَقِّقًا لِتَعْظِيمِ صَاحِبِهِ وَمَعْرِفَةِ جَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَسْتَلِمَ الْحَجَرَ
رَضَى بِقِسْمَتِهِ وَخُضُوعًا لِعِزَّتِهِ»

استلام الحجر:

زر بيت الحق تعالى في حال ترسيخك وتثبيتك ببيت قلبك عظمته ومعرفة
وجلال رفعة وسيادة صاحب البيت، لا أن يكون البدن إلى جانب البيت والقلب
في محل آخر!!

وبمتهى التواضع والعجز والخضوع والرضا بعباء الحق تعالى في جميع
الأمر، إستلم الحجر.

جاء في الحديث: إن ذا العزة تعالى قد أودع الحجر جميع العهود والمواثيق
والآجال والارزاق فيما يتعلق بكل الكائنات وتشير فقرة الرواية، هذه، إلى
الحديث المومى إليه.

«وَوَدَّعَ مَا سِوَاهُ بِطَوَافِ الْوَدَاعِ».

وقف على حقيقة أن لا رفيق لك في الدنيا والآخرة سوى الحق تعالى.

«وَصَفَّ رُوحَكَ وَسَبَّحَكَ لِلِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ بِوُفُوقِكَ عَلَى الصَّفَاءِ»

الوقوف في الصفا والمروة:

و حين الوقوف في الصفا، طهّر واخلى روحك وباطنك لاجل لقاء حضرة الحبيب.

«وَكُنْ ذَا مَرْوَةَ بِفَنَاءِ أَوْصَافِكَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ»

وحيث استقررت على المروة، اخطو برجولة أوصافك وشخصيتك، فانية قبال صفات ربك.

وامحُ إلى الابد أنايتك، كي لا يبقى في مجال حياتك حاكم متصرف غير حضرة الحبيب.

«وَأَسْتَقِمَّ عَلَى شُرُوطِ حَجِّكَ هَذَا وَوَفَاءِ عَهْدِكَ الَّذِي عَاهَدْتَنِي بِهِ مَعَ رَبِّكَ

وَأَوْجِبْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

استقم واصبر واثبت على كل شرائط حجتك الوفاء بعهدك وحافظ على الحقائق المستحصلة من هذه الرحلة والى يوم القيامة، من أي خطر.

«وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَفْتَرِضِ الْحَجَّ وَلَمْ يَخُصَّهُ مِنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ إِلَّا
بِالإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ
اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾!».

كرامة حج بيت الله:

اعلم ان الله تعالى قد اضاف الحج إلى نفسه من بين باقي الاعمال ونسب هذا العمل الشريف إلى نفسه، قائلاً: والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. وغير الحج ليس ثم عمل اعطاء هذه الكرامة والعزة ولم ينسبه إلى نفسه ولم يقل صلوا لله أو صوموا.

قد يكون وجه الاختصاص، اشتغال اعمال الحج على احوال الآخرة وإشعارها بكيفية ذلك اليوم، كما يظهر لاهل الخبرة والبصيرة، إذ أن غسل الاحرام يشبه غسل الميت وارتداء الاحرام شبيه بما يكفن به الميت، وتوجه الحجاج من امرأة ورجل وصغير وكبير ملبين صوب بيت الله يشبه بعث الاموات من قبورهم وذهابهم صوب المحشر، الحاصل أن الحج بما أنه منبه عظيم للاستعداد للموت، ومذكّر ببلغ بشأن احوال النشأة الآخرة، اختص من بين سائر الأعمال الواجبة بذات الاله الواحد الاحد و اشار لهذا المعنى الامام الصادق عليه السلام حيث قال:

«وَلَا سَنَّ نَبِيَّهُ ﷺ فِي حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمَنَاسِكَ إِلَّا لِلإِسْتِعْدَادِ وَالإِشَارَةِ إِلَى الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَفَصَلَ بَيَانَ السَّابِقَةِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْجَنَّةِ أَهْلِهَا وَدُخُولِ النَّارِ أَهْلِهَا بِمُشَاهَدَةِ مَنَاسِكَ الْحَجِّ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ وَأَوْلِي النَّهْيِ»

حقائق الحج:

يلزم في ختام هذا الفصل أن الفت انتباهكم أيها الاعزة مرة أخرى إلى حقائق الحج كفهرسة، ضمن انشودة للعارف الرباني «الهي قمشأي» رحمة الله عليه، عسى ان تكون فيها تذكرة وعبرة.

النية الخالصة:

يا قلب إن كنت عازماً نحو ديار الرفيق، تقصد الحجاز وكعبة اللقاء.
لك شوق شهود محضر الحبيب، نقاً أولاً قلبك مما سوى الله من نقوش.
وإذا توجهت نحو صحراء عشق الحجاز، فلباً أولاً لميقات الوفاء.
كالبلبل اصدح وكالورد تفتح، من شوق رؤية وجه كالورد في جانب البستان.

أسرار الاحرام الحقيقي:

أولاً يجب أن تنسلّ من ثياب العصيان، وتأتي زقاق الحبيب بثوب الطاعة.

لو انكسرت رجلك حتى تأتي على رأسك في هذا الطريق، كي تتمكن ان
تخطو في زقاق المعشوق.

و إذ احرمت، تجاوزت نفسك في سبيله، وتعديت الدنيا الدنية في طريق الايمان.
من كل ما تجاوزت غير ذكر وجه الحبيب، حيث تصبح هناك في كنف
حسن الصديق ضيفا.

مهما استطعت اعط بلغة لبائس، افتح على الخلق باب الصلح والصفاء.
انتزع من رجل مظلوم شوكة الجفاء، واجتث شوك الجفاء إغرس شجرة العدل.

دخول المسجد الحرام:

وإذا خطوت في حريم قدس ذي العزة، تذكرت ايضاً يوم لقاء الحبيب.
وقد اضاء القلب في هذه الرحلة بمحبة الاطياب، و يعطيك الخالق منزلاً في
مراتب الخواص.

حيث اصبحت محرماً لدى حريم قدس القاضي، ذهبت لعتبة العزة تلك ضيلاً مضطرا.
وغدا حضنك احمر لدمع العين، صرت مقبولاً لدى العتبة تلك من انعام السلطان.^١

غسل الاحرام:

و حيث اغتسلت وغسلت بدنك بماء التوبة، احرمت مع العشاق في زقاق الرفيق.
كل ما كنت عهدته كسرته غير عهد الحق تعالى، كي تصبح في عداد
الاطهار بهذا العهد والعقد.

غسلت البدن من زمزم القلب من ماء المحبة، في زمزم المشتاقين نهلت زلال الحب.

١- أشعار «إلهي قمشه اي».

من يوم الازل شع القلب بأشعة الود، أصبحت نير النفس بنور العشق والايمان.

دخول عرفات:

في وادي عرفات ومشعر محفل السر، قرأت الدعاء وترنمت من القلب.
غدوت مع سلطان الكل ذاك قرين خطاب، كالبلابل نثرت وروداً بانين وعويل.
رأيت القيامة بعرفات والمشعر، رأيت في الصحراء عيانا صخب المحشر.
رأيت الخلق قد ارتدوا كفانا، تذكرت القيامة في تلك البقاع والصحراء.

المشعر الحرام:

مساءً اذ تذهب الى المشعر وبقيت متيقظاً، بادرت للاذكار والدعاء بدمع
وانين وعويل.
نشرت من العين على تربة دربه الدرر، اخذت من يد الدعاء من ذلك
الرفيق طرف الرداء.

ليلاً الى السحر بادرت الى النظر في السماوات، رأيت أنجم السماوات.
باتت مفتوحة من العناية ابواب السماوات، اطلعت على انين قلب الذين
يحيون الليل.

دخول منى:

حيث ذهبت الى منى فاحذر الاعجاب بالنفس، احلق الرأس اي اخرج من
رأسك الغرور.

اخرج من الاحرام وتزيّ بلباس التقوى، اذبح النفس البهيمية.
اسررت لله فقيراً واذهبت عنه الغم، حررت بانساً من المأساة والمحنة.

ترحمت وبادرت لادراك روح فقير، لكي تفرح روحك بالطاف الرحمن.

الطواف وصلاة الطواف:

عندئذ اقم الصلاة تضرع بحق واخلاص، وكن في قلزم التوحيد غواصا.
 كي تكون كخليل الله من خواص المحفل، بعد طواف سبعة اشواط بحكم الخالق.
 سميت بين الصفا والمروة باشتياق، بالهرولة قلت الازكار والدعاء بسكرو انتشاء.
 انطويت على وجد الشوق وجه صاحب البيت، راقصاً بيدك مع الحبيب
 ضارباً برجلك الارض.

ركن المستجار:

ذهبت الى ركن المستجار وطرف رداء الرفيق، أخذته هناك بعويلة وانين الانكسار.
 أخرجت من قلبك العالمين كليهما بالمرة، كي يغدو القلب عرش الله الفرد السبحان.
 جعلت الروح من الصفا مرآة الحبيب، والقلب من الوفاء محل انفراد السبحان.
 عرضت على النفس الكافرة الايمان، القلب جعلته مرآة الحق، كعبة الروح.

دخول الكعبة:

من الكعبة كسرت صنم النفس والهوى، اخذت من الروح طاعة وعشق الله.
 اخذت هناك عزم التسليم والرضا، كي يلحظك الرفيق في بستان الرضوان.
 جئت من كعبة الى كعبة القلب، كالعشاق جعلت منزلك في زقاق الحبيب.
 قابلت مرآة القلب وجهه، كي يجعلك حسن الازل كقمر كنعان.

وداع بيت الله الحرام:

حين وداع البيت رأيت صاحب البيت، ورأيت ببصيرة الروح الطلعة الحبيبة.

رأيت ببحر العشق تلك اللؤلؤة الفريدة، لا تكسر عهده بعد هذا بسواد شعر
العشق.

مسجد الخيف:

ذهبت الى مسجد الخيف وكل رفيق، ذهبت من خشية الحق تعالى بعين دامية.
ذهبت هناك كالعشاق بقصد اللقاء، بالجمر والتسبيح والدعاء وذكر السبوح.

رمي الجمرات:

رميت الجمرة ضربت الشيطان الدني بالحجر، كذلك رميت رأس النفس
الشريرة التي تغوي.

ضربت مفرق الدنيا الحقيمة بالحجر، لكي تأمن من روحك من آفات العصر.
طردت ابليس بحجر الرياضة تلك، عزمت في سبيل الحبيب الارتياض.
سلمت زمام النفس الى كف الرياضة، كي تتحرر من النفس الشيطانية المتفرد.
بذكر الحق تعالى صنعت عشاً في الفردوس، قبلت ذلك الحجر علامة
زقاق الحبيب.

اغتسلت بماء زمزم الاخلاص، قمت بالذكر والصلاة في مقام الاخلاص.
انرت القلب بتوحيد خاص الخاص، مثل خليل الله عشق الايمان الطاهر.

دخول المدينة:

بعد وراء الكعبة ذهبت الى المدينة، امتلاً صدرك نوراً من سيناء عشقك تلك.
اغتسلت بماء التوبة الحرص والحقد والضعينة، كي تشرب من قدح الخمرة
من يد الحور والغلمان.

حيث ذهبت بيشرب الى نبي العشق، نلت شهود الحسن المتفرد لمالك
الشعق الوحيد.

هناك تطهرت بالطهور الخالص كوثر العشق، جملت القلب عرش الرحمن
من اشراق ذلك الملك.

من زهرة الزهراء اخفاء قلبك، من حسن طلعة المجتبي اصبحت روحك بستان.
اخذت من السجاد ذكراً وحرزاً وجوشناً، كي تأمن من كيد النفس
والشيطان.

أئمة البقيع عليهم السلام:

رأيت الامام المجتبي سلطان الروح، وذلك السيد السجاد فخر الانس والجان.
وذلك الباقر والصادق اماما الصالحين، وحمزة عم المصطفى ملك الشهداء.

شهداء أحد:

هنالك ذكرت شهداء أحد، أنت وصرخت من هجر الاختيار.
حررت الروح من قيد الماء والطين، فخلق طائر الروح عن شبكة الاركان.
قلت اسراراً لذنيك الاثنين حبيبي الرسول، سر القلب مع ذنبك الطفولين
المحبوبين.

قلت لابراهيم والقاسم، عن الامة وما يجري لها والوضع المصطرب.
اصبحت صاحب سر طفلي المصطفى، صرت اكثر انيناً من شجرتي السرور
البهيتين ذنيك.

صرت انيس ام اسد الله، بثت بهم القلب وغمه لسيدة الامكان تلك.

الرجوع إلى الوطن:

و إذ رجعت الى الوطن أيتها النفس اليقظة، اجعلي على الدوام نقش باصرة العين وجه الرفيق.

احفظ يا بن آدم عهد الله، لا تكسر أنت عهد الحبيب عن امر الشيطان.
اذكروا القيامة دائماً يا غافلين، واخذ ورد البرزخ ويوم القيامة.
صبوا على خط الخطأ دمع الندم، اغسلوا بآء العينين اوراق العصيان.

حج المشتاقين:

القول بأن حج الاصفر للمشتاقين هو هذا، آداب وحكم كعبة الروح هي هذه.
السجاد والصادق حديثهما يا حبيب هذا، العشق قال هذه المناسك والشرع
عرش البنيان.

اسرار حج العشاق النظم الالهي، سر الازل وحي الابد شاهد على ذلك.
حيث الشرف من هذا البيت من القمر والي السمل، اخذ الشعق عهداً من
آدم وحتى الخاتم.

مناجات الله:

يا رب السر سر ذاتك التي بلا مثال، انر قلبي باسراق جمالك.
عمر والقلب يتمنى وصلك، عالج الم الفراق لدي بنظرة واحدة.
أئن الآن بزقاقك من الم الانفصال، ابكي لعلك ترفع الستار عن وجهك.
انت تلقي على نظرة تسليبي قلبي، انا ارى حسن الكل نظرة الروح تلك.
ليس لنا سواك يا رب معين ونصير، معك لا حاجة لنا في ديار.

ليس لنا غير رحمتك شغل مع احد، مشرعة على البؤساء باب السلطان.
يا رب اعطني مقاماً في زقاقك، اجعل بوجهك ليلي المظلم نهراً منيراً.
أعطي روعي يا روح الروح في املك، حير قلب روعي بجمالك.

الباب

(٢٣)

في بيان سلامة الدين

قال الصادق عليه السلام:

أطلب السلامة أينما كنت وفي أي حال كنت لدينك وقلبك وعواقب
أمورك في الله عز وجل.

فليست من طلبها وجدها فكيف من تعرض للبلاء وسلك مسلك ضد
السلامة وخالف أصولها بل رأى السلامة تلفاً والتلف سلامة.

والسلامة قد عزت في الخلق في كل عصر خاصة في هذا الزمان
وسبيل وجودها في احتمال جفاء الخلق وأذيتهم، والصبر عند الرزايا،
وخفة المؤمن والفرار من أشياء يلزمك رعايتها والقناعة بالأقل والميسور.

فإن لم تكن فالعزلة وإن لم تقدر فالصمت وليس كالعزلة وإن لم
تستطع فالكلام بما ينفعك وليس كالصمت وإن لم تجد السبيل إليه
فالانقلاب في الأسفار من بلد إلى بلد وطرح النفس في بوادي التلف بسراً
صاف وقلب خاشع وبدن صابر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي
الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا﴾!

وانتهز مغنم عباد الله الصالحين ولا تنافس الأشكال ولا تنازع الأضداد
ومن قال لك أنا فقل أنت ولا تدع شيئاً وإن أحاط به علمك وتحققت به
معرفتك ولا تكشف سيرك إلا لمن هو أشرف منك في الدين فتجد
الشرف وإذا فعلت ذلك أصبت السلامة وبقيت مع الله بلا علاقة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في القسم الأول من هذه الرواية:

«أطلب السّلامة أينما كنت وفي أيّ كنت لديّك وقلبك وعواقب أمورك
في الله عزّ وجلّ».

سلامة الدّين:

يتكلّم الإمام عليه السلام لنا في هذه الكلمات النورانية والإلهية عن أمر مهم في حياة
الإنسان ألا وهي مسألة السلامة، سلامة روح الإنسان التي تضمن له خير الدنيا
والآخرة.

مسألة السلامة، مسألة قلّما اهتمّ البشر بها على مرّ التاريخ. وهي مسألة إذا
اهتمنا بها بشكل جيد فإننا ننضفي على حياتنا السعادة والفضيلة والنزاهة.

وإن عدم التوجّه إلى مسألة سلامة الروح، يكون عاملاً في خلق المشاكل
المختلفة والمفاسد وكذا الحقد والتعصّب والظلم والتعدّي والخيانة والمعاصي
المختلفة الأخرى من قبيل الشرك والنفاق وغيره.

كان أكثر الناس في السّابق يعيرون أهمية خاصّة لسلامة جسمهم بمراعاة
الأكل واللبّاس وغيره وإلى الآن هم كذلك، ولكن للأسف كانوا وما زالوا
غافلين عن سلامة الروح والعقل والنفس.

الغفلة عن سلامة الدين:

إن الغفلة عن سلامة الروح والقلب في الحقيقة هي غفلة عن الحق والإيمان

ويوم القيامة الذي يؤدي إلى خزي الدنيا وعذاب الآخرة وهو من أعظم الذنوب وأسوأ العيوب.

يقول الشيخ البهائي هذا العالم العارف في باب الغفلة عن الحق وإهمال سلامة الدين والروح والقلب في كتاب (السوانح):

«غَفَلَةُ الْقَلْبِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ الْعُيُوبِ وَأَكْبَرِ الذُّنُوبِ وَلَوْ كَانَتْ أَنَا مِنَ الْأَنَاتِ أَوْ لَمَحَّةٍ مِنَ اللَّمَّحَاتِ حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْقُلُوبِ عَدُوَّ الْغَافِلِ فِي أَنْ الْغَفَلَةَ مِنْ جُمْلَةِ الْكُفَّارِ».

إن مسألة الغفلة مسألة قبيحة بشعة، حتى عد أهل القلوب الغافل في وقت غفلته من جملة الكفار ولو كانت لحظة واحدة.

إن الغفلة عن الأمور المعنوية للقلب وإهمال سلامة الباطن، لهو خطير لدرجة أن الإنسان بعد فترة يكون محجوباً عن الحقائق ولا يشعر بشكل الحجاب الذي هو أثقل من جميع الجبال الموجودة.

فقد جاء في المعارف الإلهية:

ان رجلاً قال لموسى عليه السلام: انك تقول ان الذنب يجعل القلب أسوداً، فلماذا كلما أرتكب الذنوب لا ينقلب قلبي أسوداً؟

فقال موسى عليه السلام: وهل هناك سواد أكثر من أنك لا تشعر بسواد قلبك!

إن جميع الأنبياء والأئمة المعصومين الهداة عليهم السلام وأغلب العارفين، يعوذون بالله سبحانه وتعالى من الغفلة والانزلاق عن الدين وخطره على القلب حتى آخر لحظة من حياتهم، لأنه لا توجد خسارة أعظم من خسارة سلامة الدين والعقل والروح.

يا رب إذا انت لم تقبلنا فما يعني النجاح لنا، بحق ربوبيتك ولطف انظر إلينا.
أشكوا إليك آلامي في الخفاء، أو لا أقول أنك انت الواقف بأسرار الضمير.
إذا طردتني بسبب ذنوبي القبيحة عن بابك، فإني آتي لحضرتك أيها
اللطيف والخبير.

إذا ذهب العبد العاجر مئوساً عن بابك، فلا مكان آخر له لأنك لا نظير لك.
أمد يدي إلى لطف عفوك ولا أخاف، لأنك كريم وعظيم وقديم وقدير.^١

رابطة الدين والإنسان:

الدين يعني: العلاقة الفطرية والعقلية والروحية للإنسان مع خالق الخلق
ومحبته سبحانه وتعالى.

الدين يعني: أسمى جاذبية وأقوى مغناطيس الذي يؤثر في الإنسان ويجذبه
بجميع كيانه نحو الله سبحانه وتعالى وفي موازاة هذه الجاذبية فإنه يقدم حياته
رخيصة له.

الدين يعني: مجموعة من العقائد والأفكار السماوية الصافية، والأخلاق
الحميدة والأعمال الصالحة.

الدين يعني: حقيقة تؤمن للإنسان من خلالها خير الدنيا والآخرة وتنجيه من
خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

الدين يعني: مجموعة من الأوامر الإلهية التي أمر الله سبحانه وتعالى بها عباده
لضمان سلامة جميع أمور حياتهم، والتي أفنى لتبليغها جميع الأنبياء المائة

والأربع والعشرين ألف عمرهم والأئمة الإثني عشر عليهم السلام والأولياء والصالحين والعارفين والطاهرين.

الدين يعني: الصراط، والطريق القويم والذي من أجله تحمل الصابرون أنواع العذاب وقدّم المجاهدون أرواحهم العزيزة من أجله، وقاسى الطاهرين أنواع الأذى والتعب في سبيله.

الدين يعني: الأوامر الإلهية التي تكسب أهميتها من مشرّعها يعني الله سبحانه وتعالى، وهذه الأهمية لو كانت في خطر من جانب الأعداء في يوم ما، فإنه يجب على جميع المؤمنين بما فيهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام والفقهاء ان يدفع الخطر عنها، حتى لو استلزم الأمر أن يضحي بروحه وجسده في سبيل ذلك.

أهمية الدين هي من أهمية الله سبحانه وتعالى، والإعراض عن الدين إنما هو في الحقيقة إعراض عن الله سبحانه وتعالى، والذي يؤدي إلى الذلّة والمهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصية لأصحابه يحثهم فيها عن الدفاع عن الدين حتى لو استلزم الأمر الشهادة في سبيله:

«إِعْلَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ هَدَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَوْرُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جُهْدٍ وَفَاقَةٍ فَإِذَا حَضَرَتْ بَلِيَّةٌ فَاجْعَلُوا أَمْوَالَكُمْ دُونَ أَنْفُسِكُمْ وَإِذَا نَزَلَتْ نَارِلَةٌ فَاجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ دُونَ دِينِكُمْ.

فَاعْلَمُوا أَنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ دِينُهُ وَالْحَرِيبَ مَنْ حَرِبَ دِينَهُ أَلَا وَإِنَّهُ لَا فُقْرَ بَعْدَ الْجَنَّةِ أَلَا وَإِنَّهُ لَا غِنَى بَعْدَ النَّارِ لَا يَفُكُ أُسِيرُهَا

وَلَا يَبْرَأُ ضَرِيرُهَا»^١.

ومنذ أن أدركنا بأن دين الله - الذي تجلّت حقائقه في القرآن الكريم والروايات الشريفة - هو رسالة كاملة وسالمة وخالية من كل عيب ونقص، وإذا ما ظهرت وانثقت في وجود شخص، فإنها ستهديه إلى وادي السلم والسلامة، سلامة العقائد، وسلامة الأخلاق، وسلامة الأعمال، والسلامة عند المعاينة والموت، والسلامة في البرزخ، والسلام في يوم القيامة، والسلامة في الجنة، ولذلك سمّي الإسلام بهذا الإسم لأنه سلم، ولأن الباري سبحانه وتعالى قد جعل سلامة جميع الأشياء في الإسلام، بينما عجزت الأديان الأخرى عن تأمين السلامة للإنسان، لذا اختار الله سبحانه وتعالى الإسلام ديناً للإنسان ولن يقبل منه في الدنيا والآخرة ديناً غير الإسلام.

الإسلام في القرآن الكريم:

حريُّ بنا أن نذكر بعض الآيات القرآنية الكريمة في هذا المجال:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^٢.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٣.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

١- الكافي: ٢/٢١٦، باب سلامة الدين، حديث ٤٢؛ بحار الأنوار: ٢١٢/٦٥، باب ٢٣، حديث ٢.

٢- آل عمران ٣: ١٩.

٣- آل عمران ٣: ٨٥.

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا^١.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^٢.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^٣.

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ

بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^٤.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^٥.

الإسلام في الروايات:

هنا، يجب على القراء الأعزاء ان يعطوا أهمية لهذه الملاحظة لأن الإغفال عنها يسبب الابتعاد عن مقام اللقاء ويوجب الذلّة والبلاء في الآخرة، وهو على أساس الروايات الصحيحة السند، ان الإسلام الحقيقي عبارة عن القرآن الكريم وإمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام وعددهم اثنا عشر إماماً أولهم أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم مهدي هذه الأمة عجل الله تعالى فرجه الشريف وقد ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أسمائهم كما ورد في كتب السنة والشيعه وقد أمر الامّة أن يأخذوا

١- المائدة ٥: ٣

٢- الأنعام ٦: ١٢٥

٣- الزمر ٣٩: ٢٢

٤- آل عمران ٣: ٢٠

٥- البقره ٢: ٢٠٨

عنهم بعد وفاته ﷺ مفاهيم القرآن الكريم السامية وأحكام الإسلام.
 إن فقاها الشيعة على مرّ التاريخ المنصرم للإسلام، كان المحافظ لهذه
 الحقيقة، وقد بذلوا الغالي والرّخيص من أجله وهم على هذا إلى أن يظهر مهدي
 هذه الأمة عجل الله تعالى فرجه الشريف، لأن طريق الحق والإسلام الواقعي إنما
 هو الإسلام الذي جاءنا عن طريق القرآن الكريم وأهل البيت الأئمة الاثني
 عشر عليهم السلام.

ذكر النبي ﷺ لأسماء الأئمة عليهم السلام:

وردت الكثير من الروايات في ذكر النبي ﷺ لأسماء الأئمة الطاهرين عليهم السلام،
 ونحن نذكر رواية من أجل البركة:

فقد نقل أبو المؤيد موفق بن أحمد أخطب الخطباء الخوارزمي في كتاب
 المناقب عن أبي سليمان الراعي أنه قال: قال رسول الله ﷺ لما اسري بي إلى
 السماء قال لي العزيز الجبار: «يا محمد إني اطلعت إلى الارض اطلاعة فاخترتك
 منها، واشتقت لك اسما من أسمائي، لا اذكر في مكان إلا ذكرت معي، فأنا
 محمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية اطلاعة فاخترت منها علياً، واشتقت له
 اسما من أسمائي فأنا الاعلى وهو علي، يا محمد خلقتك وخلقت عليا وفاطمة
 والحسن والحسين أشباح نور من نوري، وعرضت ولايتكم على السماوات
 وعلى الارضين ومن فيهن، فمن قبل ولايتكم كان عندي من الاظفرين، ومن
 ججدها كان عندي من الكفار. ثم أوحى إلي:

«أنظر إلى يمين العرش، فنظرت فإذا: عليّ والحسن والحسين

وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى

بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي ومحمد المهدي ابن الحسن كأنه كوكب دري.

يا محمدا هؤلاء حجج علي عبادي وهم أوصيائك.^١

ولم يكن الرسول الأكرم ﷺ يذكر أسماء الأئمة الاثني عشرية ووجوب طاعتهم في وقت خاص أو مكان خاص، وإنما في كل حين ومكان، ونقل الكثير من علماء أهل السنة في كتبهم المعتبرة كأبي إسحاق الحموي في كتاب (فرائد السمطين)، وعيسى بن يوسف الحمداني عن أبي الحسن وسليم بن قيس عن علي عليه السلام وكذلك محمد بن مؤمن الشيرازي في رسالة (الاعتقادات)، والشيخ سليمان البلخي الحنفي في الباب الثامن والثلاثين من كتاب (ينابيع المودة)، إن الرسول الأعظم ﷺ كان يفسر آية ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^٢ بالأئمة الاثني عشرية، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم مهدي هذه الأمة محمد بن الحسن عليه السلام، ولا يوجد في هذا أي شك لذوي الألباب، بل إن الشيخ البلخي والذي هو من كبار علماء أهل السنة قد بدأ الباب الثامن والثلاثين من كتابه (ينابيع المودة) بتفسير آية ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ بالأئمة الاثني عشرية.^٣

الأئمة عليه السلام مصاديق للآيات القرآنية:

١- ليالي يشار: ٩٩٤.

٢- النساء: ٤: ٥٩.

٣- في هذا المجال، يمكنك مراجعة الكتب الآتية: العباث، الغدير، إحقاق الحق، المراجعات.

هنالك روايات مفصلة كثيرة وردت في كتب الشيعة والسنة، تارة في حد التواتر وأخرى في حد الخبر المستفيض وتارة في حد التواتر المعنوي وأخرى بشكل الخبر الواحد الذي أيده القرآن الكريم، بأن الأئمة عليهم السلام هم أتمّ المصاديق وأكمل العناوين الإلهية والمعنوية لآيات القرآن الكريم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه، ولولا وجودهم عليهم السلام لما كانت هنالك مصداقاً لكثير من آيات القرآن الكريم، وهذا بعيد وممتنع عنه.

فمن العناوين التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بشأنهم أو حول ولايتهم ومحبتهم نذكر موجزين مايلي:

١ - الأبرار	١٣ - الحسنى	٢٥ - المقام المعلوم
٢ - المتقون	١٤ - نعمة الله	٢٦ - حملة العرش
٣ - السابقون	١٥ - فضل الله	٢٧ - السفارة الكرام البررة
٤ - المقربون	١٦ - رحمة الله	٢٨ - الرضوان
٥ - السبيل	١٧ - النعيم	٢٩ - الدرجات
٦ - الصراط	١٨ - النجوم	٣٠ - الناس
٧ - الصدق	١٩ - العلامات	٣١ - البحر
٨ - الصادقون	٢٠ - جبل الله	٣٢ - اللؤلؤ
٩ - الصديقون	٢١ - العروة الوثقى	٣٣ - المرجان
١٠ - الشهداء	٢٢ - الحكمة	٣٤ - الماء المعين
١١ - الصالحون	٢٣ - الصافون	٣٥ - البئر المعطلة
١٢ - الحسنة	٢٤ - المسبحون	٣٦ - القصد المشيد

٣٧- السحاب	٤٩- خير أمة	٦٠- حزب الله
٣٨- المطر	٥٠- السلم	٦١- الحق
٣٩- الظل	٥١- كلمات الله	٦٢- الصبر
٤٠- الفواكه	٥٢- العدل	٦٣- الرباط
٤١- النحل	٥٣- المعروف	٦٤- الأيام
٤٢- السبع المثاني	٥٤- الاحسان	٦٥- الشهور
٤٣- أولوا النهي	٥٥- القسط	٦٦- الاعراف
٤٤- عباد الرحمن	٥٦- الميزان	٦٧- الصلاة
٤٥- الشجرة الطيبة	٥٧- جنب الله	٦٨- الزكاة
٤٦- الهداية	٥٨- وجه الله	٦٩- الحج
٤٧- الهدى	٥٩- يد الله	
٤٨- الهادون		
٧٠- الصيام		

إن جميع هذه الصفات والمصاديق السبعين - والتي هي موجودة في أمّهات كتب الحديث لدى الفريقين - قد قُسّرت وأولت بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام، نعم إن حقيقة الإسلام والدين، هو القرآن الكريم والرسول الأعظم ﷺ والأئمة الاثني عشر عليهم السلام، والمؤمن هو الإنسان الذي تكون لديه معرفة بالقرآن الكريم والنبى ﷺ والأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ويؤدّي واجبه ووظيفته في هذه الدنيا بكلّ حزم على أساس هذه المعرفة.

بالطبع، فإن هكذا دين هو الذي يرتضيه الله سبحانه وتعالى ويكون موجباً لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولا يعرف أحدٌ القيمة الحقيقية لهذا الدين

١- لمزيد من التفصيل حول هذه التعاونين يرجى مراجعة بحار الأنوار: ٢٤/ الأبواب: ٥٠، ٥١، ٥٣،

سوى مشرّعه سبحانه وتعالى، ولهذا نرى كيف أكد ووصى الإمام جعفر الصادق عليه السلام أصحابه وأتباعه أن يسعوا جاهدين للحفاظ على دينهم مهما حدث في كل مكان وزمان، وذلك لأن هذا الدين لم يأت من فراغ ومن دون جهد.

سلامة دين أمير المؤمنين عليه السلام:

إن مسألة حفظ سلامة الدين والبقاء عليه، هي في غاية الأهمية لدرجة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة النبي صلى الله عليه وآله في فضل شهر رمضان قال:

فقلت فقلت: «يا رسول الله ما أفضل الاعمال في هذا الشهر؟ فقال يا أبا الحسن أفضل الاعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزوجل، ثم بكى، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك، قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال: صلى الله عليه وآله: في سلامة من دينك»^١.

أساس وأصول الدين:

إن الدين الإسلامي مرتكز وقائم على دعائم وأسس قوية وصلبة وغير قابلة للتغيير، أسسٌ تتجلى فيها حكمة الباري سبحانه وتعالى وعلمه وعدله وإحسانه ولطفه.

إنّ التطبيق والعمل بأسس وأصول الدين، يضمن للإنسان السلامة في جميع شؤون الحياة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

إن الإنسان إذا ما توجّح وزُين بلباس الدين الإسلامي، ودخل إلى منطقة وحرم الأمن والسلامة الإلهية، فإنّه بكلّ تأكيد يتوجّب عليه عقلاً وشرعاً أن يسعى ويجاهد على الحفاظ على هذه النعمة الإلهية السامية التي ليس فوقها نعمة.

فالدين، لديه أسمى وأفضل الأحكام وأقوى القواعد والقوانين لضمان سلامة القلب في العقائد وكذلك سلامة النفس في الأخلاق وسلامة الأعضاء والجوارح في العمل، وبعد نيل تلك الحقائق والوصول إليها، فإنّه يتحتّم على الإنسان المؤمن، أن يحافظ على هذا الدين بكلّ ما أوتي من قوّة حتى لو استلزم الأمر أن يقدم نفسه فداءً في سبيله.

إيمان القلب:

في ظلّ الإيمان بالله سبحانه وتعالى والأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين عليهم السلام فقط، يمكن للإنسان أن تكون له سلامة القلب.

فأيّ قلب هذا الذي عاش في الدنيا أفضل وأسلم وأطهر من قلب الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين والمؤمنين؟ إن أخلاق وأعمال الأنبياء والمؤمنين من عباده، هو مؤشّر واضح على سلامة قلوب هؤلاء الأطهار.

إنّ تحصيل الإيمان بالله سبحانه وتعالى وشؤونه، ليس أمراً صعباً، بل يمكن الوصول إلى أعظم المسائل ألا وهو وجود الله سبحانه وتعالى بأقل الدلائل.

إنّ الإيمان بالله والتصديق به الميل إليه والوصول إلى درجة اليقين، ليس طريقاً عراً أو صعباً حتى لا يستطيع أحد المضي أو السير فيه، أو يتمكّن من تحقيقه.

وصية ابن طاووس لابنه:

إن السيد الأجل رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس والذي هو من أعظم علماء وعرفاء الشيعة يذكر في وصية لابنه مسألة الوصول إلى الله سبحانه وتعالى والتصديق به فيقول:

اعلم يا ولدي (محمد) وجميع ذريتي وذوي مودتي أنني وجدت كثيراً ممن رأيتهم وسمعت به من علماء الاسلام قد ضيقوا على الانام ما كان سهله الله جل جلاله ورسوله ﷺ من معرفة مولاهم ومالك دنياهم وآخرتهم فإنك تجد كتب الله جل جلاله السالفة والقرآن الشريف مملوءاً من التنبهات والدلالات على معرفة مولاهم ومالك دنياهم محدث الحادثات ومغير المتغيرات ومقلب الاوقات وترى علوم سيدنا محمد خاتم الانبياء وعلوم من سلف من الانبياء صلوات الله عليه وآله وعليهم على سبيل كتب الله جل جلاله المنزلة عليهم في التنبيه اللطيف والتشريف بالتكليف ومضى على ذلك الصدر الاول من علماء المسلمين وإلى أواخر أيام من كان ظاهراً من الائمة المعصومين عليهم السلام أجمعين، فإنك تجد من نفسك بغير إشكال أنك لم تخلق جسداً ولا روحك ولا حياتك ولا عقلك ولا ما خرج عن اختيارك من الامال والاحوال والاجال ولا خلق ذلك أبوك ولا أمك ولا من تقلبت بينهم من الاباء والامهات لانك تعلم يقيناً أنهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات ولو كان لهم قدرة على تلك المهمات ما كان قد حيل بينهم وبين المرادات وصاروا من الاموات فلم يبق من دوحه أبداً عن واحد منزله عن إمكان المتجددات خلق هذه الموجودات وإنما تحتاج إلى أن تعلم ما هو عليه جل جلاله من الصفات.

أقول: ولاجل شهادات العقول الصحيحة الصريحة والافهام الصحيحة بالتصديق بالصانع أطبقوا جميعا على فاطر وخالق وإنما اختلفوا في ماهيته وحقيقة ذاته وصفاته بحسب اختلافها الطرائق.

أقول: وإنما وجدت قد جعل الله جل جلاله في جملتي حكما أدركته عقول العقلاء فجعلني من جواهر وأعراض وعقل روحاني ونفس وروح فلو سألت بلسان الحال الجواهر التي هي في صورتني هل كان لها نصيب من خلقي وفطرتي لوجدتها تشهد لي بالعجز والافتقار وأنها لو كانت قادرة على هذا المقدار ما اختلف عليها الحادثات والتغيرات والتقلبات ووجدتها معترفة أنها ما كان لها حديث يفترى في تلك التدبيرات وأنها ما تعلم كيفية ما فيها من التركيبات ولا عدد ولا وزن ما جمع فيها من المفردات ولو سألت بلسان الحال الاعراض لقلت أنا أضعف من الجواهر لانني فرع عليها فأنا أفقر منها لحاجتي إليها ولو سألت بلسان الحال عقلي وروحي ونفسي لقالوا جميعا أنت تعلم أن الضعف يدخل على بعضنا بالنسيان وبعضنا بالموت وبعضنا بالذل والهوان وأنا تحت حكم غيرنا ممن ينقلنا كما يريد من نقص إلى تمام ومن تمام إلى نقصان وينقلنا كما يشاء مع تقلبات الازمان فإذا رأيت تحقيق هذا من لسان الحال وعرفت تساوي الجواهر والاعراض وتساوي معنى العقول والارواح والنفوس وفي سائر الموجودات والاشكال تحققت أن لها جميعا فاطرا، وخالقا منزها عن عجزنا وافتقارنا وتغيراتنا وانتقالاتنا وتقلباتنا ولو دخل عليه نقصان في كمال أو زال كان محتاجا ومفتقرا مثلنا إلى غيره بغير إشكال.^١

وفي مجال الإيمان والاعتقاد بالله سبحانه وتعالى والوصول إلى معرفته، عليك بقراءة وتدبر هذه الآيات: الآية ١٦٤ من سورة البقرة، الآيات من ٩٥ إلى ٩٩ من سورة الأنعام، الآيات ٥ و ٦ من سورة يونس، الآيات ٣ و ٤ من سورة الرعد، الآيات ٦٦ إلى ٦٩ من سورة النحل، الآيات ٢٠ إلى ٢٥ من سورة الروم، والآيات ٣ إلى ٥ من سورة الجاثية.

ولأنك قد وصلت إلى درجة اليقين عن طريق القرآن الكريم وعلم رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام - الذي هو أسهل وأفضل الطرق - بعدها عليك بمراجعة والتدبر في آيات القرآن الكريم الأخرى التي تناولت مسائل الرسالة والإمامة والملائكة والهداية والقيامة، حتى تتمسك بها وبآيات التوحيد ليظهر قلبك من جميع الأمراض المهلكة كالشك والترديد والوسوسة والقساوة والظلمة والدنائة، ومن جميع الرذائل لا سيما الجهل والغفلة لكي تصل إله بر الأمان والسلامة، في هذه الحالة فإن قلبك سيكون مهبطاً لجميع الفيوضات الربانية من جهة، ومن جهة أخرى فإنه سيقوم بنشرها إلى جميع أعضائه وجوارحه، ثم بعد ذلك إلى الأناس الآخرين.

عند ذلك، يجب عليك أن تسجد شكراً لله سبحانه وتعالى بكل وجودك لسلامة قلبك وترجوا منه التوفيق لشكر النعمة، لأنه وهبك نعمة هي الأفضل في جميع مراحل الخلق.

وعليك في كل لحظة أن تجاهد وتسعى لحفظ هذه السلامة - التي هي أصل السلامة في النفس والروح والعمل - وعلبك في بعض الأحيان بل دائماً أن تقوم وقت السحر وتختلي بمعشوقك ومحبوبك وان تسجد قائلاً له بكل خضوع - وخشوع:

يا أيتها الريح، انطلقني إن كنت تقدرين، خفيفة.
وفي السحر هبي علي وادي المحبوب، واغتنمي الحياة الخالدة.
ومرة أخرى أنت ليس مثلي مقيد، بأي عذر تخلفت عنه.
فقبل التراب ومن فائدة، الخدمة أصول كما تعلم.
فإني أتوقع منك ذلك، عندما توصل خدمتي له.
إذا لم تجد أي فرصة للكلام، تكلم بلسان أهل السكوت.
نحن عطاشى وماء الحياة، في بئر نهرك جاري مجاني.
انظر إلينا بعين العناية أيها المحبوب، إن انت تستطيع أفضل منها فافعل^١.

الأخلاق والنفس:

إن النفس في وجود الإنسان هو عامل الحياة وموت الظاهر وعلة الحياة وموت الباطن.

النفس في حين الولادة تكون كالورقة البيضاء ليس فيها سوى الاستعدادات الكامنة للإنسان، وإذا أبدينا اهتماماً من البداية بحقيقة وهي أنه إذا جعلنا هذه الورقة البيضاء أمام رسام عادل وعالم وحكيم، يعني الله سبحانه وتعالى، فإنه سوف نجد مرسوماً فيها أسمى الأخلاق من الكرامة والفضيلة والشرف والسخاء والصدق والمروءة والرجولة والتواضع....

في هذه الحالة فإن الإنسان - مع هذه الأخلاق - سوف تكون لديه سلامة النفس بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، ويجب عليه ان يجاهد في سبيل الحفاظ

عليها كما أوصى مؤكداً ومراراً الإمام الصادق عليه السلام.

وفي حالة أننا أهملنا الأسر، فإن الورقة البيضاء سوف تكون معرضة لأفلام الشياطين كي يرسموا عليها جميع الأشياء التي هي باطل وضد الحق، وسوف يصنعون ويجعلون من الإنسان حيواناً ذو صفات رذيلة وذميمة لا تجد له نظيراً في أي صحراء أو بحر أو بحر أو غابة من هذه الأرض.

في الحقيقة، إن النفس إن لم تكن لها طابع إلهي، فإن سعي الإنسان لها يكون كسعيه في تربية ذئب خطير.

إذن يجب إخراج النفس من حالة النفس، أي من حالة حكومة الغرائز والشهوات والميول إلى جهة عالم الروح والملكوت، وإن الإنسان في السفر سوف يرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وإن الإنسان ليس قادرٌ على وصفه. فلا تبقى في حالة النفس الأولية، فإن البقاء فيه يعني الارتباط والتمسك بالحالة الحيوانية للإنسان.

يقول العارف الكبير المرحوم (شاه آبادي) صاحب كتاب (الرشحات):

الإنسان في مرحلة النفس الأولى تكون كل همته في تدبير أمور ظاهر الحياة والعيش في عالم الدنيا، كما أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ﴾^١.

فالذين زينت لهم شهوات عالم الدنيا من المرأة والولد والذهب ووسائل

الركوب والأنعام والحرث والزراعة، كامرأة شمطاء تخفي وجهها خلف قناع الزينة والتزين، كذلك الدنيا، فقد زينت لهم مظاهر شهواتها أمام أعينهم، وحرمتهم من النعم واللذة الأبدية في مقابل هذه اللذات الفانية الآنية. هكذا أناس لم يتعدوا مرحلة النفس بعد، وهم كالحوانات يرتعون ويعيشون في الدنيا:

﴿يَا كُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾^١.

ولسان حالهم كما يقول القرآن الكريم:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾^٢.

فعليك أيها السالك المجاهد التأمل في حالات هذه الثلاثة، وأن لا تضع نفسك بجانب هؤلاء وأن تجاهد في النجاة من هذه المرحلة.

يا أيها القلب لم تبرأ من غير المحبوب، ولم تتمن سوى أمنية النفس. وفي بحثك عن طلعتة كالشمس، لم تجعل نفسك كذرة ولم تضح بها. وجلست في ظلمة الليل تتحمل المشاق، ولم تزر في كل صباح القلوب. في كل ديار نصبت خيمة العزة لك، ولكن لم تسكن في قلبي المنكسر. ولم تكن تبحث عن الذكر والفكر والتقرب، ولم تتولى الصبر والشكر أبداً.

١- محمد ٤٧: ١٢.

٢- البقرة ٢: ٢٠٠.

في كل صباح كنت في شجار، وفي كل ليل كنت في بلاء، ولم
تمل يوماً إلى الصلح والمداراة.

في الوقت الذي لم ترَ عجائب المعنوية، وفي البيت لم تتفرج على
الصحراء.

اليوم تتكلم عن أهل القلوب يا عماد، لكنك لم تحيي ليلة في عمرك.
يا ربّ أيّ ذنب لم أرتكبه، يا ربّ أيّ فضل لم تعطني^١.

أخلاق أولياء الله:

إن الحسنات الأخلاقية هي عبارة عن الحقائق التي تربط الإنسان مع الله
سبحانه وتعالى مع عالم الخلق وعباده على أسس وقواعد صحيحة وتؤمن له خير
الدنيا والآخرة.

في هذا المجال هنالك آيات قرآنية كثيرة، وروايات مهمّة، سوف نذكر
عدداً منها، آملين ان تكون الحقائق الواردة في هذه الروايات عاملاً وسبباً مهماً
في سعادة وسلامة نفس الإنسان، وان يحافظ عليها بكل وجوده وان يتحرك بكل
قوة عاجلاً لتحقيق ذلك في نفسه.

عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه
للشيخ الذي أتاه من الشام: يا شيخ إن الله عزوجل خلق خلقاً ضيق الدنيا عليهم
نظراً لهم فزهدهم فيها وفي حطامها، فرغبوا في دار السلام الذي دعاهم إليه،
وصبروا على ضيق المعيشة، وصبروا على المكروه، واشتاقوا إلى ما عند الله من

الكرامة، وبذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان الله، وكانت خاتمة أعمالهم الشهادة، فلقوا الله وهو عنهم راض وعلموا أن الموت سبيل من مضى ومن بقي، فتزودوا لاخرتهم غير الذهب والفضة ولبسوا الخشن، وصبروا على القوت، وقدموا الفضل، وأحبوا في الله، وأبغضوا في الله عزوجل اولئك المصايح وأهل النعيم في الاخرة والسلام^١.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي بن الحسين عليه السلام "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" إذا أدوا فرائض الله، وأخذوا سنن رسول الله، وتورعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيب من رزق الله لوجه الله لا يريدون به التفاخر والتكاثر، ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، ويثابون على ما قدموا لاخرتهم^٢.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال موسى بن عمران على نبينا وعلينا: إلهي من أصفياؤك من خلقك؟ قال: الندي الكفين البري القدمين يقول صادقاً ويمشي هوناً فأولئك يزول الجبال ولا يزولون، قال: إلهي فمن ينزل دار القدس عندك؟

١- من لا يحضره الفقيه: ٤/٣٨٤، من الفاظ رسول الله عليه السلام -...، حديث ٥٨٣٣، أمالي الصدوق:

٣٩٥، المجلس الثاني والستون، حديث ٤، بحار الأنوار: ٢٧٢/٦٦، باب ٣٧، حديث ٤.

٢- تفسير العياشي: ٢/١٢٤، حديث ٣١، بحار الأنوار: ٢٧٧/٦٦، باب ٣٧، حديث ١١.

قال: الذين لا ينظر أعينهم إلى الدنيا، ولا يذيعون أسرارهم في الدين، ولا يأخذون على الحكومة الرشا، الحق في قلوبهم، والصدق على ألسنتهم، فاولئك في ستري في الدنيا وفي دار القبس عندي في الآخرة^١.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن خيار العباد فقال: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أسأوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا أغضبوا غفروا»^٢.

على آية حال فإن هذه الحقائق هي التي تؤمن سلامة نفس الإنسان، وفي هذا الجو الملائم للإنسان فإنه يستطيع أن يؤدي حق الله سبحانه وتعالى وعباده كما هو مطلوب منه، كما يجب على أصحاب هذه السلامة ان يحافظوا عليها كما أكد على ذلك مراراً الإمام الصادق عليه السلام.

إن عظمة وكرامة الإنسان بعد نعمة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، هي في طهارة النفس من الرذائل وتحليها بالفضائل والحسنات.

يقول العارف العاشق، إلهي قمشه اي:

ما أسعد لحظات هذه الليلة، جاء المحبوب إلى جانبي.

واستقر جماله في بستان القلب، وقامت عن طريقه الاشواك.

وأصبح شكله في خيال القلب والنظر، فاخذ ما ظهر مني وما بطن.

وعينه الغزالية كيف اصطادت الأسد، وأهدابه تغلب على مخالبه.

١- أمالي المفيد: ٨٢، المجلس العاشر، حديث ١، بحار الأنوار: ٢٧٨/٦٦، باب ٣٧، حديث ١٣.

٢- الكافي: ٢٤٠/٢، باب المؤمن وعلاماته، حديث ٣١، صفات الشيعة: ٤٥، حديث ٦٤، بحار الأنوار:

٣٠٥/٦٦، باب ٣٧، حديث ٢٦.

وهجمت عيناه برمشة على قلبي، وأقام خيمة الدلع في ديارى.
ويسعى لأن يعرف قدره، يا جوهر الروح، أيها العاقل.

سلامة العمل:

عندما يحلّ ويخيّم الإيمان بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر في بيت القلب، وعندما تتزيّن النفس بالحسنات الإلهية، فإن الأرضية تكون مهيئة للعمل الصالح، أو بالأحرى إن العمل الصالح يكون في الإنسان.

وهنا يجب أن نجعل جميع حركات الأعضاء والجوارح وخصوصاً العين والأذن واللسان واليد والأرجل، كل هذه يجب أن تكون متناغمة ومتناسقة مع ما أمر به الله سبحانه وتعالى من أوامر، وما صدر من الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام. ولكي تجد هذه الأوامر الإلهية عليك بمراجعة كتاب الله سبحانه وتعالى وهو القرآن الكريم أولاً، ثم بعد ذلك الرجوع إلى جوامع الحديث من الكتب، ككتاب (الكافي للشيخ الكليني)، و(كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق)، و(كتاب وسائل الشيعة للعاملي)، و(كتاب بحار الأنوار للمجلسي) و(كتاب روضة الواعظين)، و(كتاب مكارم الأخلاق) وكذلك (كتاب تحف العقول).

فإنك تجد في كتاب الكافي، المجلد الثاني، عناوين جميلة ورائعة ومهمة في عمل وحركة الإنسان الإلهية وهذه بعض من عناوينها: الورع، العفة، اجتناب المعاصي، العبادة، الشكر، حسن الخلق، أداء الأمانة، العفو، المداراة، الرفق، التواضع، العجلة في الخير، الإنصاف، العدل، صلة الرحم، الإحسان إلى الوالدين

وبرّهما، الاهتمام بأمور المسلمين، النصيحة للمسلمين، إكرام الشيوخ، زيارة المؤمن، السعي في قضاء حاجة المؤمن، تفريغ كربة المؤمن، إطعام المؤمن، كسوة المؤمن، خدمة المؤمن، والإصلاح بين الناس.

إن نتيجة جميع ما ذكرنا من عناوين هي أن الإسلام الحقيقي - الذي يعني إسلام القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام - هي علة سلامة الإنسان من كل ناحية خصوصاً من ناحية القلب والنفس والعمل.

وعلى عباد الله أينما كانوا وفي أيّ حال كانوا أن يسعوا ويجاهدوا للحفاظ على سلامة الدين، لان الحفاظ على سلامة الدين هي التي تؤدّي إلى حسن العاقبة.

«فليست من طلبها وجدها فكيف من تعرّض للبلاء وسلك مسلك ضد
السلامة وخالف أصولها بل رأى السلامة تلفاً والتلف سلامة والسلامة قد
عزّت في الخلق في كلّ عصرٍ خاصّة في هذا الزمان».

سلامة الدين في آخر الزمان:

إنه ليس بمقدور أي إنسان أن يحصل على سلامة الدين والقلب وحسن
العاقبة بهذه السهولة والبساطة، فإنّ الإنسان الذي هو غارق في بحر المعاصي
وعبدٌ لشهواته التي تسيّره خلاف طريق السلامة، بل والأكثر من ذلك يرى
السلامة هلاكاً وتلفاً، والهلاك سلامة، كيف يستطيع ان يحافظ على دينه وسلامة
دينه؟!، إذن يجب عليه أولاً أن يتعد عن جميع العوامل التي تؤدّي إلى هلاكه
يعني أن يصبح متديّناً، ثم يسعى إلى الحفاظ على سلامة هذا الدين.

إن سلامة الدين بين الناس في كلّ زمان هو شيء نادرٌ جداً، خصوصاً في
هكذا زمان فيه ما فيه من الإغراءات التي أحاطت بجميع دول العالم من شرقها
إلى غربها.

وكما ورد في بعض الروايات، فإنّ حفظ الدين في هكذا زمان، يكون
كإمسك الإنسان جمرة من نار بيده.

هنالك روايات مهمّة مذكورة في كتب الحديث والتفسير في بيان أحوال الناس في آخر الزّمان، وكيف إنّ حفظ الدين صعب للغاية.

سوف نذكر لكم أحبّتي رواية ورد فيها الكثير مما ابتلى به الناس والمسلمين حالياً، فإنّ الإهتمام بمطالب ومحتوى هذه الرواية والابتعاد عما ذُكر فيها من المهالك والخطرات، هو شرط أساسي في حفظ الدين والاستقامة عليه.

ينقل القمّي في تفسيره عن أبيه عن سليمان بن مسلم الخشّاب عن عبد الله بن جريح المكي عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس أنّه قال: حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فأخذ بحلقة باب الكعبة، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: ألا أخبركم بأشراط الساعة؟ وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رحمة الله عليه، فقال: بلى يا رسول الله.

فقال ﷺ: إنّ من أشراط القيامة إضاعة الصلوات، وإتباع الشهوات، والميل إلى الأهواء، وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها يليهم أمراء جوررة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة، فقال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، فعندها تكون إمارة النساء، ومشاورة الإماماء، وقعود الصبيان على المنابر،

ويكون الكذب طرفاً، والزكاة مغرمًا، والفية مغنمًا، ويجفو الرجل والديه ويبرّ صديقه، ويطلع الكوكب المذنب.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظًا، ويغيظ الكرام غيظًا، ويحتقر الرجل المعسر، فعندها تقارب الأسواق إذ قال هذا: لم أربح شيئًا، وقال هذا: لم أربح شيئًا، فلا ترى إلا ذمًا لله.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، فعندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوا حقهم، ليستأثرون أنفسهم بفيئهم، وليطؤون حرمتهم، وليسفكن دماؤهم، وليملأن قلوبهم دغلاً ورعباً، فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها يؤتى بشيء من المشرق وشيء من المغرب يلون أمتي، فالويل لضعفاء أمتي منهم والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً، ولا يتجاوزون من مسيء، جثتهم جثة الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، ولتركبن ذوات الفروج السروج، فعليهن من أمتي لعنة الله.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلّى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده، إنّ عندها تحلى ذكور أمّتي بالذهب، ويلبسون الحرير والدياج، ويتخذون جلود النمر صفاً، قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يظهر الربا، ويتعاملون بالعينة والرشى، ويوضع الدين وترفع الدنيا.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يكثر الطلاق، فلا يقام لله حد ولن يضرّوا الله شيئاً، قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها تظهر القينات والمعازف، يليهم أشرار أمّتي.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها تحج أغنياء أمّتي للزهوة، وتحجّ أوساطها للتجارة، وتحج فقراؤهم للرياء والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلّمون القرآن لغير الله ويتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقّهون لغير الله، وتكثر أولاد الزنا، ويتغنّون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، ذاك إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم، وتسلبت الأشرار على الأخيار، ويفشو الكذب، وتظهر اللجاجة، وتغشو الفاقة، ويتباهون في اللباس، ويمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكوبة والمعازف، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الأمة، ويظهر قراؤهم وعبادهم فيما بينهم التلاوم، فأولئك يدعون في ملكوت السماوات الأرجاس الأنجاس.

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان، فعندها لا يحض الغني على الفقير، حتى أنّ السائل يسأل فيما بين الجمعيتين لا يصيب أحداً يضع في كفه شيئاً، قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان.

عندها يتكلم الروبيضة، فقال: وما الروبيضة يا رسول الله؟ فذاك أبي وأمي؟ قال ﷺ: يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الأرض خورة فلا يظن كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم فيمكنون ما شاء الله، ثم ينكتون (كذا) في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها ذهباً وفضة، ثم أوماً بيده إلى الأساطين فقال مثل هذا، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة، فهذا معنى قوله: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^١.

١- تفسير القمي: ٣٠٣/٢.

٢- محمد ٤٧: ١٨.

«وسبيل وجودها في احتمال جفاء الخلق وأذيتهم والصبر عند الرزايا،
وخبّة المؤمن والفرار من أشياء يلزمك رعايتها والقناعة بالأقلّ والميسور».

طرق كسب سلامة الدين:

إنّ تحصيل السلامة وحفظها، هو في تحمل جفاء الآخرين من بني جنسك
من مسلمهم ومؤمنهم على ضوء القواعد والأوامر الإلهية، حيث عليك ان لا
تقابل أذية وجفاء الآخرين بنفس العمل (أي الجفاء)، وأن لا تسبّ من سبّك، او
تفحش القول معه، بل عليك أن تواجه كل ذلك بما فيها الحسد والحقد
والتعصّب والأذية والجفاء على وفق الأمور الشرعية مع العلم أنّها صعبة ومرّة
جداً على الإنسان، لكن لا بُدّ منها إن أردت أن تبقى سالمًا، أو إن أردت أن
تحافظ على السلامة.

والوسيلة الأخرى لتحصيل السلامة وحفظها، هي الاستقامة والصبر عند
التّوائب والبلايا، البلايا التي إن لم يصبر عليها الإنسان، فإنه سوف يؤثر سلباً على
إيمانه، لذا فالصبر عامل أساسي ومهم في السلامة وحفظها وفي عدم التكيف مع
الأعداء والتصرّ عليهم.

والوسيلة الأخرى لتحصيل السلامة وحفظها، هو عدم الإسراف في الحياة
ووجوب الاقتصاد في المأكل والمشرب والملبس والمركب، لأن إعطاء النفس

ما تريد يؤدّي إلى الهلاك وتجره إلى اسفل السافلين.
وكذلك من الوسائل الأخرى لتحصيل السلامة وحفظها هو ترك المجاملات
والعادات التي ليس فيها سوى مضيعة للوقت وتؤدّي في بعض الأحيان إلى
الضرر بالدين.
والقناعة هي الوسيلة الأخرى لتحصيل السلامة وحفظها، القناعة بالحلال وإن
كان قليلاً.

«فإن لم تكن فالعزلة وإن لم تقدر فالصمت وليس كالعزلة وإن لم تستطع
فالكلام بما ينفعك وليس كالصمت وإن لم تجد السبيل إليه فالانقلاب
في الأسفار من بلد إلى بلد وطرح النفس في بوادي التلف بسرّ صاف
وقلب خاشع وبدن صابر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا
أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾!»

سلامة الدين في العزلة:

إذا لم تستطع تحصيل السلامة وحفظها بما مرّ ذكره آنفاً، فاقطع علاقتك
ومعاشرتك مع أكثر الناس الذين يظلمون ويؤذون البشر ويجرونه إلى وادي
الذنب ويزهدونه في العبادة، وإلتجأ إلى الحصن المنيع والشمين وهي العزلة.
وإذا لم تستطع قطع علاقتك ومعاشرتك مع الناس، فعليك أن تجعل شعارك
الصمت والسكوت وقلة الكلام، علماً أن منافع السكوت والصمت لا تُقاس مع
منافع العزلة، لأن في الصمت والسكوت يمكن للإنسان ألا يتكلم مثل الآخرين،

غير أنه لا يمكنه عدم سماع كلام الآخرين، بعكس العزلة، حيث يستطيع ان لا يتكلّم وان لا يسمع كلامهم.

فإن لم تستطع أن تلازم السكوت والصمت، فعليك بالكلام بمقدار الضرورة والحاجة، وبطريقة لا تؤذي بك إلى الخسران المعنوي، مع العلم أن قيمة الكلام لا تصل إلى قيمة السكوت والصمت، لأن الإنسان عندما يكون مضطراً للكلام فإن الإجتناّب عن اللغو في الكلام، أمر صعب ومشكل.

فإن لم تستطع تحصيل السلامة وحفظها مع جميع ما مرّ ذكره آنفاً، عليك ذلك الوقت بالسفر من بلد إلى آخر، وطرح النفس في بوادي التلف حتى ينقضي العمر والزمان، وهذا خير لك من ان تضيّع الدين والإيمان، ففي السفر، عليك بمراعاة نفسك ان لا تميل نحو السواد والذنوب، ولا تضيع طهارة قلبك، وأن تواظ على أحوالك من الخشوع والصبر. نعم إن السفر يكون أحياناً علاجاً للذنب وسوء العاقبة.

وإذا كان تحصيل السلامة وحفظها والنجاة من الوسواس وإغواء شياطين الباطن والظاهر هو في السفر، في هذه الحالة يجب السفر والهجرة إلى الله سبحانه وتعالى من الذنوب، وفيما إذا لم يفعل الإنسان ذلك، يكون هو المسؤول عن ضياع دينه وبالتالي يؤذي به إلى العذاب الإلهي كما صرّحت الآية الشريفة به:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ جَنَّةٌ مِّنْهُنَّ وَمَا لَهُمْ فِيهَا جَنَّةٌ مِّنْهُنَّ﴾

«وانتهز مغنم عباد الله الصالحين ولا تنافس الأشكال ولا تنازع الأضداد
ومن قال لك أنا فقل أنت ولا تدع شيئاً وإن أحاط به علمك وتحققت
به معرفتك ولا تكشف سرّك إلا لمن هو أشرف منك في الدين فتجد
الشرف وإذا فعلت ذلك أصبت السلامة وبقيت مع الله بلا علاقة».

في السفر وفي الخضر، وفي كل وقت من الاوقات اغتنم مجالسة عباد الله
الصالحين لأن معاشرتهم هو عامل لانتقال العلوم والاداب الالهية اليك، ولا
تصحب أولئك الذين هم في الظاهر كالإنسان وباطنهم بعيد عن الإنسانية ولا
تجامل ولا تنازع اولئك الذين يختلفون معك في أخلاقهم واسع دائماً إلى مداراة
الناس، ولا تجزم بشيء من العلم وان كنت قد احطت به علماً لأن العلم الجزمي
والقطعي مختص بعلم الله سبحانه وتعالى والانبياء والائمة عليهم السلام، اما العلوم
الانسانية والبشرية فهي علوم غير حتمية ولا قطعية لا تستطيع الادعاء بقطعيته
لأنها في كل لحظة مع التطور تكون قابلة للتغيير ولا تفشي سرّك إلى أي أحد إلا
للذي هو أشرف منك في الدين فإذا فعلت ذلك أصبت الشرف والمجد والسلامة
واتصلت بالله سبحانه وتعالى دون حاجب ومانع.

في جوّ السلامة والصدق، فإن القلب يكون منبعاً لفيوض الله سبحانه وتعالى

وتجعل النفس ان تميل إلى مقام الله سبحانه وتعالى وأن تحلّق الروح في اوج الملكوت وأن تتلذذ بطعم الخلوة بالمعشوق، في هذه الأثناء، فإن الساقى يقدم كأس العشق والمحبة إلى العاشق بشكل يوصل الإنسان إلى السعادة واللذة الدائمة ولسان حاله في كل لحظة وهو واقف أمام حبيبه ومعشوقه يقول:

يا أيها الذي ربطت جبل روحي بلقائك، وأسرت قلبي بزلفك.

لا يوجد بلد طيب إن لم تكن أنت سلطانه، ولا يوجد نظيرك في العالم كله.

ولم يهدأ قلبي دون عشقك، ولا الروح تستقر في الجسم دون رحمتك.

من عبوديتك اشكرك مائة مرة وليس عجيباً، يا ربّ لو امتلكت عبداً حراً.

لماذا ينصحون في العشق؟ ولكن، لم تسمع أنه اصبح عاقلاً كل من

سمع نصيحة.

أيها العاقل أنكر سر قلب العاشق، فإن هذه الملاحظة لا يستوعبها فهم العاقل.

لا يوجد أحد مثلك، ولا يوجد نظير لوجهك القمري.

فأهل القلب إذا ضحوا بأرواحهم، فنحن ضحينا بقلبنا للمحبوب.

الباب

(٢٤)

في فوائد العزلة

قال الصادق عليه السلام:

صاحب العزلة متحصّن بحصن الله ومتحرّس بحراسته، فيا طوبى لمن
تفرّد به سرّاً وعلانيةً.

وهو يحتاج إلى عشرة خصال:

علم الحق والباطل، وحب الفقر، وإختيار الشدة، والزهد، وإغتنام
الخلوة والنظر في العواقب، ورؤية التقصير في العبادة مع بذل المجهود،
وترك العجب، وكثرة الذكر بلا غفلة فإن الغفلة مصطاد الشيطان ورأس
كل بليّة وسبب كل حجاب، وخلوة البيت عمّا لا يحتاج إليه في الوقت.

قال عيسى بن مريم عليه السلام: اخزن لسانك بعمارة قلبك وليسمعك بيتك.

واحذر من الربا وفضول معاشك وابك على خطيئتك وفرّ من الناس
فرارك من الأسد فإنهم كانوا دواءً فصاروا اليوم داءً.

ثم اتق الله متى شئت، قال الربيع بن خثيم: إن استطعت ان تكون في
موضع لا تُعرف ولا تُعرف فافعل.

وفي العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح
الشيطان والمجانبة من كل سوء وراحة الوقت، وما من نبيّ ولا وصيّ إلا
واختار العزلة في زمانه إمّا في ابتدائه وإمّا في انتهائه.

«صاحب العزلة متحصّن بحصن الله ومتحرّس بحراسته، فيا طوبى لمن
تفرّد به سرّاً وعلانية».

العزلة:

في هذا الباب، رواية للإمام الناطق بالحق الصادق عليه السلام حول العزلة والتفرّد
ونعلم جيداً انه في الأصول السامية للإسلام والمعارف الحقّة الإلهية، ان الله لا
يكلف الانسان مالا يطيق وما هو خارج عن استطاعته ونعلم أيضاً انه لا يوجد في
الإسلام قاعدة او قانون يؤدّي بالضرر بحياة الإنسان في الدارين، وإذا كان هناك
عنواناً لقاعدة إسلامية في الكتب حول وجود ضرر لقاعدة في الإسلام فإنه غير
مقبول أو غير صحيح.

ونعلم أيضاً أنه لا يمكن للإنسان أن يكون في عزلة كاملة بحيث لا يعاشر ولا
يخالط وهذا شيء غير عملي.

ومن جهة أخرى نرى في القرآن الكريم وفي الروايات الصحيحة عن أهل
البيت عليهم السلام وفي كتاب نهج البلاغة أن مسألة العزلة والتفرّد المذكورة بعنوان انه
العامل الأصلي للسعادة وعلينا هنا ان ندقّق في معنى هذه المسألة وماهي غاية
القرآن الكريم ومقاصد الروايات الشريفة في مسألة العزلة حتى يتسنى للإنسان
بعد إنتخابه أن لا ينحرف عن الصراط المستقيم دون علم.

و بما أن أن مسألة العزلة في القرآن الكريم لها علاقة بسعادة الإنسان وراحته، يجب ان نقول دون شك او ترديد ان معنى العزلة في المعارف الإلهية هو العزلة والتفرد من كل خطر ومن كل شيء فيه ضرر للإنسان لخير الدنيا والآخرة ومن كل شيء يقف في طريق سعادته وسلامته، بل أنه من الجهة الشرعية والعقلية، العزلة والتفرد من عوامل الخطر والضرر واجب شرعي وعقلي.

إن الموارد التي حثّ فيها القرآن الكريم والروايات الإنسان على العزلة واضحة كالشمس وتتلخص بما يلي:

العزلة عن الذنوب الخفية:

١ - العزلة عن الذنوب الشخصية والخفية وهجرتها باطنياً وظاهرياً، كما ورد في هذه الآية من سورة الأنعام:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^١.

ومما لا شك فيه، فإن العزلة والتفرد تكون عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والتي هي عبارة عن: الزنا، اللواط، الظلم، تزني تبرجها المرأة لغير زوجها، الكذب، الغيبة، التهمة، الحسد، الشرك، عقوق الوالدين، قتل النفس المحرمة، أكل مال اليتيم ظلماً^٢.

إن الإنسان مكلف وموظف في السرّ والعلانية أن يجتنب عن جميع الذنوب التي هنّ عوامل خطر وتؤدي لخزي الإنسان في الدنيا وعذابه في الآخرة.

١- الأنعام: ٦: ١٥١.

٢- تفسير كاشف: ٢٨٣/٣.

العزلة والهجرة:

٢- ان العزلة والتفرّد من بلدٍ او دولة، عندما يكون في تلك الدولة او البلد غير قادرٍ على حفظ دينه والتي عبّر عنها القرآن الكريم والروايات الشريفة بالهجرة، هو أمر مؤكد وواجب.

العزلة عن الذنوب:

٣- ان الابتعاد والعزلة عن قوم هم غارقون في أنواع المعاصي والذنوب ولا أمل في هدايتهم، وإدانة معاشرتهم ومخالطتهم قد تترك أثراً سيئاً على حال واخلاق وأعمال وإيمان الإنسان.

وبكل تأكيد فإن رواية الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الباب الرابع والعشرين من كتاب «مصباح الشريعة» كان أغلبه بهذا الصدد والخصوص، أي المورد الثالث وهو العزلة عن الذنوب وسوف نسعى إن شاء الله تعالى لتوضيح هذا القسم.

علاوة على هذه الموارد الثلاثة فإنه لا يوجد في الإسلام مورد آخر للعزلة والتفرّد وإذا كانت، فهي منطبقة على أحد هذه الموارد الثلاثة.

إن معايشة عباد الله الصالحين والسعي بين الناس لحلّ مشكلاتهم الأسرية والاقتصادية والاجتماعية، والارتباط مع خلق الله لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاختلاط مع المجتمع من أجل تثقيفهم والسعي وراء الزراعة والصناعة والتجارة وكسب المال الحلال وطلب المساعدة من المؤمنين والمسلمين في هذا الصدد، هو أمر إلزامي لكل إنسان، بل في بعضها يكون واجباً شرعياً، وإن العزلة والتفرّد عن هذه الأبواب الخيرية وعوامل السعادة، هي حركة

عكس الصراط المستقيم الإلهي وخلاف للعقل والشرع.

مرة أخرى يجب أن نذكر بهذه الملاحظة القيمة ألا وهي أن شرح وتفسير الرواية المختصة بالموارد الثالث من معنى العزلة، ان العزلة هي التفرّد والابتعاد عن المفسدين الذين لا أمل في هدايتهم على الإطلاق، وان معاشرتهم تصبح وسيلة لابتعاد الإنسان عن خير الدنيا والآخرة وان هكذا عزلة إذا طبقت في المجتمعات الإسلامية عن طريق فضلاء الأمة تجاه العاصين والمدنّيين، فإن مجال العصيان والذنب وكذا مقدرتهم على المعصية سوف يُسلب منهم، كما ورد في القرآن الكريم في سورة التوبة عندما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم والمسلمين بالعزلة عن ثلاثة متخلفين، ممّا أدّى لتأديبهم وتربيتهم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق.

وإذا ما صادف أنك تعيش في زمن فيه يذهب ويميل أكثر الناس تجاه الفسق والفجور، ولا يستمعون إلى صوت الحق، وأنّ وجودك بينهم يؤدي إلى هلاكك، عندئذ عليك بالابتعاد عنهم وانتخاب العزلة، واسع الى ان لا تُعرف كما هو أنت، لأن معرفة العدو عنك، قد يؤدي إلى إلحاق الضرر بك.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«وذلك زمان لا ينجو فيه إلا كلّ مؤمن نُومّة، إن شهد لم يُعرف وإن غاب لم يُفتقد، أولئك مصابيح الدجى، وأعلام السرى، ليسوا بالمسابيح ولا المذايح البدر، أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته ويكشف عنهم ضراء نقمته»^١.

القرآن الكريم والعزلة:

إن القرآن الكريم هو كتاب إلهي مبين لجميع الحقائق، وموضح لجميع الحقائق الأصيلة عن مسألة الاعتزال والتفرد عن قوم لا يستطيع الإنسان هدايتهم ولا ينال من الحضور بينهم سوى الضرر والخسران. ان الابتعاد عن أولئك القوم هو تثبيت لهداية الإنسان وتارةً يكون لتأمين القوى لنجاة قوم عندما يرجعوا من مقام العزلة والتفرد.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾!

إن هؤلاء العظماء اختاروا العزلة والابتعاد عن شرار قومهم لحفظ دينهم، ووفق الجملة الأخيرة من الآية الكريمة الآنف الذكر، فإنهم كانوا يأملون - عندما كانوا متحصنين بقلعة العزلة - زيادة على حفظ سلامة دينهم، أن يهبهم الله قدرة من رحمته، ويهيئ لهم الأسباب عندما يرجعوا من عزلتهم، وأن يخرجوا قومهم من ذلّ عبادة الأوثان إلى عز عبادة الله سبحانه وتعالى، ولكن إرادة الله سبحانه وتعالى كانت غير ما يريدون.

عزلة أصحاب الكهف:

علينا هنا ان نذكر قصة أصحاب الكهف، أولئك العظماء كما هي: في منطقة في اليونان او برواية أخرى في لبنان، كانت توجد مدينة مشركة

اسمها افسوس. ضل ملكها وأهلها عن الطريق المستقيم، وعبدوا مع الله مالا يضرهم ولا ينفعهم. عبدوهم من غير أي دليل على ألوهيتهم. ومع ذلك كانوا يدافعون عن هذه الآلهة المزعومة، ولا يرضون أن يمسخها أحد بسوء. ويؤذون كل من يكفر بها، ولا يعبدها. في هذه المجتمع الفاسد، ظهرت مجموعة من الشباب العقلاء. ثلة قليلة حكمت عقلها، ورفضت السجود لغير خالقها، الله الذي بيده كل شيء. فتية، آمنوا بالله، فثبتهم وزاد في هدايمهم. وألهمهم طريق الرشاد. لم يكن هؤلاء الفتية أنبياء ولا رسلا، ولم يتوجب عليهم تحمل ما يتحملة الرسل في دعوة أقوامهم. إنما كانوا أصحاب إيمان راسخ، فأنكروا على قومهم شركهم بالله، وطلبوا منهم إقامة الحجة على وجود آلهة غير الله. وفي ظل تلك الظروف، رفض هؤلاء الفتية الخضوع لهذا النظام الكافر، وعبادة الإمبراطور إلهاً من دون الله ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾. ثم قرروا النجاة بدينهم وبأنفسهم بالهجرة من القرية لمكان آمن يعبدون الله فيه. فالقرية فاسدة، وأهلها ضالون. عزم الفتية على الخروج من القرية، والتوجه لكهف مهجور ليكون ملاذا لهم. خرجوا ومعهم كلهم من المدينة الواسعة، للكهف الضيق. تركوا وراءهم منازلهم المريحة، ليسكنوا كهفاً موحشاً. زهدوا في الأسرية الوثيرة، والحجر الفسيحة، واختاروا كهفاً ضيقاً مظلماً. إن هذا ليس بغريب على من ملأ الإيمان قلبه. فالمؤمن يرى الصحراء روضة إن أحس أن الله معه. ويرى الكهف قصراً، إن اختار الله له الكهف. وهؤلاء ما خرجوا من قريتهم لطلب دنيا

أو مال، وإنما خرجوا طمعا في رضى الله. وأي مكان يمكنهم فيه عبادة الله ونيل رضاه سيكون خيرا من قريتهم التي خرجوا منها. استلقى الفتية في الكهف، وجلس كلهم على باب الكهف يحرسه. وهنا حدثت معجزة إلهية. لقد نام الفتية ثلاثمئة وتسع سنوات. وخلال هذه المدة، كانت الشمس تشرق عن يمين كهفهم وتغرب عن شماله، فلا تصيبهم أشعتها في أول ولا آخر النهار. وكانوا يتقلبون أثناء نومهم، حتى لا تهترئ أجاسدهم. فكان الناظر إليهم يحس بالرعب. يحس بالرعب لأنهم نائمون ولكنهم كالمستيقظين من كثرة تقلبهم. بعد هذه المئين الثلاث، بعثهم الله مرة أخرى. استيقظوا من سباتهم الطويل، لكنهم لم يدركوا كم مضى عليهم من الوقت في نومهم. وكانت آثار النوم الطويل بادية عليهم. فتساءلوا: كم لبثنا؟! فأجاب بعضهم: لبثنا يوما أو بعض يوم. لكنهم تجاوزوا بسرعة مرحلة الدهشة، فمدة النوم غير مهمة. المهم أنهم استيقظوا وعليهم أن يتدبروا أمورهم. فأخرجوا النقود التي كانت معهم، ثم طلبوا من أحدهم أن يذهب خلسة للمدينة، وأن يشتري طعاما طيبا بهذه النقود، ثم يعود إليهم برفق حتى لا يشعر به أحد. فربما يعاقبهم جنود الملك أو الظلمة من أهل القرية إن علموا بأمرهم. قد يخبرونهم بين العودة للشرك، أو الرجم حتى الموت. خرج الرجل المؤمن متوجها للقرية، إلا أنها لم تكن كعهده بها. لقد تغيرت الأماكن والوجوه. تغيرت البضائع والنقود. استغرب كيف يحدث كل هذا في يوم وليلة. وبالطبع، لم يكن عسيرا على أهل القرية أن يميزوا دهشة هذا الرجل. ولم يكن صعبا عليهم معرفة أنه غريب، من ثيابه التي يلبسها ونقوده التي يحملها. لقد آمن أهل المدينة التي خرج منها الفتية، وهلك الملك الظالم، وجاء مكانه رجل

صالح. لقد فرح الناس بهؤلاء الفتية المؤمنین. لقد كانوا أول من يؤمن من هذه المدينة. لقد هاجروا من قريتهم لكيلا يفتنوا في دينهم. وما هم قد عادوا. فمن حق أهل المدينة الفرح. وذهبوا لرؤيتهم. وبعد أن ثبتت المعجزة، معجزة إحياء الأموات. وبعدما استيقنت قلوب أهل المدينة قدرة الله سبحانه وتعالى على بعث من يموت، برؤية مثال واقعي ملموس أمامهم. أخذ الله أرواح الفتية وقبضها. فلكل نفس أجل، ولا بد لها أن تموت. فاختلف أهل المدينة. منهم من دعا لإقامة بنيان على كهفهم، ومنهم من طالب ببناء مسجد، ولكن الله أعلم بحالهم.

عزلة إبراهيم عليه السلام عن المشركين:

﴿وَأَعْتَزَلِكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾!

إن هذه الآيتين تبين ابتعاد إبراهيم عليه السلام عن المشركين وعباد الأوثان. المشركين الذين كانوا يحكمون الحياة في ذلك الوقت. وإبراهيم عليه السلام لم يكن لديه أي شبه أو عامل مشترك معهم. ابتعد واعتزل عنهم إبراهيم عليه السلام حتى يعطي درس العزلة لجميع الطاهرين والموحدين ويوصل هذه الرسالة لجميع المؤمنين بأنه إذا لم تكن لديكم القدرة على إسقاط الطاغوت والظالم فابتعدوا واعتزلوا عنه حتى يهيب الله لكم وسائل إسقاطهم، فقال إبراهيم عليه السلام: إني أعتزل عنكم ومن جميع الأوثان التي تعبدون من دون الله وادعوا الله ربي عسى أن لا أكون

بدعاء ربي شقيّاً، فلما اعتزلهم إبراهيم عليه السلام وما يعبدون من دون الله من الأوثان والأصنام فإن الله سبحانه وتعالى برحمته ولطفه وهب له إسحاق ويعقوب عليهما السلام وكلاً جعله نبياً.

الروايات والعزلة:

كما تمت الإشارة في مقدمة الرواية، فإن العزلة في الإسلام هي الافتراق والابتعاد عن الفاسقين والفاجرين حتى يستطيع الإنسان ان يكون في مأمن من أثر سوءهم وحتى يستطيع السير والحركة نحو اقتلاع جذور فساد الفاسدين. فقد وردت روايات مهمّة في مفهوم العزلة ونرى لزاماً أن نذكر بعضاً منها:

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إن الله وجل وعز أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل إن أحببت أن تلقاني غدا في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيدا غريبا مهموما محزوناً مستوحشا من الناس، بمنزلة الطير الواحد، الذي يطير في أرض القفار، ويأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من ماء العيون، فإذا كان الليل أوى وحده، ولم يأو مع الطيور استأنس بربه، واستوحش من الطيور»^١.

إن هذه الوحدة والغربة والحزن والوحشة الواردة في الرواية والتي أمرنا بها إنما هي لمواجهة طالحي المجتمع، يعني أولئك الذين قد يأس النبي صلى الله عليه وآله، او

١- أمالي الصدوق: ١٩٨، المجلس السادس والثلاثون، حديث ٤، بحار الأنوار: ١٠٨/٦٧، باب ٤٩،

الإنسان الصالح من هدايتهم، وان الوجود معهم ليس فيه نفع للإنسان سوى الضرر والخسارة.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«أيها الناس، طوبى لمن لزم بيته واكل كسرتة، وبكى على خطيئته، وكان من نفسه في تعب، والناس منه في راحة»^١.

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«ثلاث منجيات: تكفّ لسانك، وتبكي على خطيئتك، وتلزم بيتك»^٢.

وهي كناية عن تقليل معايشة ومخالطة الذين يتركون أثر السوء على الإنسان. عن علي عليه السلام قال:

«قال عيسى بن مريم: طوبى لمن كان صمته فكراً، ونظره عبراً، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وسلم الناس من يده ولسانه»^٣.

قال الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم:

«يا هشام! الصبر على الوحدة علامة على قوة العقل فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب عند الله وكان الله انيسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة

١- نهج البلاغة: خطبة ١٧٦، بحار الأنوار: ١٠٩/٦٧، باب ٤٩، حديث ٤.

٢- الخصال: ٨٥/١، حديث ١٣، بحار الأنوار: ١٠٩/٦٧، باب ٤٩، حديث ٥.

٣- الخصال: ٢٩٥/١، حديث ٦٢، بحار الأنوار: ١٠٩/٦٧، باب ٤٩، حديث ٦.

ومعزّه من غير عشيرة، يا هشام، قليل العمل مع العلم مقبول
مضاعف، وكثير العمل من أهل الجهل مردود^١.

إذا ما دققتم النظر في هذه الرواية المهمة للإمام موسى الكاظم عليه السلام فإن
هدف العزلة ليس هو الجلوس في البيت والابتعاد التام عن الناس، بل ان الغاية
والهدف من العزلة والتفرد هو العزلة عن أهل الدنيا وراغبيها يعني تلك الفرقة
من الناس الغارقة في المادة والهوى والشهوات التي لا يحصل الإنسان من وراء
معاشرتهم سوى الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

على أية حال، فإن حقيقة العزلة في ثقافة الإسلام هو ترك مصاحبة ومعاشرة
أهل الذنوب التي ذكرها الفقهاء والعظماء في كتبهم الفقهية في باب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر.

العزلة من وجهة نظر العارفين:

إنّ العارفين العاشقين، واليقظين الصادقين؛ في مسألة العزلة إضافة إلى طرح
المسائل السابقة، يعتقدون ان حقيقة العزلة، هي التفرد عن الغير وخصوصاً عن
النفس لأجل إيجاد المقصود الحقيقي.

فهذه العزلة والتفرد ليس فيها منافاة مع الخروج من المنزل لأجل كسب
العيش ولقمة الحلال للنفس والأهل، وكذلك الاختلاط والمعاشرة مع الناس.
هذه العزلة هي في الحقيقة عزلة القلب عن جميع التعلقات الموجودة بغير
المحبوب، أو بعبارة أخرى الانعزال عن جميع موانع الطريق للوصول إلى لقاء
حضرة المحبوب.

١- علة الداعي: ٢٣٣، بحار الأنوار: ١١١/٦٧، باب ٤٩، حديث ١٤.

وكما يقول؛ البلبل العاشق لحضرة المحبوب؛ إلهي قمشه اي:
إذا فتحت ناظريك ليلة إلى على عالم الطهارة، تجعل من التراب تاجاً، والكنز
تراياً.

فعرّوس الدهرفاتنة جدا ولكن، لا تغتر بمتاعها الدنس طاهر.
فإن صورة الدنيا ورسما هي طبائع جيدة، ولكن الانسان لا يستطيع
فهمها بالعين اللطيفة.
فإن هذه الدنيا عروس عجوز وعن طريق المكر والسحر، تغلبت على
رستم واهلكته.

واعلم ان طالب الكمال بعد حصول الاستعداد لديه، عليه ان يزيل الموانع،
فصاحب العزلة يجب ان يختار مكاناً خالياً من محسوسات الظاهر والباطن، وان
يروّض القوى الحيوانية، وأن يعرض كلياً عن الأفكار المجازية، وان يكون فكره
في أمور تكون غاياتها في مصالح المعاش والمعاد، فمصالح المعاش؛ هي أمور
فانية «ليست الأمور التي يحتاجها وضروية له»، واما مصالح المعاد، فهي الأمور
التي غاياتها حصول اللذة الأبدية التي تطلبها النفس.

وبعد زوال الموانع الظاهرية وإفراغ الباطن من الاشغال بغير الله سبحانه
وتعالى، يجب ان يقبل بجميع همّته ونيتته، ويرصد السوانح الغيبية، ويرتقب
الفيوضات الحقيقة التي يطلق عليها التفكير.

إذ تجلس مختلياً بالمحبوب، فنفس الغرباء كالحستاد.

فلم يعلم ولم يبدأ العزلة، هل كل ما لديك تستطيع التطيع عليه.^١

إذهب واختر كنزاً وتزود، وابتعد عن الناس بكل ما تستطيع.
 فلما تتعود على التفرد ايها الصديق، عندئذ تفهم حلاوة العزلة.
 فكل من استوحش العزلة وانس بالخلق، فهو بعيد عن السلامة، فمن بداية
 حياة البشر إلى الآن؛ لم تظهر فتنة إلا وكان سببها المعاشرة مع الخلق، ومن ذلك
 الوقت إلى الآن، لم يسلم أحد منهم، إلا الذي اعتزل عن معاشرتهم.
 وعندما تكون في عزلتك مع الحق، أوقف القلب عن التفكير في الوسواس،
 وإن كنت خائفاً من الله، فالتجأ إليه، وكل من اختار العزلة، وكان طامعاً عليه أن
 يتوب من عبادة النفس، وكل من كانت مغروراً بنفسه، عليه ان يفيق من نوم
 الغفلة، وأن يكون بالظاهر مع الناس والباطن مع الله.
 أنا في الظاهر مع خلق الله وفي الباطن مع الله، ولا تتحدث بهذا الحديث
 لأي شخص.

والعزلة هي ان يخرج عن معاشرة الخلق، ويقطع العلائق والعوائق.
 فلما تتعود على التفرد ايها الصديق، عندئذ تفهم ما أجمل العزلة.
 فاعتزل عن غيره بغيرتك، حتى تسمو في كل لحظة سيرتك.
 ولا تعاشر أحداً لحظة، إلا ان تخدم إنساناً كاملاً ومكماً، وتقوم باجازته
 وشارته، والإنسان الكامل هو الكامل في الشريعة والطريقة والحقيقة بحيث يقال
 عنه عالم في هذه العلوم الثلاثة.

فإذا وجدت مثل هذا العاشق، فاخدمه حتى تصبح مقبلاً عليه.
 وعلى أن يكون كالميت أمام الإنسان الكامل يقلبه كيف يشاء، وأن يضع
 نفسه تحت اختياره كاملاً، تى يغسله كيف يشاء بالولاية وماء ورد النبوة والهداية
 والصمدية، وبعين العناية، يخلصه من دنس و لوث جنابة الاجنبي، وحدث
 حدوث النفس.

واصل العزلة هو عزل الحواس في التفرد بالتصرف في المحسوسات، فإن التعلق بالممكنات هي آفات للقلب وبلاء لها وللجسم.

اجلس في خلوة القلب أيها الكامل، ولا تضع احداً غيره في القلب.

لأنه إذا أدخلت الغير فيه، فإنه يستصعب حل المشاكل.^١

ولا تجعل غبار تراب تصرف المحسوسات وما حول تراب التعلقات ان تدخل من حجاب حواسك، ويغتر وجودك كله، فتقوية النفس الأمانة وتربية الصفات الذميمة بسبب ذلك، والروح تضرر مع هذه المعاملة، لأنه عندما تؤانس مع النفس الخسيسة ومن خلال طريق النفاق، تهوي إلى اسفل السافلين.

وقالوا: ان العقل جمع مع النفس، فأخرجنا القلب كابين لهما، فإذا الابن العزيز وبطريق الجهالة سلك طريق النفس الأم، فالأب العقل كذلك لمحبه لابنه يتفق معه، ويتوجهون إلى الدنيا دار الفناء.

اما إذا كان الابن القلب بالغ وواصل إلى أمر «فاتبعوني»، فإنه يتبع الأب الحقيقي وهو العقل، وبالنتيجة فإن الأم النفس كذلك توافق في السير معهم ويتوجهون عن طريق صراط الله من عالم الصورة الظاهرة إلى عالم المعنى الباطني.

قم واجعل النفس مطيعة لك، ولا تجعل الروح العاجزة نفساً.

واعلم ان التفرد والعزلة وعزل الحواس وقطع الطمع من الناس بواسطة النفس الخناس، من الدنيا الدنية للشيطان الملعون غير ممكن.

بل إن العزلة هو في الحمية في الطعام والشراب الزائد، لانه الطيب الحبيب الصادق الحاذق في معالجة المريض، يوصف له أولاً الوقاية والحمية، بعد أن

تبلغ تلك المادة الخام وتذهب المواد الفاسدة منها، يقرّ له مسهلاً للعلاج من باب اخذ النصيحة والحكمة من ذلك الطيب، عندها تنزل القوى الطبيعية والحرارة الغريزية:

«الحِمْيَةَ رَأْسَ كُلِّ دَوَاءٍ»^١.

ثم يقوم ذلك الطيب، بكل حكمة بتقوية مزاجه بحب:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^٢.

واعلم ان الاياء والاولياء - الذين هم أطباء الآخرة - خطوا كل خطوة في هذا المشفى الإلهي، وبعد الحمية والعزلة وتنقية المواد بالعزلة من الحكمة إلى الصحة، أشربوا المتع المهجور المنزوي ذلك الطالب من شراب:

﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^٣.

واعلم ان العزلة هي مجموعة من مخالفة النفس والرياضة من قبيل تقليل الطعام والنمائم، وصيام أيام وقلة كلام وترك مخالطة الانام، ومداومة ذكر الملك العلام، ونفي الخواطر ودوام المراقبة.

وعندما يريد السالك ان يعتزل، عليه ان يغتسل أولاً، وبعد أداء صلاة الصبح أن يتوجه إلى حيث يريد الاعتزال، فإذا وقف هنالك، عليه أن يقول:

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾^٤.

١- فقه الرضا: ٣٤٠، باب ٩٠؛ بحار الأنوار: ٢٦٠/٥٩، باب ٨٨ حديث ١.

٢- المائدة ٥: ٥٤.

٣- الاسراء ١٧: ٨٢.

٤- الاسراء ١٧: ٨٠.

فإذا وقف في المحراب، قدّم رجله اليمنى وقال:

«اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»^١.

وأن يصلي بعد طلوع الشمس ركعتين برجاء المطلوبة، بكل خشوع وخضوع، وأن يرفع رأسه بكل صدق وإخلاص ويكون جلوسه كما يجلس للتشهد، وإن يشغل بعد الفرائض والسنن، بالذكر، ومن ضمنها أن يختار ذكر «لا إله إلا الله».

فلما طهر الذاكر للحق والناطق المطلق، مكان عزلة الباطن من ظلمة التعلقات الحيوانية وغبار كدورة النفس، فإن محبة الأحذية تشرق عليه من مشرق الصمدية، ويحصل له نورٌ من ضياء صفاء الإيمان، منور بلطف الرحمن في جنان أهل الجنان. ويشعل ناراً من العشق ويحرق فيها لاء العقل كعود في مجمر صدر المقصود.^٢

فوائد العزلة:

عندما تعتزل عن شرار الخلق وأراذل الناس - الذين لا أمل في هدايتهم - وعندما ترسو ذاكرتك على حصن نسيانهم، فإن هناك فوائد جمّة تصيبك في أمور الدنيا والآخرة. من جملة فوائد العزلة هو حصول الإنسان على وقت يتفرغ فيه لعبادة الله سبحانه وتعالى، والأنس بمناجاته والتفكير في خلقه، والسير لكشف أسرار الله سبحانه وتعالى في أمور الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرضين. إن رسول الإسلام العظيم محمد ﷺ كان معتزلاً في غار حراء قبل البعثة من

١- تهذيب الأحكام: ٢٦٣/٣، باب ٢٥، حديث ٦٥؛ بحار الأنوار: ٢٢/٨١، باب ٩، حديث ١١.

١- «آثار درويش محمد طيبي: ١٨».

شرار القوم والمفسدين. وهناك كان يقضي وقته بالعبادة والتفكير واكتشاف أسرار الملك والملكوت وبعد مضي فترة من الزمن فقد أوحى إليه أمر بتبليغ الثقافة الإلهية وما وصل إليه ﷺ، وعندما أتى وسط الناس، فإن جسمه كان معهم ولكن قلبه كان مع الله وبصريته ناظرة إلى باطن عالم الوجود.

إن صحبته ومعاشرته ﷺ للناس لم تكن تمنعه أو تحجبه عن معشوقه ومحبوه، وبذل ما كان باستطاعته لهداية أهل الباطل إلى طريق الله سبحانه وتعالى. وعندما يأس من هدايتهم فإنه اعتزلهم وتفرد منهم بكل وجوده.

فقد قيل لأحد الحكماء لماذا اختار أهل القلوب العزلة والتفرد؟ فأجاب: إنهم وبمساعدة العزلة والتفرد يريدون دوام التفكير وتثبيت الحقائق في القلب حتى يحصلون على الحياة الطيبة ويلمسون لذة المعرفة بذائقة الروح.

عندما يعتزل الإنسان ويتفرد فإنه ينجو من ثلاث كباثر عظيمة:

أولاً: الغيبة.

ثانياً: الربا.

ثالثاً: التأثر بالفحشاء والمنكر.

للأسف، فإن حلاوة وطيب أغلب المجالس هو غيبة الناس، وعندما ينضم الإنسان إلى تلك المجالس، فإنك تنجر نحو هذا الذنب المخجل ألا وهو الغيبة أردت أم لم ترد، لذا فإن حفظ اللسان عن الغيبة هو ديدن وعمل عباد الله المخلصين، والذي لا يستطيع أن يمتنع عن هذه المعصية، يجب عليه أن يجتنب عن مقدماتها، وأهمها عدم المعاشرة مع الجميع.

وكذلك، فإن المعاشرة الكثيرة مع الناس، تؤدي بالإنسان إلى الغرور والرياء، حتى يصل به الأمر أن يرى جميع الناس يمدوحونه، وأن يروونه في مشتغلاً في

العبادات والطاعات والخيرات، وأن يتناقلوا حسنه وحسن عبادته وعمله للآخرين، ومن جهة أخرى فإن في المعاشرة الكثيرة للناس، خطر التأثر بالمعاصي خصوصاً المعاصي الشهوانية التي تؤدي إلى لذة آنية، او المادية. لذا فإن أردت البقاء بعيداً عن هذه الأخطار فإنه لا بد ان تختار العزلة لنفسك عن كثير من الناس، وانت تعزل قلبك عن غير الله سبحانه وتعالى في قرارة وباطن وجودك. ومن أجل جميع هذه المقدمات التي ذكرناها، فإن الصادق عليه السلام يقول:

«صاحب العزلة، متحصّن بحصن الله ومتحرّس بحراسته، فيا طوبى لمن
تفرّد به سرّاً وعلانيةً».

«هو يحتاج إلى عشرة خصال: علم الحق والباطل، وحب الفقر، واختيار الشدة، والزهد، واغتنام الخلوة، والنظر في العواقب، ورؤية التقصير في العبادة مع بذل المجهود، وترك المعجب، وكثرة الذكر بلا غفلة، فإن الغفلة مصطاد الشيطان ورأس كل بليّة وسبب كل حجاب وخلوة البيت عما لا يحتاج إليه في الوقت».

ضروريات العزلة:

العزلة كما مر سابقاً وتحصيل الأنس مع الله سبحانه وتعالى، يحتاج إلى أربعة خصال:

أولاً: معرفة الحق والباطل حتى لا ينحرف السالك في مسير السلوك إلى الله سبحانه وتعالى عن الصراط المستقيم.

ثانياً: ان يروض نفسه ويجاهدها ويصل إلى درجة بأن لا يتأثر من التعب والبلاء في طرق الوصول إلى الحقائق، وأن لا ينزعج أو يحزن إذا لم يحصل على الدنيا في سيره وسلوكه في هذا الطريق. بل عليه ان يكتفي بالقليل مما يحتاج إليه في دنياه، حتى لا يقع في فخ اللذة والمادة والشهوات.

ثالثاً: الشدّة والثبات في العمل في هذا المسير، بحيث لو تأخرت اموره الدنيوية أو تقدمت فإنه لا يتأثر بها، ولا تؤثر في صبره وتحمله.

رابعاً: الاجتناب والورع عن المحرمات وحتى عن المكروهات إن استطاع. والزهد في زخارف الدنيا وزينتها المادية، لأن ارتكاب المحرمات وحب مظاهر الدنيا المغرية هي من أسباب كدورة القلب وقساوتها ونحن لا نستطيع - بهذا الحال - أن نصل إلى الله سبحانه وتعالى.

خامساً: احتساب واعتبار العزلة هذه هي غنيمة، بمعنى أنه بعد الابتعاد عن شرار الخلق وأهل المعصية وكل شخص يكون مانعاً في حركة الإنسان في السير إلى الله سبحانه وتعالى، يجب علينا أن لا نشاق أو نتمنى مخالطتهم مرة أخرى.

سادساً: النظر في عاقبة الأمر كما حثنا القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام وان نعلم أن عاقبة الأمر هو الموت والذهاب إلى عالم البرزخ والدخول إلى عرصات القيامة والحضور في المحكمة الإلهية، فالجزاء والحساب، ثم الجنة والنار.

سابعاً: أن ترى نفسك مقصراً أمام عظمة الله سبحانه وتعالى في العبادة، مع بذلك المجهر في جميع عبادتك لإطاعته سبحانه وتعالى بتمام وجودك.

ثامناً: ترك العجب والتخلص من التكبر لأنهما في هذا الطريق، ذنب عظيم وحجاب خطير، لذا عليك في هذا المسير الاعتراف بالتقصير والعجز والتصور والتواضع.

تاسعاً: كثرة الذكر وحضوره دائماً في القلب، فإن التوجه إلى الله في أغلب الأوقات والابتعاد عن الفئلة يجب أن يكون على يد رضاء المعشوق وسحاب العزلة لأن الغيب عن محبوب أماس كل قسمة ويلاء ومر فح خطير من الشيطان للإنسان.

عاشراً: خلوة البيت عمّا لا يحتاجه صاحب العزلة من الأشياء الغير ضرورية التي تنسي القلب عن ذكر المحبوب، أو تبعده عن ذكر الحق ويجب الفرار منها كفرار الشاة من الذئب.

«قال عيسى بن مريم عليه السلام: اخزن لسانك بعمارة قلبك وليسعك بيتك. واحذر من الربا وفضول معاشك وابك على خطيئتك وفرّ من الناس فرارك من الأسد فإنهم كانوا دواءً فصاروا اليوم داءً. ثم اتق الله متى شئت».

العزلة في كلام عيسى بن مريم عليه السلام:

يقول عيسى بن مريم عليه السلام: احبس لسانك حتى يعمر قلبك، لأن القلب هو مركز قبول الحقائق وعندما يكون اللسان مقهوراً ومحبوساً، فإن القلب يتخلص من الكدورة وسواد الذنب. واجلس في بيتك لتسلم من شرّ الأشرار وفسق الفساق وعصيان العصاة الذين لا أمل في هدايتهم وتجنب كل عمل لا يكون فيه رضا للمحبوب، او فيه رياء، ولا تحتفظ بما هو زائد على حاجتك ولأجل أن تنتفع منه، أنفقه في سبيل الحق سبحانه وتعالى، وأبك على خطيئتك إلى حدّ التوبة، وفرّ من الذناب المتلبّسة بقناع الإنسان فرارك من الأسد، لأنهم كانوا دواءً فصاروا اليوم داءً، لذا فإنّ معاشرتهم لا تؤدّي سوى إلى خسران الدنيا والآخرة، واتق الله أينما كنت وفي كل مقام ومكان وعلى أي حال، واجتنب المعاصي والذنوب حتى تصل إلى خير الدنيا والآخرة.

«قال الربيع بن خثيم: إن استطعت ان تكون في موضع لا تعرف ولا تعرف فافعل. وفي العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشيطان والمجانبة من كل سوء وراحة الوقت».

العزلة في كلام ربيع بن خثيم:

يقول ربيع بن خثيم وهو من الزهاد الثمانية: إذا استطعت أن تعيش على نحو أو في مكان لا تعرف فيه ولا تعرف، فافعل، ففي هذا النوع من الحياة، صيانة لك من الشرور والآفات. وفي العزلة حفظ الأعضاء والجوارح وصيانتها من جميع حركات اللغو والباطل وفيه أيضاً فراغ للقلب من الآمال الفانية لأن الإغراءات المادية كثيرة ونحن ضعفاء أمامها وتؤدي بنا إلى انشغال القلب بها ونتيجتها أنها تكون مضرة بالآخرة.

ومن فوائد العزلة الأخرى، سلامة العيش من الأشياء الاضافية والزيارات الغير ضرورية والغير مفيدة وكذلك من منافع العزلة كسر سلاح الشيطان، لأن الشيطان تكون له قدرة نفوذ على الإنسان عندما يرتبط الإنسان بالعوامل غير الإلهية، لذا فعندما يبتعد عن تلك العوامل الغير إلهية، فإن سلاح الشيطان ينكسر، وكذلك تجد في العزلة المجانبة من كل سوء وشر وفيه راحة للإنسان في قضاء عمره بالطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالى.

«وما من نبيّ ولا وصيٍّ إلا واختار العزلة في زمانه إمّا في ابتدائه
وإمّا في انتهائه».

عزلة أولياء الله سبحانه وتعالى:

لم يكن النبي ﷺ أو أوصيائه عليهم السلام في أوائل حياتهم، أو في أواخره، إلا واختاروا العزلة عن شرار الخلق وفساقها الذين لا أمل في صلاحهم لذا، فإن العزلة وخلوة القلب والجسد هو أفضل طريق للوصول إلى المحبوب والحصول على الحقائق السامية للملكوت.

هنالك تفرج في العالم الأعلى، ويكون خارج المكان والزمان إن وجد.
والشيء الذي تبقى لنا هو ورقة الأمل، إن في صدور العشاق أمل.
في غيبة الخلق إن وجد الحضور، وفي ترك التفرج إن وجد التفرج.
فيذرف الدمع في مآتم الأمل، في الأرض مياه عذبة إن وجد.
وبهدوء يخرج الأسف من الصدر، في بستان عالم النخل إن وجد الأمل.
عندما تعبر من قلب الطيب فإن هنالك عالم، في تحت الأرض صحراء إن وجد.
وحلال عليك أن تطوف حول العالم، والشمس تنظر إن وجد.
ولا تنزل على بغاء الروح عذاب الغربة، في بيت القلب مرآة للشخص إن وجد.

إذا أمسكت باليدين لا تستطيع ان تصل إلى الدارين، وأكسر الموانع
في العزلة إن وجد.

قلب صائب دام وكذا عينه، وفي مجلسك بصير إن وجد.^١

الباب

(٢٥)

في آداب العبادة

قال الصادق عليه السلام:

داوم على تخليص المفترضات والسّنن، فإنّهما الاصل فمن أصابهما
وإدّاهما بحقهما فقد أصاب الكلّ.

فإن خير العبادات أقربها بالأمن وأخلصها من الآفات وأدومها وإن قلّ.
فإن سلم لك فرضك وستك فأنت أنت. واحذر ان تطأ بساط ملكك
إلا بالذل والإفتقار والخشية والتعظيم.

وأخلص حركاتك من الرّبا وسرك من القساوة.

فإن النبي ﷺ قال:

المصلّي مناج ربّه فاستح من المطلع على سرك العالم بنجواك وما
يخفي ضميرك.

وكن بحيث يراك لما أراد منك ودعاك إليه، وكان السلف لا يزالون
من وقت الفرض إلى وقت الفرض في إصلاح الفرضين جميعاً.
وترى أهل الزّمان يشغلون بالفضائل دون الفرائض كيف يكون جسدُ
بلا روح.

قال علي بن الحسين عليه السلام:

عجبت لطالب فضيلة تارك فريضة وليس ذلك إلا لحرمان معرفة الأمر
وتعظيمه وترك رؤية مننه بما أهلهم لأمره واختاره لهم.

«داوم على تخلص المفترضات والسّنن، فإنّهما الاصل فمن أصابهما
وإداهما بحقهما فقد أصاب الكل».

حقيقة العبادة:

ان العبودية لله سبحانه وتعالى هي من أعظم وأعلى النعم، وهي حقيقة، ترى
فيها محبة وعشق وعناية ولطف الباري سبحانه وتعالى لبني آدم، دون إذا لم
الإنسان هو محبوب الله سبحانه وتعالى ومورد لطفه وعنايته، فإنّه لم يُدعى لعبادة
الله سبحانه وتعالى.

إن عبادة الله سبحانه وتعالى هي غاية خلقه سبحانه وتعالى من الخلق وهو
باب يحتاجه الإنسان لرشده وكماله ولتأمين خير الدنيا والآخرة له.

أسرار العبادة:

هنالك حقائق وأسرار في عبادة الله سبحانه وتعالى والعبودية له، وردت في
القرآن المجيد والروايات الشريفة، واحاديث الصالحين وهذا جزء منها:
أولاً: إن العبادة والعبودية لله سبحانه وتعالى هي هدف خلق الإنسان.
ثانياً: إن العبادة والعبودية لله سبحانه وتعالى هي أسمى مقام للإنسان.
ثالثاً: العبادة هي سبب لرشد وكمال وسعادة وسلامة الإنسان.

رابعاً: العبادة هي سبب لدخول الجنة والنجاة من النار.
 خامساً: العبادة أفضل قانون لإقامة النظم والعدالة في حياة الناس.
 سادساً: العبادة وعبودية الله سبحانه وتعالى تكون مانعاً لزيادة الظلم
 ورشد الظالم، وسبباً لإسقاط فسادهم وظلمهم.

العبادة، هي هدف الخلقة:

في مجال أسرار العبادة الست التي ذكرناها، توجد آيات وروايات
 كثيرة وردت، ونرى من اللازم أن نذكر قسماً من الآيات والروايات:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾!

هنا يجب أن ننتبه إلى ملاحظة مهمة وهي ان العبادة من وجهة نظر القرآن
 الكريم تتحقق من عدة حقائق: المعرفة الكاملة تجاه المعبود، وإطاعة أوامره
 الصادرة للإنسان، واجتناب محرماته التي حرّمها على الإنسان، النفي والرجم
 الكامل لطواغيب الباطن والظاهر، وبدون هذه الواقعيّات الثلاثة للعبادة، فإنّه لا
 تتحقق العبادة.

في هكذا عبادة، يكمن خير الدنيا والآخرة و يكون الرشد والكمال للإنسان
 بها، ولا توجد عبادة أخرى غير هذه العبادة، ولكنها حركات تتم من أجل
 إرضاء النفس وليس لجلب رضا الله سبحانه وتعالى.

سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: فقلت له: «لم خلق الله

الخلق؟

فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدىً بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليحلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد^١.
 في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: «الذي خلق الخلق لعبادته وأقدرهم على طاعته»^٢.

العبادة أسمى مقام للإنسان:

ثانياً: على مرّ التاريخ هنالك أشخاص كثيرون وعن طريق بعض الكتب العلمية قد بينوا بعض مقامات الإنسان، وكل شخص أو عالم قد بين للإنسان مقام حسب شأنه، ولكن عندما نرجع إلى افضل منبع واثمن مستودع، ألا وهو القرآن الكريم نرى الله سبحانه وتعالى صاحب الخلقه وخالق العالم والبشر، قد أعطى للإنسان أسمى مقام الا وهو مقام العبودية له سبحانه وتعالى.
 وقد ذكر القرآن الكريم أفضل مقام للأنبياء والأولياء عليهم السلام هو مقام العبودية، لان من يخطو ويمشي نحو دائرة العبودية، فإنه يتحرر من كل قيد، ومثله كمثل الذي يعيش في جوربيعي، تنضح فيه جميع استعداداته.
 ان العبادة الحقيقية تفتح جميع ابواب الرحمة الإلهية بوجه الإنسان وجميع

١- علل الشرايع: ٩/١، باب ٩، حديث ٢، بحار الأنوار: ٣١٣/٥، باب ١٥، حديث ٢.

٢- الكافي: ١٤١/١، باب جوامع التوحيد، حديث ٧، التوحيد: ٣١، باب ٢، حديث ١، بحار الأنوار:

٢٦٤/٤، باب ٤، حديث ١٤.

أبواب الجنة الثمانية، ومن جهة أخرى تغلق عليه كل أبواب الشرّ وجميع أبواب النار السبعة.

في مرحلة العبادة، يتقبّل قلب الإنسان النور تدريجياً، ويجنب هذا النور يتوفق لرؤية الحقائق ويصل إلى جمال المحبوب.

يا أيها الذي مع ألمك لا يطيب التفكير، ودون مشاهدة جمالك فالبلستان غير سعيد.

دونك لا يحلو لنا البستان والصحراء، ودون صحبتك لا تحلو روضة الرضوان..
من لم يكن عاشقاً، فهو جسد دون روح، كن منصفاً؛ إن الجسم بلا روح لا يطيب.

وإن كنت قد سمعت أن الهجران أسعد، أما نحن فنطلب وصالك والهجران لا يطيب.

والأسعد أن تنصف وتدفع الثمن، مثلما الفراق والهجران لا يطيب لي.
يا أيها القلب إن كنت تريد الوصال فاهجر الكسل، فحزن الروح وطلب مرافقة المحبوب لا يطيب.

فعماد لا نستطيع ان نقول هو طالب وصال الحرم، لأن الصحراء خطيرة مع الغيلان لا تطيب^١.

إن القرآن المجيد في سورة يوسف: الآية ١٢، وفي سورة مريم: الآية ٦٣، وفي سورة فاطر: الآية ٣٢، وفي سورة الصافات: الآيات ٨١، ١١١، ١٢٢، ١٣٢، ١٧١، وفي سورة ص: الآية ٤٥، وفي سورة التحريم: ١٠، قد عبّر عن أنبياء الله

سبحانه وتعالى بعباده المخلصين، بعباده المؤمنين، بعباده المرسلين، وهذا المقام أسمى مقام ذكره الله سبحانه وتعالى عن أنبيائه عليهم السلام في القرآن الكريم.

القرآن الكريم قد ذكر النبي الكريم للإسلام محمد صلى الله عليه وآله بذكر العبد مراراً وتكراراً:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾^١.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^٢.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾^٣.

ونرى أننا في التشهد الأخير من كل فريضة، كلّفنا جميعاً أن نشهد للنبي الكريم صلى الله عليه وآله بمقام العبد حتى يُعلم أن مقام العبودية هو أسمى مقام بل أصل جميع المقامات.

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

العبادة، سبب الرشد والكمال:

٣- الإنسان هو مجموعة من القوى والاستعدادات الكامنة الإلهية، وقد أثبت التاريخ على مرّ عصوره وقرونه، بأن هذه الاستعدادات والقوى لا تنمو إلا في ظل العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى.

والعبادة الخالصة هي عبارة عن: تنظيم جميع الحركات المادية والمعنوية،

١- الإسراء ١٧: ١.

٢- الكهف ١٨: ١.

٣- الفرقان ٢٥: ١.

الأخلاقية والنفسية، الاجتماعية والأسرية مع أوامر الله سبحانه وتعالى.

فمع هكذا خطوة، فإن الإنسان سيكون مثله كمثل الشجرة المحاصرة التي تحاول فكّ حصارها بنموها الذي يؤدي في النهاية إلى اقتلاعها، والوصول إلى مقام القرب الإلهي.

فلو تأملت في حياة وأحوال أنبياء الله وأوليائه في القرآن الكريم، لوجدت انه إنما نالوا تلك الكمالات والحالات العرفانية الإلهية السامية والمقامات العالية، بسبب تنظيم وتنسيق جميع حركاتهم وسكناتهم مع أوامر الله سبحانه وتعالى، وكذلك لحصولهم على درجة ومنزلة العبودية له سبحانه وتعالى.

وإذا أردت أن تؤمن بهذه الحقيقة، ما عليك إلا بتتبع تعاليم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في القرآن الكريم، والأئمة الطاهرين عليهم السلام في الروايات الشريفة، وأوليائه الله في كتبهم الأخلاقية والعرفانية.

طريقة عمل المرحوم بهاري رحمته الله:

كان العارف الرباني المرحوم الحاج الشيخ محمد بهاري - الذي أوصل الكثير من الطلبة إلى مقامات سامية عالية - يعلم الأوامر الإلهية وحكمة الأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام والمخلصين إلى عباد الله من الناس، ثم يقوم بعد ذلك بترغيبهم بأن يكتفوا ويوقفوا وينظّموا جميع أعمالهم وأخلاقهم وتصرفاتهم مع أوامر الله سبحانه وتعالى.

وفي أحد المرات، طلب منه تلميذٌ من تلامذته المميّزين أن يعلمه طريقة تقربه زلفى إلى الله سبحانه وتعالى، فكتب المرحوم الشيخ إليه:

إن الذي يلزم الشيخ أحمد هو التأمل والتفكير الصحيح، بأن ينظر أولاً إلى نفسه، هل هو حرٌّ أم عبدٌ؟ فإن رأى نفسه حرّاً، حينئذ يستطيع فعل أي شيء يريد، وإن رأى نفسه عبداً وله مولى يجب عليه إطاعته، ولا يستطيع فعل أي شيء دون إذن مولاه حتى حركة اليد، فإنه إن سئل عنها، يجب عليه أن يجيب بصدق وإخلاص، فلا يستطيع الكذب أو التملص.

لذا عليه أن يكون سعيه في تحصيل رضا مولاه، وإن لم يرض عنه الآخرين. وإن تحصيل رضا المولى جل شأنه لا تكون إلا في تحصيل التقوى.

ولا يتحقق الهدف والغاية الأصلية من الخلق إلا بالمعرفة والعلاقة العاطفية الجياشة (يعني الحب) بين العبد والمولى سبحانه وتعالى.

إن تحصيل التقوى لا بد له من مقدمات لا غنى عنها:

أولاً: الورع عن معاصي الله، إذن عليك بمعرفة المعاصي بالتفصيل، حتى يتسنى لك ترك كل واحدة منها في مقامها، وإن من جملة المعاصي هو ترك أداء الواجبات، لذا عليك تعلم ومعرفة الواجبات بقدر ما تستطيع وبما هو وسعك وكذلك بمقدار ابتلائك بها، ثم العمل بها وأدائها كما هي، وواضحٌ وجليٌّ أن المعاصي سبب يؤدي إلى عدم إيجاد علاقة مودة ومحبة بين العبد ومولاه، إن لم تكن سبباً لغضبه وسخطه.

فإن قال الشيخ أحمد انه لا يستطيع ان يترك المعصية كلياً فلربما بدر منه ذنب. فالجواب: انك تستطيع ان تتوب بعد المعصية. وإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا تيأس من الله ولا تقنط، ولو أن إنساناً كان قتل سبعين نبياً، ثم تاب بعد ذلك، فلربما قبلت توبته.

فإن مولاه قادرٌ على إرضاء خصومه يوم القيامة والمحشر، وذلك بخزائن رحمته وجوده جلّت قدرته.

ثانياً: الورع عن المكروهات مهما أمكن، وإتيان المستحبات والعمل بها قدر المستطاع، وعليك أن لا تحقرّ وتستصغر مكروهاً وتقول: كل مكروه جائز، فلربّما ترك مكروه، أو إتيان مستحب، يكون أفضل من كلّ أعمالك الأخرى عند حضرة المولى وساحته القدسية، وهذا يظهر جلياً وواضحاً في التأمل بها.

ثالثاً: ترك المباحات مهما أمكن إلا بمقدار الضرورة واللزوم، وإن كانت ساحة الشارع المقدّس قد أباحت الكثير من الأشياء، خصوصاً للأغنياء، ولكن لأن حضرة المولى عز وجل لا يريد للعبد في باطن نفسه أن يكون مشغولاً بغيره، لذا من الأحسن والأفضل للعبد نظراً لميل وإرادة ساحة المولى المقدسة أن يترك جميع زخرف الدنيا أو ما يستطيع تركه منها، وإن لم يكن إتيان المباحات حراماً، ولكن اقتداءً بالأسوة الحسنة، ألا وهم النبيين عليهم السلام، وتأسيساً بالأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

رابعاً: ترك ما سوى الله سبحانه وتعالى، ولا يجعل قلبه سوى لساحة المولى القدسية، والله الواحد الأحد، مثلما قال الخواجه:

لا يوجد في قلبي إلا الف قامة المحبوب، ما أفعل فإن الأستاذ لم يعلمني غيره.

فإن قال جناب الشيخ أحمد: كيف يمكن للإنسان ترك ما سوى الله سبحانه وتعالى وإن لا يكون في قلبه سواه؟ مع ما يتلى به الإنسان من أمور المعاش

والزوجة والأولاد والأصدقاء؟ فإن هذا الفرض بعيد وغير قابل للتنفيذ كما هو متعارف؟

نقول في جوابه: إن المقدار الذي يجب أن تقوم بتركه؛ هو الشيء وكل شخص يشغلك ذكره عن ذكر الله سبحانه وتعالى، فعليك إذن أن لا تجالسه أو تعاشره إلا بمقدار الحاجة والضرورة والواجب.

وأما من تذكرك بالله سبحانه وتعالى مجالسته، فيجب عليك ان لاتهمل او تترك مخالطته ومجالسته.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له: يامعلم الخير أرشدنا، فقال لهم: إن موسى كليم الله عليه السلام أمركم أن لاتحلفوا بالله تبارك وتعالى كاذبين، وأنا أمركم أن لاتحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين، قالوا: ياروح الله زدنا، فقال: إن موسى نبي الله عليه السلام أمركم أن لاتزنوا، وأنا أمركم أن لاتحدثوا أنفسكم بالزنا فضلاً عن أن تزنوا، فإن من حدث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوق فأفسد التزاويق الدخان وإن لم يحترق البيت!».

فالنتيجة: إن طالب الله سبحانه وتعالى إذا كان صادقاً، عليه أن يقطع أنسه تدريجياً عن كل شيء وعن كل أحد سواه، ويكون دائماً في ذكره عز وجل،

عدا الأناس الذين يحتاجهم في هذا المسلك والطريق، بأن يكون بمقدار الضرورة واللزوم، لذا فإن وجوده معهم لا ينافي ذكر الله عز وجل وأن محبة هؤلاء إنما هو في الحقيقة من محبة الله سبحانه وتعالى.

فإن قال الشيخ أحمد: كل ذلك صحيح وحق، ولكنني مع هذا الحال والوضع، لا أستطيع أن أتذكر، لأن شياطين الإنس والجن قد أحاطت بنا من كل حدب وصوب، وهم يوسوسون لنا دائماً وكذا يمنعوننا عن فعل الخيرات، انا لا أستطيع حقاً أن أترك ذلك كلياً، فإن أمور العيش والمعاش يختل، وانا لا أستطيع تحمل المسؤولية ناهيك عن تكليفنا بأخر، أين نحن وأين هذه الأمور؟

نقول في الجواب: إذا كانت الأمور سريعة وآنية، فإنها كما تقول وأكثر من هذا، فإنها تبدو في الوهلة الأولى كالجبل الشامخ للإنسان، ولكن الإشكال في ان التكليف ليس شاقاً، بل هو أمر تدريجي، لذا فكلما كان العمل تدريجياً، كان أكثر صحة وقبولاً، كما أن الناس بالتدريج تربى وتروض الصقور والنسور وسائر الطيور الجارحة ومن ثم يلزمونها لزم اليد.

وخلاصة الكلام أنك في أي مرتبة كنت عليك باستغلال الوقت حتى ولو كان لديك نصف رفق من الحياة بالعمل الصالح، فإن لم تتساهل في ذلك، وأتيت بها، فإن تزيدك قوة إلى قوتك في العمل، لانه قال سبحانه وتعالى: من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تساهلت، فإن تلك القوة أيضاً ستزول منك.

فمثلاً، نمت الليل إلى الصباح، وكان في نيتك القيام في الليل ولم تستطع، فهذا أول الصبح، فاستيقظ بين الطلوعين فإنه توفيق يكتب لك وفيض إلهي من جانب الله جل جلاله، ولا تتساهل في القيام بذلك، ولا تستمع إلى الشيطان يقول

لك: ان وقت صلاة الصبح زمن كثير، نم قليلاً، فإنه هدفه وغرضه معلوم لك. وكذلك إذا كنت جالساً في مجلس، وأكثر من قول اللغو، واسود قلبك، ولكنك تستطيع ان تقوم نصف ساعة أسرع بأي عذر وذريعة، فعليك ان تغتم هذه الفرصة ولا تقول ما الفائدة؛ إني من الصبح إلى الآن مشغول بالسيئات، بل تستطيع في هذه الفترة القصيرة، أن تصلح كثيراً من الأمور إن شاء الله تعالى.

فالذي يلزم الشيخ أحمد هو العمل بالترتيب الآتي:

أولاً: إذا كان لديه أي عمل، عليه أن لا يضيع وقته، وان يضع جدولاً زمنياً لكل شيء، ويقسم أوقاته. فيجعل قسماً من وقته للعبادة؛ لا يفعل فيها شيء سوى العبادة، وقسماً من وقته لكسب المعاش والعمل؛ لا يفعل فيها شيء سوى كسب المعاش والعمل، وقسماً من وقته لأهله وعياله، وقسماً من وقته للراحة والنوم، وعليه أن لا يخلط ويداخل هذه الأوقات مع بعضها، حتى لا تضيع منه أوقاته كلها.

فهما أمكنك، أن تنام أول الليل فافعل، ولا تسهر الليل حتى لا يفوتك قيامه، ونم على طهارة، وقرأ الادعية المأثورة المروية عن أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا تنم وبطنك مليئة، وقم من النوم قبل الصبح، وما أن تصبح؛ عليك أن تسجد لله شكراً، وإذا كنت لا تستطيع الاستيقاظ قبل الصبح، عليك بتهيئة الأسباب لذلك.

وبعد الاستيقاظ، عليك بالنظر في أطراف السماء، و التلاوة القرآن بتأمل

والتدبر في آياته التي تبدأ بنـ

﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والأخرى: ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلُقُ الْمِبْعَادَ﴾،

ثم عليك بالوضوء، واستعمال المسواك، والتطيب، ثم الجلوس على سجادة الصلاة وقراءة هذا الدعاء: «إلهي غارت النجوم سمانك».

ثم أبدأ بصلاة الليل، وفق الترتيب الذي ذكره الفقهاء والعلماء في كتبهم: كالشيخ البهائي في كتابه «مفتاح الفلاح»، والآخريين في كتاب «المصابيح» وغيرهما، وعليك الدقة بملاحظة العمل بمقدار الوقت.

النتيجة: اجعل وقت عبادتك إلى طلوع الشمس، ولا تشغل نفسك بشيء سواه في هذا الوقت، وأوكل بقية أعمالك إلى أوقات أخرى، وأشغل نفسك بالأذكار والأوراد المشروعة، إذا لم تكن قد أصبحت من أهل الفكر، وإن كنت قد أصبحت فانجز افكارك في هذه الأوقات، وأما إذا رأيت أن فكرك جامد، فاتركه واشغل نفسك بالأذكار، وقدم أي عمل ترى نفسك فيه مميّزاً، كقراءة القرآن الكريم، أو المناجاة، والذكر، أو الصلاة، أو حتى السجود.

ثم بعد ذلك، عليك بمعاشرة أهل بيتك بمقدار الضرورة، والذهاب إلى السوق، وإن رأيت أحد لا تقل غير السلام، وعليك ان تكون ان تشغل نفسك بالذكر، فإذا دخلت السوق، اقرأ الأذكار الخاصة بدخولها، وانشغل بذكر الله دائماً.

فالذكر في السوق له ثواب عظيم، فالذاكر في السوق كالمصباح في البيت المظلم، ولا تدخل نفسك وتحشرها في أمور الناس الدنيوية دون سبب.

فإن رأيت منكراً من أحد، فإن استطعت ان تؤثر فيه بالحسنى فيها، وإن كان لنصيحتك له أثر سوء عليك وعليه، فدعه وشأنه، وراع أوقات الصلاة دائماً.
وعليك ان تكون على وضوء دائماً ما أمكنك ذلك، واستغفر الله مائة مرة بعد صلاة الصبح، وقل مائة مرة (لا إله إلا الله)، وقرأ سورة التوحيد (الإخلاص) إحدى عشر مرة، ومائة مرة «اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم»،
وعليك بالاستغفارات الخاصة بصلاة العصر وخاصة قراءة سورة القدر عشر مرات، وعليك بالصيام، وخصوصاً ثلاثة ايام من كل شهر، الخميس الأول والآخر، والاربعاء الاوسط منها، إذا كان حالك يساعد على ذلك، وإلا فلا، لأن البدن هو مركوب الإنسان، واللفظ عليه يؤدي إلى اختلال الجسم وبالنتيجة إلى ترك العمل وطاعته، فقد قيل:

«خيرُ الأمور أوسطها»^١.

عليك بالاعتدال في كل أمور، فلا الإفراط صحيح ولا التفريط، كما قيل:

«عليك بالحسنة بين السيئتين»^٢.

وعليك بإطالة السجود في أي وقت من الليل، حتى يتعب بدنك ويكون ذكرك في السجود: «سبحان ربّي الأعلى وبحمده». أو أي ذكر آخر شرط أن يكون قلبك حاضر، ولا يكون بالك مشغولاً بأشياء أخرى، وان تداوم هذا العمل حتى يصبح هذا الشيء ملكة لك ولا تتركه.
ولا يسع المقام أكثر من هذا، وهذا مختصر لما جرى به القلم، وإن كانت

١- عوالي اللآلي: ٢٩٦/١، حديث ١٩٩؛ بحار الأنوار: ١٦٨/٧٤، باب ٧، حديث ١٨٧.

٢- تفسير العياشي: ٣١٩/٢، حديث ١٧٩؛ بحار الأنوار: ٢١٦/٦٨، باب ٦٦، حديث ١٩.

هنالك مطالب أخرى، سنذكرها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

العبادة سبب الدخول إلى الجنة:

إذا ما رجعنا إلى الكتب السماوية، وإذا ما رأينا نبوة الأنبياء ﷺ وإمامة الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، والفطرة السليمة والعقل النافذ، فإن الثواب والعقاب والسعادة والشقاء والفلاح والخسران، وفي النهاية الجنة والنار، تكون على وفق عبادة وعبودية الإنسان من عدمها.

ان الجنة كما قال القرآن الكريم هو محصول ونتيجة توافق أعمال الإنسان مع قوانين الساحة القدسية، والنار هي نتيجة لعدم إطاعة تلك القوانين لله الواحد القهار. في هذا المجال، سوف نذكر جملة من الآيات التي فيها بعض من المعارف إلهية السامية:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^١.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئاً﴾^٢.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا

١- البقرة ٢: ٨٢

٢- النساء ٤: ١٢٤.

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا^١!

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^٢!

نعم، سوف ينتهي تعب ومشقة وألم وبلاء أهل الإيمان سريعاً، ويتحقق وعد الله سبحانه وتعالى لهم.

وأخيراً، فإن ظلمة ليل الهجران ستنتهي، وأخيراً، سيأتي دور شفاء هذا المرض. وطففت حول هذا الفلك الحيران، وأخيراً سينتهي طوافنا.

وأخيراً، سيخرج حظي من النوم في سحر، وفي اليوم الآخر سيقع ناظري على وجهك الجميل.

إذا لم أصل إلى العراق، يا عراقي ليس عجباً، وليس كل شك وخضرة تليق بالبستان.^٣

فقد وردت في الكثير من الآيات والروايات الشريفة، أن الجنة هو ثواب أهل العبادة والطاعة؛ خصوصاً أهل التقوى والورع. فبدون العبادة والطاعة لله سبحانه وتعالى ومراعاة التقوى والورع عن محارمه، يجب علينا أن لا نأمل أو نتوقع الدخول إلى الجنة، فإن ذلك هو عين الغبن وعدم الإنصاف، وعدم الدقة والتدبير في آيات الله عز وجل:

١- النساء: ٤: ١٢٢.

٢- يونس: ١٠: ٢٦.

٣- «عشقنامه، فخر الدين عراقي».

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^١.
 ﴿قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ
 جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^٢.
 ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ
 لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
 أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^٣.
 ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا
 * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
 فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا
 كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا﴾^٤.

العبادة، تؤدي إلى العدالة في الحياة:

٥- لا يوجد هناك أي شكٍ وترديد لكل إنسان عاقل ومنصف في أن العبادة والطاعة لله عزّ وجل، هو أساس إقامة النظم والأمان والعدالة والسلامة والرحمة

١- النساء: ٤: ١٤٠.

٢- الأعراف: ٧: ١٨.

٣- الرعد: ١٣: ١٨.

٤- الكهف: ١٨: ١٠٣-١٠٦.

في المجتمع.

عليك إذن في الدرجة الأولى؛ الرجوع إلى القرآن المجيد ثم بعد ذلك في الدرجة الثانية إلى كتب العقائد والأخلاق والمعاملات والكتب الروائية والحديثية والفقهية حتى إلى هذه الحقيقة؛ ان الطاعة لقوانين والأوامر الإلهية هو سبب في حل جميع المشكلات وعامل لارتقاء المجتمع نحو الكمالات، ويكون سبباً لايجاد الامن ولحفظ السلامة في جميع شؤون الحياة.

ان في تنفيذ اوامر الله سبحانه وتعالى والابتعاد عن المحرمات منافع ابدية لظاهر وباطن حياة الإنسان.

العبادة تمنع الظلم:

٦- العبودية وعبادة الله سبحانه وتعالى هو أصل الفضائل وعامل لتربية القوة الباطنية وأفضل قوة لحفظ حقوق الله سبحانه وتعالى وحقوق الناس.

فإن الإنسان إذا كان يعيش في جو العبودية والعبادة فإنه يكون بعيداً عن الظلم، لانه عندما يكون الله - الذي هو منح العدل والعدالة - محور حياة الإنسان فإن العبد سوف يتأثر منه وسوف يراعي حقوق الناس بالطبع فإن هذه الموارد الستة التي تم توضيحها والتي هي محور العبادة الصحيحة تتوقفه على معرفة الإنسان لله سبحانه وتعالى وأوامره وشؤونه.

المعرفة هي أصل جميع الفضائل:

المعرفة كما عرفها القرآن الكريم هي البصيرة، وهو امر كالمصباح المنير في ليلة ظلماء في طريق الإنسان حتى يستطيع الإنسان ان يدرك الحقائق والخطرات

من بركتها وان يجلب النفع له لارادته المتينة ونيته الصادقة وان يدفع الضرر والخطر عنه.

ان الإنسان إذا لم يعرف الله وشؤونه وأوامره ونواهيه فكيف يكون سالكاً في طريق الكمال ومسافراً لديار الرشد والحقيقة.

يقول صاحب الكتاب «منهاج الطالبين ومسالك الصادقين» في هذا المجال:

اعلم ان اول شيء يكون واجباً على جميع العباد هو معرفة المعبود وخالق جميع العالم والناس ومعرفة الآلاء والنعم وأداء شكرها، قال رسول الله ﷺ:

«كان الله ولم يكن معه شيء»^١.

فانه يجب ان نفهم من هذا الحديث ان جميع العالم وما فيه من السموات والارضين والبحار وما يدور في فهم ووهم الإنسان هو مخلوق ومصنوع وخالقه هو الله سبحانه وتعالى والقدار على فناء جميع ما خلق وخلقهم مرة أخرى من جديد كما قال:

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾^٢.

ويجب ان نعلم ان الله سبحانه وتعالى هو واحد ليس كأى احد بل ذاته قديم وازلي وأبدي بمعنى أنه كان ويكون دائماً وما سواه لا يكون أولاً ولا آخرأً.
ان أول ومبدأ جميع الاشياء منه ورجوعها إليه هو الظاهر وهو الباطن:

١- بحار الأنوار: ٢٣٣/٥٤.

٢- ابراهيم ١٤: ١٩-٢٠.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^١.

لو لم يتجلَّ اللهُ سبحانه وتعالى للوجود عندئذ الأشياء لا تخلق نفسها بنفسها وإذا لم يكن فيضه وعنايته وحفظه في ذلك الوقت لم يكن شيء في الوجود. لا يستطيع أن يبصر من جمالك، فجمالك يُذهب بالعقل ويغري القلب. ويجليني عشقك أيها المحبوب أن اتصل، كالقرط في أذن العشاق. فعشاقك هم اهل الشجاعة، وصيد عشقك الصقور. أيها الحبيب غمك ساكن بقلبي، ومن الدارين غمك لي. والحب هو نار شعلته، يحترق من قلب حجاب الحدثان. عندما يحترق الهواء في حاله، فيبقى هو، لا يبقى شيء إلا هو.

الحُبِّ وأوصاف العاملين به واحد، فالعاشق والعشق والصديق واحد.^٢

ليس له شريك ولا وزير ولا عضيد ولا نستطيع القول أين هو وليس صحيحاً ان نسأل ما هو ولماذا هو الحي الذي لا يموت والعالم الذي لا يموت وهو عالم الذي لا يخفى عليه شيء، القادر الذي لا يعجزه أي شيء ما كان ويكون بإرادته ومشيئته وكل ما لم يكن ولا يكون باختياره ومنعه متكلاً بكلام أزلي. أي ما يريد ومع من يريد:

﴿وَحَيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^٣.

١- الحديد ٥٧: ٣.

٢- «عشقنامه، فخر الدين عراقي».

٣- الشورى ٤٢: ٥١.

القرآن الكريم كلامه ليس ككلام العباد؛ البصير الذي لا يخفى عليه شيء يغيب عن نظره غائب، السميع الذي لا يشغله سمع عن سمع.

«لا يشغله سمع عن سمع»^١.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^٢.

الحاضر الذي لا يغيب عنه أي شيء وإذا أراد شخصاً أن يخفى عنه شيء أو يفر منه فإنه لا يستطيع:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^٣.

لم يلد سبحانه وتعالى ولم يولد ولا يوجد له كفوف في الخلق:

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^٤.

ليس كذاته وصفاته شيء ولا يعمل شخص شيئاً أو عملاً إلا يراه ويعلمه:

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^٥.

لا تصل العقول إلى كنهه معرفته وتحير العقول في معرفة جماله وجلاله هو كل من اختياره واراذه فقط علم والذي لم يرده يكون في حيرة دائمة، وان كان هذا سر خفي فان هذا الرمز المنظوم في بيان معرفته لهو دليل.

لن يظهر مكان حبي في كونين، أن عنقاء المغرب ولن يظهر لي علامة.

١- المناقب: ٢/٢٤٧؛ بحار الأنوار: ١٣٢/٣٩، باب ٧٩، حديث ٤.

٢- الشورى: ٤٢: ١١.

٣- الحديد: ٥٧: ٤.

٤- الإخلاص: ١١٢: ٣-٤.

٥- فصلت: ٤١: ٤٠.

اصطدت من العالمين عيون جميلة، واعلم ان السهم والقوس لن يظهر.

درجات العلم:

يجب ان تعلم بكل وجودك ان العقيدة الصحيحة هي التي توصل الإنسان إلى علم التوحيد بالله سبحانه وتعالى وهذا العلم على ثلاثة درجات، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

علم اليقين يوصل العبد إلى قوة الإيمان وظاهرة القلب من الشك والشبهات ويره آلا ونعم الله سبحانه وتعالى وآبائه البنات وعلامته التي كلها دليل على وجوده عز وجل.

واما عين اليقين وحق اليقين فهي درجة الأنبياء والاولياء، في أي زمان حصل الشخص على شروط هذه الطريقة وترك ما سوى الله فانه سوف يفتح له الطريق ويزوق طعمها ويصل إليها تدريجياً يقول العارف جمال اردستاني:

يا أيها الروح والعلم أطلب العلم، حتى تستطيع روحك ان تجتاز من الماء والطين. وعيني بعيد عن كل الحسنات والسيئات، كل ما سواه يحترق كله.

يا ايها القلب الحزين لا تشرح لنا الظاهر، الحبيب غبور، ولا تبحث إلا عن الحبيب.

قامتك الفرعاء هي مهدئة لقلبي، أصبحت عبدك كي يرتاح قلبي.

إن تقبل، فإني اضع قلبي، وإن أنت لحننت، فأنت لحن قلبي.

اسمع نصيحتي يا روح قلبي، كان سريعاً، ان تكون خجلاً.

وعندما يعرف العبد معبوده وخالقه على قدر فهمه عليه الانشغال بالعبادة

والطاعة له في أي شكل واي شغل كان، وعليه إلى آخر لحظة من عمره ان

يكون في طلب المزيد من معرفة الله سبحانه وتعالى لانه هذا العمل ليس له نهاية

وقد قال الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^١.

وقد فسر المفسرين كلمة اليقين في هذه الآية بالموت يعني اعبد ربك حتى الموت.

وقال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^٢.

أي ليعرفون، وقد فسرت العبادة هنا بالمعرفة.

لذا علينا ان نعلم حقيقاً ان العبادة والطاعة لله سبحانه وتعالى هو واجب جميع الخلائق ولا توجد عبادة أفضل وأسمى من طلب معرفته سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^٣.

وان الذكر الحقيقي هو الذي يكون مع المعرفة. وحقاً إذا ما فكر المرء في وجوده وبقائه وفنائه فإنه يصل إلى معرفة معبوده دون الحاجة إلى أي آية أو دليل اخر، بل إذا فكر في وجود أي حشرة أو ذرة من ذرات العالم فإنه سوف يرى علامة لهداية نحو المعبود لان:

وفي كل شيء له آية، تدل على أنه واحد.

١- الحجر ١٥: ٩٩.

٢- الذاريات ٥١: ٥٦.

٣- العنكبوت ٢٩: ٤٥.

يا ضائع المجنون والعقل فيك، وجميع ذرات الأسرار فيك.

حينما ييزغ أمل الصباح في قلبي، ضاع الدارين في قلبي وضاع قلبي في قلبك.^١
وآيات صنعه وقدرته ظاهرة للجميع ولكن الابصار ضعيفة والقلوب عمية:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^٢.

نعمة الظاهرة دليل على قدرته وعجزنا، ونعمة الباطنة للذي يراها لا تعد

ولا تحصى:

﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٣.

وان لم يكن احد يستطيع معرفة حقيقته ولكن لا يشك احد ولا يشبهه في

عبادة ووجود عبادته

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^٤.

ولن ينتهوا إلى تصرفاته ورؤية آياته إلا الخواص من أهل المعرفة.

﴿سُتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^٥.

لا يخفى عليه عجزنا وعدم قدرتنا في معارضة اختياراته ولا نملك سوى

١- «عطار نيشابوري».

٢- الحج ٢٢: ٤٦.

٣- ابراهيم ١٤: ٣٤.

٤- الزخرف ٤٣: ٨٧.

٥- فصلت ٤١: ٥٣.

التسليم والرضا امام قدرته وقوته.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾!

سيرتك عظيمة وأنا حيران فيك، ومن حيرتي متعجب فيك.
من الذي معي وأنا معه وانا علم ذلك، وما زلت تائهاً في طلبه.

«فَإِنَّ فَإِنَّ خَيْرَ الْعِبَادَاتِ أَقْرَبُهَا بِالْأَمْنِ وَأَخْلَصُهَا مِنَ الْآفَاتِ وَأَدْوَمُهَا وَإِنْ
قَلَّ فَإِنْ سَلِمَ لَكَ فَرَضُكَ وَسُتِّكَ فَأَنْتَ أَنْتَ»

العبادة الفضلى:

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

ان افضل العبادات عبادة تكون مانعة لهمزات الشياطين الخارجية والعوامل
المادية وتكون آمنة من الآفات وعبادة تكون دائمة حتى وان كانت قليلة في
الظاهر فإذا ادبت واجباتك ومستحباتك بشكل كامل وسالم فإنك دون شك
صادق في عبادتك وعبوديتك لله سبحانه وتعالى.

«وَاحْذَرُ أَنْ تَطَّأَ بَسَاطَ مَلِكِكَ إِلَّا بِالذُّلِّ وَالْأَعْفِيقَارِ وَالْخَشْيَةِ وَالتَّعْظِيمِ
وَأَخْلِصْ حَرَكَاتِكَ مِنَ الرِّيَا وَسِرِّكَ مِنَ الْقِسَاوَةِ»

اجتنب ان تطأ بساط السلطان الحقيقي دون احساسك بالذل والاحتياج والخشية وعلمك عظمة المحبوب وانت في مقام العبودية له، هذا المقام هو مكان اظهار الذلة والفقر والخشية والتعظيم والتي بدونها لا يستطيع احد ان يطأ هذا البساط وبدون هذه الحقائق العبودية لا يستطيع الإنسان ان يبلغ الكمال.
واحذر ان تكون جميع حركاتك العبادية من دون رياء و ان تكون خالصة لوجهه سبحانه وتعالى وطهر قلبك الذي هو حرم الله سبحانه وتعالى عن القساوة ودرن الذنوب حتى تكون مشمولاً برحمته سبحانه وتعالى.

يا من فتحت بصيرة عيني بك، وفي قلبي احتياج لك وروحي في عذاب.
ولم ينتهي حزن ليلي إلى نهار، حتى أرى جمالك مرة ثانية.
أنت غني عنا ونحن عندنا، الحاجة عند باب حضرتك.
وفي قلبي أمنية حبك، لا تنتهي إن لم تكن البداية.
فطائر روحي من عش الجسد، لا أقول إلا اين تريد؟^١

«فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: الْمُصَلِّيُّ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَاسْتَعِزَّ مِنَ الْمُطَّلَعِ عَلَى سِرِّكَ
الْعَالَمِ بِنَجْوَاكَ وَمَا يَخْفَى ضَمِيرِكَ وَكُنْ بِحَيْثُ يَرَاكَ لِمَا أَرَادَ مِنْكَ
وَدَعَاكَ إِلَيْهِ»

المناسك الظاهرية والعبادات المتكررة:

يجب الانتباه إلى ما قاله الرسول ﷺ:

فالمصلي في حالة الصلاة هو في مناجاة ودعاء مع الله سبحانه وتعالى فاستحي
من الله سبحانه وتعالى المطلع على ظاهرك وباطنك والعالم على جميع حركاتك
وسكناتك، واحذر وقت المناجاة ان يكون لسانك ظاهراً من الدرن وقلبك منزه
عن الغفلة والقساوة والرياء وأدي جميع العبادات المطلوبة منك بصورة صحيحة
بكميتها وكيفيةها وراعي جميع شرائطها الظاهرية والباطنية حتى تصل إلى حقيقة
العبادة.

يقول الإمام الخميني رحمته الله في هذا المجال:

يجب ان نعلم ان المناسك الظاهرية والعبادات المتكررة هو ليس فقط
لحصول الملائكات الكاملة الروحانية والحقائق القلبية، بل هي واحدة من ثوابتها.
ولكن عند أهل المعرفة واهل القلوب فإن كل العبادات هو نشر المعارف
الإلهية من الباطن إلى الظاهر ومن السر إلى العلن. بما ان النعمة الرحمة هي

رحمانية بل هي رحيمية منبسطة على نشأة الانسان القلبية والشكلية للانسان ولكل مرتبة منها حظ من نعم الله الجامعة، ولكل منها حظ ونصيب من ثناء الحق، وشكر النعمة الرحمانية والرحيمية واجب مطلق، وما دام النفس لها حظ من العطش الصوري للدنيا، ونصيب من الملك الدنيوي، فلا يجب جمع بساط الكثرة، ولا أن ترتفع حظوظ الطبيعة، كما ان السالك لا ينبغي له إشغال القلب بسواه، فلا ينبغي إشغال الصدر والخيال بغيره سبحانه، كي يرسخ التوحيد والتقديس في جميع النشآت.

وإذا كان للانجذاب الروحي، نتيجة غير التعبد والتواضع للحق، فإن في النفس بقايا اناية، وسير السالك هو في جوف بيت النفس، لا إلى الله، وهدف سير أهل الله هو أن يجعلوا الطبيعة والملك ينصبغوا بصبغة الله، وإن أحدى مواضع ومراتب الحديث الشريف الذي مروى عن لسان الحق إذ يقول:

«أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّجِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا إِسْمًا مِنْ
إِسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَمَهَا قَطَعْتُهُ»^١.

ربما هو قطع الطبيعة التي هم أم الأرواح، عن الموطن الأصلي، ووصلها وارتياضها هو إرجاعها إلى موطن العبودية، وفي الحديث:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِسْتَوْصُوا بِعَمَلِكُمُ النَّخْلَةَ خَيْرًا فَإِنَّهَا
خُلِقَتْ مِنْ طِينَةِ آدَمَ»^٢.

١- بحار الأنوار: ٢١١/٤٧، باب ٦، حديث ٥٤.

٢- المحاسن: ٥٢٨/٢، باب ١١٠، حديث ٧٦٨، وسائل الشيعة: ١٤٥/٢٥، باب ٧٨، حديث ٣١٤٦٧.

بحار الأنوار: ١٢٩/٦٣، باب ٣، حديث ١٣.

فهذا الحديث الشريف يشير إلى الرحيمية التي ذكرناها قبل قليل.
وفي الجملة، فإن إخراج مملكة الظاهر من موطن العبودية وإفشاء سرّه هو
من غاية الجهل بمقامات أهل المعرفة، ومن تسويلات الشيطان الرجيم، الذي
بطريقة ما يريد ان يصد طائفة عن الحق سبحانه وتعالى، كإنكار مقامات وسد
طريق المعارف التي قرأ عين أولياء الله ﷺ، وتعريف الشرايع الإلهية بالظاهر؛
وهو تفسيره بحظ الدنيا وملك النفس ومقام الحيوانية، والغفلة عن أسرار وأداب
باطن العبادات - التي توجب تطهير السر وتعمير القلب وترقي الباطن - وهو من
غاية الجهالة والغفلة، وكل واحد من هذين الطائفتين بعيد عن طريق السعادة
والصراط المستقيم للإنسانية، ومهجورين عن مقامات أهل المعارف.
وعلى العارف بالله والعالم بالمقامات مراعاة جميع الحقوق الباطنية
والظاهرية، وأن يوصل كل صاحب حقه إلى حقه وحظه، وأن يطهر نفسه من
الغلو والتقصير والافراط والتفريط، ويزيل انكار صورة الشريعة؛ التي هي في
الحقيقة التحديد، وإزالة خباثت الباطن التي هي التقييد، التي هي كليهما من
وساوس الشيطان الرجيم، كي يسهل في طريق سيره إلى الله؛ الوصول إلى
المقامات الروحانية والمعنوية.

«وَكَانَ السَّلْفُ لَا يَزَالُونَ مِنْ وَقْتِ الْفَرَضِ إِلَى وَقْتِ الْفَرَضِ فِي إِصْلَاحِ
الْفَرَضَيْنِ جَمِيعاً وَتَرَى أَهْلَ الزَّمَانِ يَشْتَغِلُونَ بِالْفَضَائِلِ دُونَ الْفَرَائِضِ كَيْفَ
يَكُونُ جَسَدٌ بِلا رُوحٍ»

كان في السلف جماعة من عباد الله يمضون وقت ما بين الفرضين في اصلاح
الفرضين، بمعنى اصلاح نواقص وعيوب الفرض القبلي وان يستعد لمراقبة
والمحاسبة بالنسبة إلى الفرض البعدي، وعلى أي حال فان سعيهم كان للدخول
للواجب هو ان يكونوا متحلين بشرائط إلهية ومقامات إنسانية.

ولكننا نرى في هذا الزمان مجموعة من الناس منشغلين عن تلك الحالة
الكونية السامية، وهم وراء تحصيل العلوم المادية أكثر مما هم في تحصيل
العلوم المعنوية، مع ان العلوم الإلهية والمعنوية بالنسبة للعلوم الأخرى بمنزلة
الروح من الجسد.

ومن كمال سوء العاقبة ان تكون أبواب بِسْمِ اللَّهِ مفتوحة بوجه الإنسان، غير انه لا
يستفيد من نسيم رحمته.

إلهي ايقظ قلبي من نوم الغفلة، وارزقني الحكمة.

اجعلني كالشمعة تذوب وتضيء، واعطني دون صعوبة وإزالة غبار

احترق القلب.

وساعدني في حسن عاقبة الدين والدنيا، وانصرني على اعدائي ونفسي.
وبدل حزن هذا المسكين إلى سعادة، وهب لهذا المسكين حياة سعيدة.^١

«قال عليُّ بنُ الحسينِ عليه السلام: عَجِبْتُ لِطَالِبِ فَضِيلَةٍ تَارِكِ فَرِيضَةٍ وَوَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِجِرْمَانِ مَعْرِفَةِ الْأَمْرِ وَتَعْظِيمِهِ وَتَرْكِ رُؤْيَةِ مَنْنِهِ بِمَا أَهْلَهُمْ لِأَمْرِهِ وَاخْتَارَهُ لَهُمْ»

وظائف الإنسان تجاه الواجبات:

يبين الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام:

عجبت من الإنسان هو في مقام تحصيل الفضيلة يعني العلوم المادية والظاهرية ولكنه تارك لأداء الواجبات الإلهية، ان هكذا انسان هو محروم من معرفة حقيقة الأمر الإلهي وتعظيمه لتلك الوظيفة، لهذا فإنه يستهين بالحقيقة وغافل عن كلما ما اقله واختاره له المحبوب من العبادة والطاعة للوصول لاسمى المقامات الإلهية والانسانية.

يقول العارف جناب الشيخ حسن مصطفوي في توضيح مختصر حول هذه

الرواية:

ان معرفة وتشخيص الوظيفة المطلوبة من الإنسان لهي من الأمور المهمة جداً، بحيث ان بعض السالكن القدماء في هذا الطريق والمتدينين اصحاب الضمائر الحية وحتى اصحاب المكاشفة، عجزوا عن تشخيص هذا الامر المهم وقد حصل لهم بعض الاخطاء أو الانحرافات في هذا الطريق.

فترى انساناً تكون وظيفته تأمين المعاش والسكن لنفسه ولعائلته ولكنه يهمل ذلك، وترى آخر وظيفته تحصيل علم العبادات والفرائض وآداب السنن، ولكنه يستهين بالعمل بها.

وآخر تراه يبدي اهتمامه الكثير بالواجبات والمحرمات، ولكنه يشتغل بالمستحبات والامور الغير ضرورية أو تراه لا يصلي ويتكلم عن الدين والتدين، أو لا يصوم ويذكر فوائد الصوم، أو يأكل اموال الناس بالباطل ويتكلم عن الطهارة.

أو يتصور نفسه عالماً بالحقيقة ولكنه غافل عن العمل بكتاب الله وسنة نبيه ولا يستمع إلى كلام الله وكلام نبيه ﷺ، أو يسخر من أهل العلم ويستهين بأهل العقل والبرهان ويصدق كلام كل مدعي كذاب، أو يرتكب مئات المعاصي والجنايات ويأكل الربا ويظلم الناس، ويكذب عليهم ويتهمهم ويغتابهم ولكنه تراه يقف في الصف الأول في صلاة الجماعة.

وعلى العموم فإن اغلب الناس المتدينين قد يخطئون ويشتهون في مقام تشخيص الوظيفة المطلوبة منه، وما أكثر الناس الذين لأجل امر مستحب يتركون الواجبات بمعنى انه يهتمون اهتماماً بالغاً بالأمور المستحبة أو المتداول عرفياً على حساب ترك الواجبات والفرائض، ويمكن القول ان ٩٠٪ من الاعراف المتداولة بين الناس هي خلاف الشرع والعقل بمعنى انه لو دققنا في هذه الاعراف المتداولة في مجالس الفرح، والعقد، والعزاء، والزيارة والضيافة نستطيع ان نرى بوضوح انها خلاف العقل والشرع وحتى تارة قد يصدق عليها كلمة البدعة وإذا اراد الإنسان ان يكون صاحب تقوى ومراقباً لاعماله وحركاته عليه ان يجتنب عن هذه المجالس.

العبادة الحقيقية:

ان الحركات التي بها الإنسان وتسمى عبادة يجب ان تقيم على اساس قابلية العابد:

أولاً: ان ليس كل حركة هي عبادة وليس كل عبادة هي حقيقة كاملة، فعبادة المنافقين وعبادة غير المخلص وعبادة الرياء وعبادة الشخص الذي هدفه جلب المنافع المادية فقط، كل هذه ليست عبادة وانما تلاعب بالالفاظ واستهزاء بالله سبحانه وتعالى، جاء في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي رحمته الله ان العبادة على ثلاثة أوجه:

أولاً: الخوف.

ثانياً: الرجاء.

ثالثاً: الحب

وقد جمعت الآية الشريفة في سورة الحديد هذه المعاني الثلاث معاً:

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾!

كما جاء في هذه الآية الشريفة؛ فإنه يجب على كل انسان مؤمن ان يتنبه إلى حقيقة الدنيا وان يعلم ان الدنيا متاع غرور ومصيدة من مصائد الشيطان ومثلها كمثل السراب في الصحراء عندما ينظر إليها الإنسان العطشان فيراها ماء وتجذبه إليها ولكن عندما يقترب منها فإنه لا يراه شيئاً فإن حصلت له هكذا فطنة فإنه سوف لا يجعل هدفه الدنيا من الاعمال التي يؤديها في الحياة ويعلم جيداً انه

هناك حياة وعالم بعد هذه الدنيا، عالم يصل الإنسان فيه إلى نتيجة اعماله، فإذا كانت اعماله قبيحة فإن النتيجة المنتظرة هي العذاب الشديد قبلها وان كانت اعماله سالحة فإن المغفرة والرحمة تكون نتيجته، فيجب عليه ان يكون بين حالتين، بين الخوف من عذاب الله والرجاء لمغفرته ورحمته ولكن ان كانت هتة عالية وهدفه اسمى فإنه لا يجعل هدفه ارضاء نفسه أو الخوف من العذاب أو الوصول إلى الجنة، انما كلما يعمل هو فقط لارضاء الله سبحانه وتعالى.

بالطبع فان طبائع الناس تكون في واحدة من بين هذه الثلاثة، فبعض الناس والذين يشكلون الأكثرية؛ فإن مسألة الخوف من العذاب هي الحاكمة على قلوبهم وهي التي تمنعهم من الانحراف والعصيان والذنوب فكلما واجهوا تهديداً أو وعيداً من الله سبحانه وتعالى؛ كلما زاد الخوف فيهم وبالنتيجة زادت عبادتهم وهناك فئة أخرى غلبت عليهم غريزة الطمع والأمل فهؤلاء كلما واجهوا وسمعوا عن ثواب الله سبحانه وتعالى وعن وعوده لهم بالجنة والمقام الرفيع كلما زاد أملهم وكذلك من أجل وصولهم إلى النعم والكرامات وحسن العاقبة التي وعد الله عبادة الصالحين بها فإنهم سوف يكونون أكثر تقوى وأكثر التزاماً بالاعمال السالحة، عسى ان يصلوا بهذه الوسيلة إلى مغفرة وجنة رب العالمين ولكن هناك فئة ثالثة وهم العالمين بالله وهدفهم اسمى من الفتيتين الماضيتين.

فانهم لم يعبدوا الله سبحانه وتعالى خوفاً من ناره أو طمعاً بجنته بل عبده لانه أهل للعبادة ولانهم ايقنوا بان الاسماء الحسنى والصفات العليا هي لائقة لمقامه سبحانه وتعالى وبالنتيجة فهموا ان الله العزيز هو ربهم ومالك نعمهم وارادتهم ورضاهم ومالك جميع الاشياء الاخرى وهو الذي يدبر جميع الأمور بمفرده،

فهكذا عرفوا الله وعرفوا أنهم فقط عباداً له ولأن العبد لا يملك شيئاً سوى عبادة مولاه لذا فإنهم قدموا رضاه على رضاهم وارادته فوق ارادتهم، وبالنتيجة فإنهم أولاً يؤدون عبادة الله كما هي وثانياً فإنهم كلما يعملون أو ينتهون عنه لا يطلبون بذلك شيئاً ولا يطمعون إلا في رضا الله سبحانه وتعالى، فلا هم مبالغين بالعذاب وخوفها، فيؤدون واجبههم؛ أو طامعين بالثواب ويكون هذا هو دافعهم للعبادة والطاعة والخوف والرجاء فهم كما قال أمير المؤمنين علي ابن بن طالب عليه السلام:

«الهي ما عبدتك اذ عبدتك خوفاً من نارك و لا طمعا في جنتك إنما عبدتك لأنني وجدتك أهلاً للعبادة»، وهو يشير إلى هذا المعنى.

فهؤلاء، بما أنهم وجهوا جميع رغباتهم وميولهم المختلفة صوب اتجاه واحد إلا وهو رضا الله سبحانه وتعالى وكان هدفهم وغايتهم الوحيدة هو الله سبحانه وتعالى، لذا فإن محبة الله سبحانه وتعالى هي حاکمة ومخيمة على قلوبهم.

نعم ان هذه الفئة قد عرفوا الله سبحانه وتعالى كما عرف الله سبحانه وتعالى عن نفسه باسمائه وصفاته ولأن الله سبحانه وتعالى قد عرف نفسه بأفضل الاسماء واسمى الصفات وبما أن هنالك خصلة للقلب إلا وهي انجذاب نحو الجمال والكمال، فبالنتيجة فإن الله سبحانه وتعالى الجميل على الاطلاق قد خيم على قلوبهم.

نعم فمن هذه الآية الشريفة:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^٢.

١- عوالي اللآلي: ١١/٢، حديث ١٨؛ بحار الأنوار: ٢٣٤/٦٧، باب ٥٤.

٢- الأنعام: ٦، ١٠٢.

وهذه الآية:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾^١

ان الخلقة دائرة على مدار الحسن وانهما متلازمان ومتصادقان مع بعض، وهناك آيات أخرى تدل على ان جميع الموجودات هي آية ودليل على وجود الله سبحانه وتعالى وان في السموات والارضين لآيات لاولي العقل والنهي، وخلاصة الكلام فإنه لا يوجد في عالم الوجود شيئاً لا يدل على وجود الله أو جماله أو جلاله.

لذا فإن الأشياء بما لديها من الحسن والخلقة المختلفة فإنها تدل على جماله الغير المتناهي، ولسان حالهم هو الحمد والثناء على حسنة وبما أن لديهم من نقص وحاجات مختلفة، كل هذا يدل على غنى المطلق ولسان حالهم هو التسبيح والتفديس وتنزيه عن كل عيب واحتياج كما قالت الآية الشريفة:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^٢

لذا فإن هذه الفئة من الناس قد سلكوا طريقاً لمعرفة الأشياء قد دلهم عليها رب العباد وهذا الطريق هو ان كل شيء هو آية وعلامة تدل على صفات جمال الله وجلاله سبحانه وتعالى، ولا يمتلك أي موجود نفسه أو استقلاله وينظرون إلى الموجودات على أنها مرآة حسنها؛ وتعكس حسن ما ورائها، وهو حسن لا يتناهى ويعكسون بفرهم وحاجاتهم؛ الغنى المطلق المحيط بهم لله سبحانه وتعالى.

١- السجدة ٣٢: ٧.

٢- الإسراء ١٧: ٤٤.

ويعكسون بذلتهم ومسكنتهم عزة وكبرياء ما هو فوقهم وهو الله سبحانه وتعالى.
ومعلوم وواضح ان هذه الفئة من الناس المتأملين لعالم الخلق - الذي يملكون
هكذا نظر - فانهم سريعاً ما تنجذب نفوسهم إلى ساحة العزة والعظمة لله وتخيم
محبه على قلوبهم بنحو وبشكل ينسون فيه كل شيء حتى أنفسهم، وبطريقة
تمحى فيها آثار الهوس والميول النفسية كلياً من صفحة قلوبهم وتبدل قلوبهم
إلى قلوب سليمة حيث ليس فيها إلا الله سبحانه وتعالى كما قالت الآية الشريفة:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^١

لذا فان هذه الفئة لا تعتبر الطريقتين التي مر ذكرهما خالية من الشرك وهما
طريق الخوف والاخر طريق الرجاء، لان الذي يعبد الله سبحانه وتعالى عن
خوف فإنه في الحقيقة يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى لأجل دفع العذاب عن
نفسه، لذا فإنه يريد نفسه لا الله سبحانه وتعالى. وكذلك الشخص الذي يعبد الله
سبحانه وتعالى طمعاً بثوابه وجنته فإنه في الحقيقة لأجل كسب الثواب والوصول
إلى النعيم والكرامات، يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى. هو ايضاً يفضل نفسه لا اله
إلا الله سبحانه وتعالى فإن كان هناك طريق اخر غير التوسل بالله سبحانه وتعالى
لأجل جلب ذلك النفع أو دفع ذلك الضرر لسلوكه ولعزفوا عن الله سبحانه
وتعالى وعبادته.

فقد جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

«هَلْ الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ»^٢.

١- البقرة ٢: ١٦٥.

٢- الخصال: ٢١/١، حديث ٧٤؛ بحار الأنوار: ٢٣٧/٦٦، باب ٣٦، حديث ٥.

وهذا مقام خفي لا يمسه ولا يدركه إلا الصالحون. وإذا وصفوا أهل المحبة في هذا الحديث بالمخلصين لاجل انه قولنا هذه الفئة منزهة عن هوى النفس وندس المادة، لذا خلاصة الكلام، ان الاخلاص في العبادة لا يأتي إلا عن طريق المحبة التامة والكاملة.

وتوضيح هذا الامر بان عبادة الله خوفاً من عذابه يجبر الإنسان على الزهد بمعنى غض الطرف عن اللذائذ الدنيوية من اجل الوصول إلى النجاة في الآخرة، لذا فإن عمل الزاهد يكون هو الاجتناب عن المحرمات أو الاشياء التي تكون بمعنى الحرام؛ يعني ترك الواجبات وذلك الشخص الذي يطمح في ثوابه فإن طمعه يجبره على أعمال من قبيل العبادة والعمل الصالح حتى يصل إلى الجنة والنعمة الاخروية؛ لذا فإن عمل العابدين هو اداء الواجبات أو الاعمال التي تكون بمعنى الواجب يعني ترك المحرمات وخلاصة الكلام فإن خوف الزاهد يجبره على ترك المحرمات ورجاء العابد يجبره على فعل الواجبات وهذين الطريقتين يجبران صاحبهما على الاخلاص من أجل الدين لا الاخلاص من اجل الله سبحانه وتعالى الذي هو صاحب الدين.

على خلاف الفئة الثالثة طريقة أهل المحبة الذين قلوبهم خالية من كل شيء سوى الله سبحانه وتعالى ومن كل زخارف الدنيا وزينتها ومن الاولاد والنساء ومن الجاه والمال وحتى من انفسهم وآمالهم وقلوبهم هي فقط متعلقة بالله سبحانه وتعالى وبكل شيء هو منسوب إليه من الدين ومبلغ الدين وولي في الدين وكل شيء هو عائد إلى الله سبحانه وتعالى ان المحبة لكل شيء تعني المحبة لا تثار ذلك الشيء وما احلى ما قال العارف الكبير العراقي:

يا واضع خيمة الحدوث والقدم، في مكان حجاب الوجود والعدم.
 لا أحد يعرفك إلا انت، ولا تقول سرك إلا لك.
 لم أكن غائباً عنك يوماً، ولم يكن نفسي خالياً لحظة.
 وتلك الجماعة التي تعرفك، خطوا على جميع العالم.
 وأمام بحر كبرياتك العالم، هو كقطرة نسيم الصباح.
 ودون وجودك فالعالم لم يكن، ومن جمالك أصبح العالم سعيداً.
 لأنه التجلي في جميع الكسوة، معلوم وظاهر في كل العالم.
 لا أحد سواك في العالم موجود، ولا يبقى أحد سرمد سواك.
 فالذين تأملوا ونظروا إلى عالم الوجود وكانت نتيجة نظرهم هو العشق
 والحب لصاحب الوجود، فإنهم يحبون من الاعمال التي يحبها الله سبحانه
 وتعالى، ويعادون اعداء الله، يرضون لرضاه ويغضبون لغضبه وهذا الحب هو نور
 يضيء له طريق العمل كما قالت الآية الشريفة:

﴿أَوْ مَن كَانَ مَيَّنًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^١

وروح يؤهلهم على فعل الخيرت كما قالت الآية الشريفة:

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^٢

وهذا هو دليل، ان هكذا شخص لا يصدر منه سوى الجميل والخير ولا
 يرتكب المكروه والشر.

١- الأنعام: ٦: ١٢٢.

٢- المجادلة ٥٨: ٢٢.

باب

(٢٦)

في التأمل والتفكير

قال الصادق عليه السلام:

إِعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا هَلْ بَقِيَ عَلَى أَحَدٍ أَوْ هَلْ أَحَدٌ فِيهَا بَاقٍ مِنَ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ فَكَذَلِكَ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْهَا بِمَا مَضَى أَشْبَهُ مِنْ الْمَاءِ بِالْمَاءِ.

قال رسول الله ﷺ:

كَفَى بِالْمَوْتِ وَاِعْظَاءً، وَبِالْعَقْلِ دَلِيلًا، وَبِالْتَّقْوَى زَادًا وَبِالْعِبَادَةِ شُغْلًا وَبِاللَّهِ مُوْنَسًا وَبِالْقُرْآنِ تَبْيَانًا.

وقال عليه السلام:

لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ، وَمَا نَجَا مَنْ نَجَا إِلَّا بِصِدْقِ الْإِتِّجَاءِ.

وقال نوح عليه السلام:

وَجَدْتُ الدُّنْيَا كَبَيْتٍ لَهُ بَابَانِ دَخَلْتُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَخَرَجْتُ مِنَ الْآخَرِ. هَذَا حَالُ نَبِيِّ اللَّهِ فَكَيْفَ حَالُ مَنْ أَطْمَأَنَّ فِيهَا وَرَكَنَ إِلَيْهَا وَضَيَّعَ عُمُرَهُ فِي عِمَارَتِهَا وَمَزَّقَ دِينَهُ فِي طَلَبِهَا.

وَالْفِكْرَةَ مِرْأَةَ الْحَسَنَاتِ، وَكَفَّارَةَ السَّيِّئَاتِ، وَضِيَاءَ لِلْقَلْبِ، وَفُسْحَةَ لِلْخُلُقِ، وَإِصَابَةَ فِي إِصْلَاحِ الْمَعَادِ وَإِطْلَاعَ عَلَى الْعَوَاقِبِ وَاسْتِزَادَةَ فِي الْعِلْمِ. وَهِيَ خِصْلَةٌ لَا يُعْبَدُ اللَّهُ بِمِثْلِهَا.

قال رسول الله ﷺ:

فِكْرَةٌ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ سَنَةٍ وَلَا يَنَالُ مَنَزِلَةَ التَّفَكُّرِ إِلَّا مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِنُورِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ.

قال الصادق عليه السلام:

«إِعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا هَلْ بَقِيَ عَلَى أَحَدٍ أَوْ هَلْ أَحَدٌ فِيهَا بَاقٍ مِنَ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْوَلِيِّ وَالْعَدُوِّ فَكَذَلِكَ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْهَا بِمَا مَضَى أَشْبَهُ مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ».

حقيقة العقل والقلب:

سوف نتحدث في هذا الفصل المهم جداً عن أهمية التأمل والتعقل والفهم والفكر.

سوف نتحدث عن حقيقة هي بالنسبة إلى جميع الحقائق، وجميع خير الدنيا وآخرة الإنسان وسعادته وسلامته؛ هي بمنزلة الروح من الجسد وبمنزلة الجذور إلى الشجرة وكذا بمنزلة الأساس من البنيان.

فالعقل واللب والفكر والقلب ومشتقاتها ومرادفاتها وآثار كل واحدة منها ونتائج هذه الحقائق السماوية السامية قد ذكرت مراراً وتكراراً في القرآن الكريم والروايات الشريفة والعلوم الإسلامية.

فالدقة في آيات القرآن الكريم والتأمل في أهم الآثار الإلهية، يرشدنا إلى هذا المعنى، بأن التفكير والتأمل هو وظيفة المخ وإيجاد الحل والفهم هو وظيفة القلب، فقد نفى القرآن الكريم قضية الفهم عن الكفار ولكنه اثبت قضية التفكير لهم فقال:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً

وَنِدَاءً صَمٌّ بِكُمْ عُمِي فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^١.

وفي آية أخرى حول كافر أشار إليه القرآن الكريم فقال:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾^٢.

نعم ذلك الكافر فكر ولكنه لم يتجه للحصول على حقيقة ذلك التفكير ولم يعتني بما قدره ولم يفهم.

على أية حال فإن الفهم هو نتيجة التفكير والمعرفة والفهم وهو وظيفة القلب وان هذين العضوين المهمين جداً يوفيان دوراً مهماً وسيعاً في جهاز حياة الإنسان. في جميع المسائل التي وردت في شرح الجمل السامية للرواية الأنفة الذكر، فإن الاهتمام بالعقل والقلب والمخ هو على حد سواء وهو مورد اهتمام لجميع الحقائق التي يحتاج إليها الإنسان لان نظام التفكير وبالتالي الحصول على نتيجة التفكير هو كالتالي:

يجب اجبار الحواس الخمسة على الارتباط مع الحقائق المادية والمعنوية والظاهرية والباطنية والمكانية والزمانية، بعد ذلك فإن الحواس سوف ترسل هذه النتائج والعلامات إلى المخ والمخ بدوره لكي يحول هذه العلامات إلى واقعيات فإنه يرسل هذه العلامات إلى القلب والقلب هو مرحلة والنزول الأخير من اجل الفهم فمثلاً:

عندما يرى الإنسان بعينه آثار ما تبقى من قصور الظالمين على مر العصور

١- البقرة ٢: ١٧١.

٢- المدثر ٧٤: ١٨.

فإن المخ سوف يأخذ صورة عن هذه النظرة وفي هذه الحالة فإن فثمة حقيقة علمية سوف تتشكل في داخل عالم الإنسان ثم بعد ذلك يفهم القلب هذا العلم ثم يعتبر الإنسان ويبعد نفسه عن الظلم والظالمين نتيجة فهمه لهذه الوقائع.

هنالك اجهزة عظيمة ومعقدة ترتبط مع المخ والقلب من قبيل جهاز الدرك والحافظة وجهاز التفكير والتخيل والتصوري والتميز والتدبير والتي لكل واحد منها عالم مليئاً بالاسرار ومن اجل المضي قدماً في طريق الرشد والكمال فان الإنسان بتمام وجوه محتاج للاخذ بجميع هذه الاستعدادات اللهية، باستخدام الحواس والاجهزة العظيمة الدماغية والقلبية نستطيع ان نخطوا إلى الجو العظيم للمعنوية والى باطن وحقائق واسرار الملكوتية وهنالك نتعرف مع رسالة الأنبياء وامامة الأئمة والآيات التي في الآفاق والأنفس والشريعة وعن طريق هذه المعرفة نصل إلى طهارة القلب وطهارة النفس والعمل.

فقد اعطي المخ من اجل التذكير بما امرنا بالتفكير به واعطي القلب لفهم نتيجة ما فكر به المخ والعمل به وهو الطريق الوحيد لاجل الحصول على سعادة الدنيا والاخرة فقد قال الحكيم نظامي لترغيب للتفكير والفهم.

يا خالق هذا الكون، ارفع خلل فهمنا.

فهذه سبع سموات التي خلقتها، لم تخلقها عبثاً.

كل ذرة خلقتها، وإن كان ذرة من غبار لم يكن عبثاً.

كل شخص عرفك، فهو مشغول بعبادتك وسجودك.

التفكير والتأمل في القرآن:

نستطيع ان نقول دون ترديد وشك ان ليس هنالك كتاب سماوي على مر

تاريخ البشرية أكثر من القرآن الكريم قد حث الإنسان وشوقه وامره بالتفكير والتأمل في جميع حقائق العالم بما فيها حقائق الآفاق والأنفس والشرع. القرآن الكريم هو كتاب التفكير وكتاب الهداية وكتاب الخير وكتاب السعادة وكتاب الفضيلة وأعلى رأس مال للإنسان الذي لا يضاهيه شيء في جميع عالم الخلق، فقد مدح ومجد القرآن الكريم بأفضل صورة في كثير من آياته؛ المتفكرين والمتأملين والذين هو في مقام فهم الحقائق والاستفادة من تلك الحقائق وفي المقابل فقد ذم القرآن الكريم الذين لا يفهمون الحقائق ولا يسعون في التفكير فيها وسوف نذكر بعض من آيات الله في هذا المجال.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^١.

﴿أُولَٰئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾^٢.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٣.

١- آل عمران ٣: ١٩١.

٢- الروم ٣٠: ٨.

٣- الرعد ١٣: ٣.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
 مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^١.
 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا
 إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ﴾^٢.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ
 لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ بَخَلَقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
 خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُصْرَفُونَ﴾^٣.
 ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
 مُّبِينٌ﴾^٤.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ
 خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٥.
 ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾^٦.

١- النحل ١٦: ١٢.

٢- الروم ٣٠: ٢١.

٣- الزمر ٣٩: ٦.

٤- الاعراف ٧: ١٨٤.

٥- الحشر ٥٩: ٢١.

٦- النمل ٢٧: ٦٩.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^١.

التفكير والتأمل في الروايات:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: «نَبَهُ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَكَ وَجَافِ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ»^٢.

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَمَّا يَرَوِي النَّاسُ أَنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ قُلْتُ كَيْفَ يَتَفَكَّرُ؟ قَالَ: يَمُرُّ بِالْخَرْبَةِ أَوْ بِالِدَارِ فَيَقُولُ: أَيْنَ سَاكِنُوكَ أَيْنَ بَاتُوكَ مَا لِكَ لَا تَتَكَلَّمِينَ؟^٣

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِذْمَانُ التَّفَكُّرِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ»^٤.

عَنْ مَعْمَرِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَاءَ عليه السلام يَقُولُ: «لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ»^٥.

١- يوسف ١٢: ١١١.

٢- الكافي: ٥٤/٢، باب التفكير، حديث ٤١؛ بحار الأنوار: ٣١٨/٦٨، باب ٨٠، حديث ١.

٣- الكافي: ٥٤/٢، باب التفكير، حديث ٤٢؛ بحار الأنوار: ٣٢٠/٦٨، باب ٨٠، حديث ٢.

٤- الكافي: ٥٥/٢، باب التفكير، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ١٩٦/١٥، باب ٥، حديث ٢٠٢٦٠.

٥- الكافي: ٥٥/٢، باب التفكير، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ١٩٦/١٥، باب ٥، حديث ٢٠٢٦١.

قال أبو عبد الله عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «التَّفَكُّرُ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ بِهِ»^١.

قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا صَنَعَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا بِحَظِّ نَفْسِهِ مِنَ الْحَلَالِ فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ لِتِلْكَ السَّاعَةِ»^٢.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: فِي النَّظَرِ وَالسُّكُوتِ وَالْكَلامِ، فَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ فَهُوَ سَهْوٌ، وَكُلُّ سُكُوتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرَةٌ فَهُوَ غَفْلَةٌ وَكُلُّ كَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لَفْوٌ فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ نَظْرُهُ اعْتِبَارًا وَسُكُوتُهُ فِكْرَةً وَكَلَامُهُ ذِكْرًا وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ وَأَمِنَ النَّاسُ شَرَّهُ»^٣.

الطريق الصحيح للتفكير:

نستنتج من الآيات والروايات التي مر ذكرها ان الله سبحانه وتعالى وأولياء الدين؛ من أجل ارشاد الإنسان نحو الرشد والكمال والخير والسعادة الابدية؛ ارادوا منه ان يتفكر في حقائق مثل السماء والأرض، والليل والنهار، وخلق الإنسان، القرآن الكريم، وحياة الصالحين، وحياة الطالحين وعاقبتهم، وكل

١- الكافي: ٥٥/٢، باب التفكير، حديث ٥٥؛ بحار الأنوار: ٣٢٢/٦٨، باب ٨٠، حديث ٥.

٢- بحار الأنوار: ٣٢٣/٦٨، باب ٨٠، حديث ٧.

٣- المحاسن: ٥/١، باب ١، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٣٣٢/٩٠، باب ١٩، حديث ١٨.

حقيقة ترك اثراً تربوياً في حياة الإنسان حتى يصل من التفكير إلى فهم ودرك الحقائق وبعد ذلك مما شاة الحقائق والوقائع حتى يصل عن هذا الطريق إلى السعادة الابدية والخير الخالد وبذلك يصلح نفسه ثم يقوم باصلاح الاخرين لكي يصل إلى عوالم مادية ومعنوية غير معروفة عن هذا الطريق.

كلام العلامة المجلسي رحمته الله في التفكير:

يقول العلامة المجلسي رحمته الله - هذا الفطحل في علم الحديث - حول توضيح

آيات وروايات التفكير:

التفكر المذكور في العلوم الإسلامية؛ هو شامل لجميع اقسام التفكير الصحيح فمثلاً التفكير في عظمة الله حتى تدعو الناس إلى الخوف من مقامه سبحانه وتعالى؛ والاطاعة لأوامره: أو التفكير في فناء الدنيا ولذاتها الآنية: مما يحدوا بك إلى التفكير في ترك الفضول منها، وترك هذه الدنيا الغرورة؛ وكالتفكر في مآل الرجال الصالحين السابقين؛ مما يدعوك إلى التأثر بحياتهم وكالتفكر في عاقبة المجرمين وهو سبب لاجتنابك الكثير من الاخلاق والاعمال السيئة التي ارتكبوها.

وكالتفكير في عيوب النفس وآفاتها، مما يؤدي بك إلى أن تهتم باصلاحها، وكالتفكر في أسرار العبادة واهدافها مما يجعلك ان تسعى أكثر في تكميلها ورفع النقص عنها، وكالتفكر في الدرجات العليا للأخرة وتحصيلها، والتفكر في مسائل الشريعة مما يدعوك إلى تحصيلها والعمل وفق تلك المسائل، وكالتفكر في حسن الاخلاق وثوابها لأجل تحصيل الحسنات والتزير بها.

كلام الغزالي حول التفكير:

التفكر، يكون موجباً لإنارة القلب والتحرر من الغفلة، ويجب القول: التفكير،

هو أصل وجذر جميع الحسنات^١.

كلام الشيخ الطوسي حول التفكير:

يقول الشيخ الطوسي - هذا العلم الذي قلّ نظيره - حول توضيح مسألة التفكير: التفكير، هو الحركة الباطنية من المقدمات نحو المقاصد والنتائج السامية، وهي قريبة في المعنى من مسألتى الدقة والنظر.

فالذي يريد الحركة من النقص نحو الكمال، ليس بمقدروه ذلك سوى عن طريق التفكير. فمواد ومبادئ التفكير هي الآفاق والأنفس. بأن في أجزاء العالم وذرات الخلق، والأجرام العلوية من الأفلاك والكواكب؛ وكذا التفكير في حركتها واطواعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها وتأثيراتها وتغييراتها. وأيضاً عليه أن يتفكر في الأجرام السفلية وترتيب وتأثير كل واحد منها على الآخر وكيفية وتركيبها.

وكذلك عليه بالتفكير في المعادن والحيوانات وأجزاء الإنسان؛ وأعضاءه من العظام والعضلات والأعصاب والعروق، وكل ما هو خارج عن الإحصاء. وعليه أن يستدل بكل ما يحصل عليه من الحقائق في التفكير من هذه الأمور؛ على كمال الصانع وعظمة وعلم وقدرة حضرته وأنها لا تثبت لغيره. وفي الحقيقة، عليه أن يوصل نفسه إلى ثمرة التفكير الطيبة التي هي الحصول على المعرفة والعشق ومقام القرب من حضرة المحبوب. عيشوا الحياة الحقيقية^٢.

١- بحار الانوار: ٣١٩/٦٨، باب ٨٠ ذيل حديث ١.

٢- بحار الانوار: ٣١٩/٦٨، باب ٨٠، ذيل حديث ١.

التفكر حول السموات:

ان هذا الكتاب الذي أُلّف من اجل المسائل التربوية ويسعى دائماً إلى تجنب المسائل العلمية المعقدة؛ لا يسعه ان يتحدث عن جزء من الف الف من ذرة من احد الاوراق العظيمة للخلقة؛ ولكنه من باب ان هذا الكتاب يريد ان يشرح الآيات والروايات الواردة في باب التفكير أكثر؛ فلا بد ان يتطرق إلى مجموعة من الحقائق الكونية.

السموات هي مجموعة الآثار الموجودة التي فوق رؤوسنا؛ وهذه المجموعة كما قال صاحب الخلق سبحانه وتعالى؛ هي في سبع طوابق وعبر عنها؛ بالسموات السبع، كل واحدة منها تتكون من مجموعة من ملايين السحب، والمنظومات والكواكب، وحسب الروايات والكتب العلمية القيمة فإن سماء الدنيا كذرة صغيرة في مقابل السماء الثانية وهكذا بالنسبة إلى السماء الثانية إلى الثالثة وهلم جرا إلى السماء السابعة.

ان عظمة وسعة هذه المسألة هي لدرجة اننا لو وضعنا جميع الكتب العلمية في مقابل السماء الدنيا وما فيها؛ فهي كأننا نضع عدداً صغيراً في مقابل عدد لا نهاية له.

مقارنة بين الشمس والقمر:

انظروا إلى الشمس من وجهة علمية، هذا الكائن ذو النفع الكثير ومصدر الحرارة هذا، هي كرة وأفضل سبيل لبيان عظمتها، مقارنتها بالأرض.

حجم الشمس هو مليون وثلاثمائة واحد وتسعين ضعف حجم الكرة الارضية.

قطر الشمس مائة وتسعة أضعاف قطر الكرة الأرضية؛ أي مليون وثلاثمائة وواحد وتسعين مليون كيلو متراً.

وزن الشمس ثلاثمائة وثلاثين ألف ضعف وزن الأرض، أي لو وضعنا الشمس في إحدى كفتي ميزان وفي كفته الأخرى ثلاثمائة وثلاثين ألف كرة أرضية، عندئذ ستعادل الكفتان.

سرعة حركة الشمس الوضعية كيلو متران في كل ثانية وفي كل ساعة سبعة آلاف ومائتا كيلو متراً.

قد ثبت اليوم ان مجموعة من الكرات السماوية التي تكوّن منظومة واحدة، تسير معاً فضائياً باتجاه واحد.

المنظومة الشمسية ايضاً تسير نحو الصورة الفلكية «كالجاثي على ركبتيه» مما تقع بالنسبة إلى الشمس في الشمال فضائياً، سرعة سير هذه الحركة في كل ثانية، تسعة عشر كيلو متراً ونصف الكيلو متر.

نحن سكان الأرض أيضاً نصاحب الشمس في هذه الرحلة، وخلال عام واحد نبتعد ٦١٥ مليون كيلو متراً عن المحل الذي نشغله اليوم في فضاء العالم.

الشمس احد اعضاء المجرة وتقع بفاصلة ٣٠ الف سنة ضوئية عن مركزها وتدور حول مركز المجرة بسرعة ٩٧٢ كيلو متراً في الساعة.

إن برد وانطفأ يوماً هذا القرص المشتعل واراد سكان الأرض احداث ما يستحصلونه من حرارة من مشعل اضاءة الكون هذا، عبر احراق الفحم الحجري فعليهم توفير ٦١ الف مليار طن من الفحم الحجري، أي أن يحرق كل فرد نحو ٢٠٣٣٣ طن من الفحم الحجري، لاجل ذلك^١.

١- الإنسان والعالم: ١٠ - ١٣ نقلًا عن كتب: النجوم بلا تلسكوب، بنية الشمس، عن العوالم البعيدة، تسخير النجوم.

هذه الكرة الكبيرة مع تسعة كواكب، هي: العطار، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، اورانوس، نبتون، وبلوتون، تكون المنظومة الشمسية ومع كل مالها من عظمة إلا أنها قياساً بأقرب مجرة وهي درب التبانة ليست سوى نقطة مضيئة وحتى ان المجموعة هذه، وبكل سعتها وعظمتها شيء صغير امام نجمة واحدة، احياناً.

نجوم السماء:

نقرأ في الكتب العلمية المعتبرة:

من النجوم التي قيست كنجمة كبيرة، النجمة الكبرى الحمراء «إسيليون أوريجا» التي قطرها ٢٥٠٠ مليون ميلاً، فيمكنها اذن أن تخفي في بطنها كل منظومتنا الشمسية، بمجموعها!

تصور قدر ومساحة العالم ليس ممكناً للذهن العملي، اذ أن مساحة وسعة ذلك كبيرة فوق التصور وعظمتها بعيدة عن فهم ومتناول البشر.

يقول سرجس جانس:

نجوم السماء تعادل ومال سواحل البحار عدداً، النجوم التي يمكن ان ينالها بصر البشرة تشكل جزءاً صغيراً من العالم اللامتناهي.

ثمة نجوم بعيدة جداً عن متناول التلسكوبات القوية النجومية.

أقرب النجوم تدعى بروكسيما تبعد عنا (٢٥) ترليون ٢٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميلاً (الميل الواحد يعادل ١٦٠٠ متراً تقريباً).

هذه المسافة مما لا يسعنا بوجه تصورها، ان تمكنت طائرة طي هذه المسافة

بسرعة ١٠٠٠ ميل في الساعة، فستستغرق رحلتها نحو ٣٠٠٠،٠٠٠ عاماً.
يقيسون في علم النجوم مسافة العالم العظيمة بوحدة تدعى «سنة ضوئية»،
السنة الضوئية مسافة يقطعها الضوء خلال سنة، تعلمون أن الضوء يقطع في كل
ثانية ٣٠٠،٠٠٠ كيلو متراً أو ١٨٦،٤٠٠ ميلاً.

بضرب هذا العدد في ٦٠، نحصل على المقدار في الدقيقة وبضرب ذلك في
٦٠، المقدار في الساعة وبضرب ذلك في ٢٤، المقدار اليوم وبضرب ذلك في
٣٦٥ المقدار السنوي وهو يعادل ٥٨٨٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ميلاً تقريباً.

نجمة يقال لها سيرْيوس أو الكلب تبعد عنا ٨،٥ سنة ضوئية أي في الحقيقة
تبعد عن الأرض ٥٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ميلاً، هذه النجمة النيرة جداً، تعتبر
لحد ما قريبة منا قياساً إلى ريغل وهي نجمة سافعة في مجموعة اديون، تبعد عنا
٥٠٠ سنة ضوئية.

حينما ينظر الفلكي بتلسكوبه الفضائي، إلى نجمة بعيدة جداً، فإنه ينظر في
الواقع إلى الأزمنة الماضية؛ ذلك أن الضوء الساطع من النجمة، قد ابتدأ سيره قبل
ملايين السنين.

بوسعكم في ليلة صافية، أن تشاهدوا خطأً من الضوء الباهت، في وسط
السماء على امتداده.

تلك مجرة درب التبانة، وهي تتألف من عدة ملايين نجمة و لشدة بعدها،
تبدو باهتة اللون جداً.

يمكن القول ان هذه النجوم تكون مجموعة متراكمة من عائلة نجومية
عظمية؛ وكثير من النجوم المرئية ومنها شمسنا، ضمن هذه المجموعة.

المجرة هذه على شكل عجلة وشعاعها نحو مائة الف سنة ضوئية، العجلة

هذه في حالة دوران وتدور حول نفسها مرة كل ٢٥٠ مليون عاماً.
منظومتنا الشمسية تقع في الجزء الخارجي لهذه العجلة، تقريباً، وحينما
تنظرون أنتم إلى المجرة فانكم تنظرون في الحقيقة إلى مركزها.
و هناك مجرات كثيرة أخرى أيضاً، تبعد عن مجرتنا كثيراً، و تبدو كسحب
عظمى من الغاز والنجوم وقد تقاربت من بعضها بتأثير قوة الجاذبية.
بعضها على شكل كرة، والبعض الآخر مثل آندرومد وهي المجرة الوحيدة
الآخري التي تشاهد بالعين المجردة، حيث تكون ملتوية و حلزونية الشكل.
الفاصلة ما بين نجوم المجرة كبيرة جداً في الواقع، أكثر من المسافة بين
المجرات، فمجرتنا درب التبانة، تبعد في الحقيقة ٧٠٠ سنة ضوئية عن أقرب
المجرات.

و توجد خارج مجرتنا، ١٠٠٠،٠٠٠ مجرة ومساحتها تبلغ ٢٠٠،٠٠٠ سنة
ضوئية.

أقرب جسم فضائي خارجي، سحابة لرمانيك القريبة أو آندرومد وهي
ملتوية الشكل، تبعد ٢/٣ مليون سنة ضوئية أو ١٤،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠
ميلاً.

السديم الابعد المرئي، سديم من ٣G - ٢٩٥ الذي يبعد ٦٠٠٠ مليون سنة
ضوئية، هذه المسافة تمثل في الحقيقة حدود العالم المرئية.

يقول جورج غاموف صاحب الكتاب المترجم الهام جداً واحداً، اثنان،
ثلاثة، لا نهاية، يقول في صفحة ٣٠٩:

مجرتنا هي ظاهراً ضمن مجموعة صغيرة من المجرات التي منها ثلاث مجرات ملتوية وست مجرات بيضوية وأربع مجرات غير منتظمة.

لكن لو تجاوزنا المجاميع هذه، كما يشاهد من التلسكوب ذو المترين والنصف طولاً في مرصد مانت ويلسن، إلى مسافة خمسمائة مليون ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ سنة ضوئية تنتشر المجرات فضائياً بنحو متساو.

المسافة بين كل مجرتين جارتين، ٢٠٠٠،٠٠٠ سنة ضوئية ويشمل أفق العالم إلى حيث يرى نحو ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ مجرة مستقلة.

تلك كانت نظرة عن بُعد على عالم النجوم وما هو بمتناول أبصارنا المجردة والمسلحة، ونعلم أن ذلك كله، جانب صغير من العالم الكبير مما يقع إيماننا بفضل علمنا القليل والمراصد.

مكونات الكرات:

من المفيد جداً أن نقوم باطلالة على العناصر المكونة لهذه الكرات وهذا النظام المذهل؛ ونشاهد عن قرب لطائف ودقائق المواد التركيبية للعالم، كي يتضح أن عجائب أصل المواد لا تقل عن بنية السماوات ذاتها.

ما نرى في العالم من أجسام ومواد، مجرد مشهد خشن ظاهري بيد أن باطن ذلك في الحقيقة أكثر لطافة، الحقيقة الوحيدة التي يمكن التفوه بها: أن ظاهر العالم مكون من ثلاث مواد: بروتون، نيوترون، الكترون.

تكون المواد هذه، من مختلف أنواع وانحاء أجسام وأشياء هذا العالم وتختلف صورها في كل مكان بيد أن باطنها وماهيتها واحد تماماً ومتشابه.

البروتونات عبارة عن جينات المواد، لنفرض ان الحبيبات هذه تشبه كرات

ملونة «مثلاً حمراء»، بعدها قد قاموا بقياس كتلة تلك بدقة فائقة.

يخمنون أن كتلة البروتون الواحد يعادل ١,٦٦ المليون من المليار على المليار للغرام الواحد.

أي لو قُسم الغرام الواحد الى ١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جزء ثم قُسم ذلك الجزء مليار جزء وبعد ذلك قسموا ذلك الجزء مليون جزء فسيعادل ذلك ١/٦٦ مرة.

قول ذلك سهل، بيد أن تصوره متعذر، فلأجل تهيئة غرام واحد من البروتون، يتحتم تجميع ٦٠٢٠٠٠ مليار مليار بروتون.

ولأجل أن نعرف ما حقيقة هذا الرقم وما معناه، تصوروا أن إنساناً لو صرف كل عمره في العدّ واستمر بذلك في كل اوقات حياته حتى في ساعات النوم والأكل فلن يتمكن في كل عمره أكثر من عد من واحد إلى مليار، ليس إلا. لو بذل جميع سكان الأرض كل أيام وليالي اعمارهم في العد، فلن يوقفوا لأكثر من عد ملياري مليار.

فلو بقيت نفوس الأرض على ما هي عليه، يحتم ان يبذل ثلاثمائة جيل من البشر كل اوقات ليلهم ونهارهم في العد لكي يتمكنوا من عد بروتونات غرام واحد، فهل عرفتم الآن كم هي عجيبة هذه الدنيا؟!

الخلقة مظهر الألفاظ اللامحدودة لمن؟ من ذلك الجدير بالحمد من؟
خلفة الأشياء سواء ماضياً او حالاً في المستقبل، الجميع مشتق، ما مصدر الذات الخالد.
حركة الذرات مع مالها من سير وتكامل من أين؟ إنارة الشمس والقمر
من نور إضاءة من؟

تنير النجوم في ظلمة الليل، هذه الكواكب مشعل القصر الرفيع لا يوان من.
 من يرفع السماء هكذا بلا عمد، هذا الكون مع وجود الدوران بأمر من؟
 كل هذه الاقمار والانجم، هذه الشمس والكواكب، قائمة مطمئنة في لا
 نهاية الفضاء بمن؟

كل الاشكال والصور هذه وذوي النقوش والرتوش، من أي منقش من
 مخطط من؟

التفكير في الأرض:

القرآن الكريم في كثير من آياته يعتبر الأرض، آية من آيات الحق تعالى،
 ودليلاً على التوحيد وعلامة على قدرة وعناية ومحبة ولطف ذي الجلال.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^١.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾^٢.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^٣.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾^٤.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^٥.

١- البقرة: ٢: ٢٢.

٢- الرعد ١٣: ٣.

٣- النحل ١٦: ٦٥.

٤- طه ٢٠: ٥٣.

٥- فاطر ٣٥: ٤١.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾^١!

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾^٢.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾^٣.

الأرض وبما فيها من آلاف عوامل الراحة والرفاه، هو إحدى العلامات البارزة على حكمة وقدره الباري تعالى، لذا فإن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التفكير في عجائبها وأسرارها.

سطح الأرض وسيع جداً كي يستفيد الناس حسب إمكاناتهم العلمية وطاقاتهم الصناعية من هذه الساحة الواسعة، من هذا الكنز المعطى من قبل الله ويوفروا أدوات رفاههم وحضارتهم.

يبلغ مجموع مساحة الأرض ٥٠٩ مليون كيلو متر مربع وقد غطت ٣٦٠ مليون كيلو متر منها، البحار وتكون ١٤٨ المتبقية، سطح اليابسة.

سعة الأرض بحد أنه يمكن تخصيص ١٧٠ متر مربع لكل فرد من النفوس البالغ عددهم ٤ آلاف مليون نسمة ولو اقتصرنا على اليابسة فحصة الفرد الواحد ٤٩ ألف متر مربع.

حقاً لو لم تكن الأرض بهذه السعة، لكان الناس مثل أولئك المحصورين في قلعة، لذا فإن القرآن الكريم يتحدث عن سعة الأرض في سورة العنكبوت ضمن بيانه النعم الإلهية، الآية ٥٨.

١- غافر ٤٠: ٦٤.

٢- نوح ٧١: ١٩.

٣- المرسلات ٧٧: ٢٥.

ولم يجعله ذو الجلال تعالى في سطح الأرض أو في البحار أو في اعماق الأرض.

كما يقول مؤلف كتاب «العلم والحياة»:!

لو تفكرنا للحظة فيما يصنع من الفلزات، فسيستحضر ذهننا على الفور، الطائرة، والسفينة، والقطار، والجسور الفلزية، وشتى أنواع المكين، وجهاز التدفئة، والمسمار، واللوابب، وقطع النقود وآلاف من الأشياء الأخرى، هل يمكنكم تصور كم كانت ستختلف حياتنا دون هذه الأدوات عما هي عليه الآن!؟

حكمة شكل الأرض:

شكل الأرض، كمية وكيفية الأرض، منخفضات ومرتفعات الأرض، كائنات الأرض كلها تعمل في سبيل حياة الإنسان.

ان كان سطح الكرة الأرضية مستوياً مسطحاً، ليس فيه انخفاض وارتفاع، لا يضم تلاً أو مرتفعاً، أو جبال ووديان، كانت مياه الأمطار تبقى على سطح الأرض، ولم تكن لتذهب إلى البحر لتذخر هناك، لم؟ لأنه لم يكن حينئذٍ منخفض في الأرض، كي تتجه المياه بسبب ذلك لتكون تياراً، فنهراً، فتصب في البحر.

على اثر بقاء المياه على وجه الأرض، كان التراب سيتحول إلى مستنقع، ولم يكن ليوجد موضع للزراعة، لم تكن المراعي الخضراء والمعاشب البهيجة، لم تكن المواشي والنباتات لتجد مرعى، واثّر ذلك يحرم الإنسان من الغذاء النباتي

والحيواني وما كان البشر ليبقى، بسبب الجوع.

مياه الامطار المتجمعة على الصخور كانت سوف تنتن، لنتج حشرات سامة، وتعم العالم رائحة النتن، وما كانت الحشرات لتبقى حياً، ولم يكن ليبقى نبات أو حيوان أو انسان.

انه قد ربط العالم والعالمين ببعضهم، جعل سطح الأرض مسناً، احدث جبلاً ودياناً، قيعاناً، منخفضات، مرتفعات على الأرض، كي لا يتوجه من مياه المطر خطر للأحياء، كي يعيشوا براحة، كي يقفوا، كي لا يفنوا؛ هل يفوق ذلك رأفة، أو لطف، أو علم وقدرة؟

قد استوعب الماء ٧٢ بالمائة من سطح الأرض، حيث البحار والمحيطات. ٢٨ بالمائة من الكرة الارضية تراب ويااسة، مما تتكون عنه قارات الأرض ماء البحار والمحيطات، ام أقطار وجليد الأرض، اذ تبيخرها تتكون الامطار والجليد وذلك يطابق تماماً مقدار حاجة الأحياء في الأرض.

إن كان وضع الكرة الارضية، غير هذا، ماذا كان ليحدث؟

إن كان ٢٨ بالمائة من سطحها ماء و٧٢ بالمائة منها تراب، لاصبح المطر والجليد ثلث ما عليه الآن.

إن كانت نسبة الماء والتراب في الارض ٥ - ٥٠ كان المطر والجليد اقل من نصف ما هو الآن وكان سطح الأرض سيتحول إلى صحراء قاحلة محرقة، لا ينبت فيها نبات ولا يوجد فيها مرعى بهيج، لا بستان وتشجير، لا محصول ولا زرع لا أيكة ولا غابة ليتغذى منها الناس والحيوانات.

كان الجوع والعطش يعم الجميع ويهلك الجميع ولم يكن ليبقى أحياء على وجه الأرض هل تريد له علامة أفضل من أنه من بين آلاف النسب بين الماء

والتراب جاء بالنسبة التي تعطي الحياة؟

هل تريد شاهداً أفضل من هذا على علمه، قدرته ورأفته، لو حكمت الانصاف.

نعم، التأمل والتفكير في النعمة، يوقف الإنسان على عالم من الحب لصاحب النعمة ليجعل الإنسان بهذا التعرف امام مسؤولياته وعلى رأس جميع المستويات فإن على عاتق الإنسان مسؤولية طاعة حضرته تعالى.

ليحرك بذلك الإنسان كالفراشة حول شمع وجوده بتعبير شاعر امتلكه عشقه، كفيض الهائم:

قلبي قرين بعطفه دوماً، محبة الخاتم فص القلب.
 رأسي ممسوس الكنز الإلهي، قلبي مجنون خالق العقل.
 العالمان قد حلا برأسي، لا تظن ان وجودي هو ذا.
 حين التحليق جناحي السماء، وان كان عشي الارض.
 رأسي كرسي سلطان العشق، قلبي معنى العرش الرفيع.
 فضاء صدري محط الحبيب، داخل هذا الصرف در ثمين.
 حين اكلم الحق فأنا كلیم، كلامي حينئذ آيات مبينة.

الجاذبية الارضية:

يقول الناس: يأتي المطر و ينزل الثلج، بيد ان حقيقة الحال ليست كذلك، لا يأتي المطر والجليد، بل ان قوة جذب الأرض هي التي تجتذب إليها الامطار و تشدّ الجليد إليها من انفضاء.

إن لم تكن الأرض تستطيع جذب الامطار والجليد إليها، كانت تلك الأمطار

تبقى في الفضاء وتنتشر هناك، حينئذ هل كان يبقى شيء من الأحياء في الأرض، إن وجد كائن حي، فهل كان باستطاعته الحياة؟ من أعطى الأرض قوة الجاذبية، هو... قوة الجاذبية الأرضية علامة عقله، حكمته، علمه، قدرته ورأفته بالبشر.

الطوفان من عجائب الأرض:

الأرض فيها بحار، ثم في البحار عجائب، من تلك العجائب الطوفان، الطوفان الحادث في البحار والمحيطات على أنواع:

التيارات الباردة القادمة القادم من المناطق الباردة والقيعان القطبية.

التيارات الحارة القادمة من المناطق الاستوائية.

التيارات السطحية في سطح المحيط سطح الماء.

التيارات العميقة النافذة إلى أسفل مياه البحر.

السفن تهرب هذه التيارات والمدن الساحلية تثن منها، بيد أن التيارات لا تعود على الانسان بما لا يتصوره من نفع.

ليس المراد من النفع هذا، كسر شدة الحرارة في المناطق الحارة وشدة البرودة في النقاط الباردة وذلك مما ينجزه الطوفان.

المراد ان نفع التيارات عام ولها فضل الحياة على جميع افراد البشر في جميع نقاط العالم.

و إن لم تكن، لم يكن لأي احد ان يحيا على وجه الأرض.

و إن لم تكن لم تكن مياه البحار لتتحرك، وكانت جميعها تركد، وعلى إثر الركود الدائم تنتن المياه وتمتلئ الأرض نتناً وعفونة، كان

الجو سيتسمم، البحر سيتسمم، الغازات القاتلة تشغل الفضاء، ويموت من في الأرض، ثم كائنات البحار، كانت سموت.

انها تجعل ماء البحار في حركة دائمة، وعلى إثر دوام الحركة هذه، تكون حرارة ماء البحر وملوحته في تغير دائم، وبالنتيجة فإن ماء البحر، يخرج عن التشاكل، وينأى عن خطر التعفن.

واهب الحياة، قد حافظ بهكذا ظاهرة على حياة الكائنات الحية من خطر الفناء.

وهو الذي يكفل حياة الاحياء، أليس مؤشراً على حكمة وعلم وقدرة خالق الحياة؟ بلى

هل هذه الدراسات العلمية والظواهر التي تم اكتشافها بعد آلاف السنين، يجدر بالمادة الابتدائية التي تفتقد الشعور والعلم، ان تفهمها؟ اطلاقاً.
هذه القدرة الواسعة، تأثيرها المحيي هذا، من أين جاء ومن أعطاها؟ هو....

النباتات من عجائب الأرض:

من عجائب الأرض الهامة جداً النباتات، للنباتات الدور الأكبر في دوام الحياة وهي أنواع مختلفة واختلاف أنواعها، علامة بارزة على صاحب ومخرج الخلق.

إن داوم ماكنة تلقائياً (اوتوماتيكياً) على حركتها، ودون أن يتصرف فيها ذهن مفكر، يجعل نتاج ذلك المعمل متشاكلاً غير متنوع.

السيارة التي تسير ولا سائق لها لن تنجبه إلى جهة واحدة، إلا أن يغير مسيرها

ارتفاع وانخفاض الأرض.

من تنوع منتجات المصنع نستنتج ان عقلاً مفكراً يديرها من اختلاف سير السيارة ودورانها لهذه وتلك الجهة، تسرعها وتباطئها، نعرف أن للسيارة سائناً عاقلاً.

الآن نلقي نظرة على مصنع الخليفة ونتاجاته، وتوجه إلى نموذج صغير جداً، مما يكثر ارتباطه بالإنسان.

ننظر إلى النباتات ومالها من ورق أخضر، بيد أن أوراقها ليست متحدة الشكل، فلكل ورق نبات، وشكل خاص.

خضرة الاوراق ليست متشاكله، لو وضعنا ورقة هذه الشجرة قرب ورقة الشجرة تلك، نلاحظ اختلافهما في الخضرة، يصعب عد أنواع الفواكه في العالم، تنوع أقسام الورود لحد بحيث لا تحصى بالنحو العادي.

من فاكهة واحدة هنالك أنواع مختلفة، يقال أن في الهند ثلاثمائة نوع من العنب.

كان مهندس زراعي يقول: يوجد في باريس، أكثر من خمسة آلاف نوع عنب، ويميزونها بالارقام، مثلاً يقولون: العنب رقم ١٧٥٢.

هل باستطاعة فرد ان يعد أنواع التفاح؟

كل تنوع المحاصيل هذا واختلاف منتجات مصنع الخليفة، أليس هذا علامة على ان ارادة مفكر، تدير هذا المعمل العظيم الكبير ولآلاف السنين وهذا الوضع قائم لم يعرضه نصب ولا وقع في عمله خطأ، هذه الإرادة لمن؟ له...!

نجد النباتات في كل ناحية من الأرض، من سطح التربة والمحيطات وحتى أعلى المرتفعات [حيث] الهواء، فهي حاضرة.

بعض النباتات صغيرة حد أنها لا تشاهد إلا بالمجهر (المايكروسوب).
بعض آخر كأشجار مشهورة في كاليفورنيا كبيرة حد أنهم مدوا الشارع من وسط ساحتها.

ثم على وجه الأرض مختلف أنواع النباتات، حتى الآن قد تمت دراسة وتسمية أكثر من ثلاثمائة ألف نحو من النباتات، يمكننا تقسيمها إلى أصناف وأن ندرس كل صنف على حدة.

أنواع النباتات:

قد قسموا سلسلة النباتات إلى أربعة أصناف:

١- ذات الكلوروفيل وغير ذات الكلوروفيل أو الطحالب والفطريات.

٢- الاعشاب البحرية.

٣- السرخس.

٤- منتجي الجيوب.

ولكل منها في حد محلها الدور الأساس في دوام الحياة على الأرض، فالطحالب الصغيرة مثلاً، غذاء كائنات صغيرة مما تتغذى عليه الاسماك، الاسماك الصغيرة هذه هي بدورها غذاء أسماك اكبر، إن لم يكن في البحيرات والانهار والمحيطات، طحلب، كانت الاسماك المأكولة ستقرض سريعاً، كائنات البحار كلها مباشرة أو لا مباشرة، ترتبط بالاغذية التي نتيجها النباتات المائية.

الفطريات، تشمل، البكتريا،... المخمرات، والفطريات المظلية، بعض

الفطريات من أفضل أصدقاء الإنسان.

ثم آلاف الأنواع من الفطريات، توجد في كل مكان تقريباً، أي في التربة والماء وعلى الأغذية وداخل وخارج بدن الكائنات الحية، بعض الفطريات، موجودة حية في الفضاء بنحو معلق في هيئة الغبار.

كثير من البكتريا ذات نفع كبير للإنسان، يحتاج إليها في بعض الصناعات ولتوفير بعض الأغذية وفي الزراعة.

البكتريا ضرورية في بعض الصناعات وفي تهيئة الكتان، في صناعة الجلود يضعون الجلد في محلول من قشر شجر البلوط، تساعد البكتريا هنا في ليونة الجلود. لتهيئة الكتان، يقطعون الساق الكبير ويحفظونها في آبار مرطوبة، تفسخ البكتريا المادة التي تؤمن اتصال سلاسل الكتان، فتفصل بذلك ألياف الكتان عن بعضها وهكذا يجهز الكتان.

البكتريا ضرورية في تهيئة بعض الأغذية، بعض من البكتريا تحول الكحول إلى خل.

السكر المحوي في عصارة الفواكه، يتبدل تأثراً بالمخمرات إلى كحول، ثم يتحول الكحول عبر بكتريا إلى الخل.

بعض آخر من البكتريا، تبدل لاكتوز الحليب إلى حامض اللاكتيك، يقال لتفاعلات الحليب هذه، قطع الحليب.

حامض اللاكتيك ضروري لإنتاج الجبن الحامض مثل الجبن السويسري، البكتريا المنتجة لحامض اللاكتيك مفيدة أيضاً في إنتاج القرناييط المالح.

البكتريا تساعد الزراعة أيضاً، يؤدي نمو النباتات إلى جذب كميات هامة من عناصر التربة.

إن لم يكن ليصل النيتروجين وبعض آخر من العناصر الضرورية إلى التربة من جديد، لم يكن بمقدور النباتات ان تنمو.

تساعد البكتريا على اعادة انتاج هذه المواد، عندما تموت النباتات والحيوانات تؤثر البكتريا على اجسادها، تبدل مركبات أبدانها إلى مواد بسيطة، هذه المواد البسيطة يمكن أن تفيد منها النباتات الأخرى.

مسألة البكتريا أيضاً، هي من عجائب نظام الخلقة الإلهي. تواجهه ضروري في بعض الاغذية، فمثلاً طعم ولون جبن «راكفورا» يعود إلى تلك البكتريا التي تعيش على ذلك.

أحد البكتيريا الدنية، تنتج دواء البنسيلين العجيب، مما يمنع نمو مكروبات بعض الامراض، في البدن.

الفطريات كالبكتريا، تعيش على ما يتبقى من النباتات والحيوانات فتفسحها وتخصب بذلك الأرض.

المخمرات، فطريات صغيرة احادية الخلية وتوفر غذاءها من السكر المحلول، بهذا العمل فانها تبدل السكر إلى «ايندريد كربنيك»، وكحول.

هذه الظاهرة تدعى تخميراً، المخمرات يستفاد منها في توفير الخبز، عندما يتجاور في عجين الخبز المخمر والسكر، يتصاعد كحول «وايندريد كربنيك» مما يؤدي إلى تفقع الخبز وتخلخله، عندما يطبخ الخبز يتبخر كحوله ويمتزج بالهواء الأعشاب البحرية، هي أكمل من الطحالب والفطريات التي هي دون جذور وسيقان وأوراق، فالأعشاب البحرية لها اوراق بسيطة واعضاء كالجذر وكالساق.

لا تكبر اطلاقاً أكثر من عدة سانتيمترات، ذلك أنها تفتقد إلى النسيج الخشبي الذي يحتم للنمو الطولي.

الاعشاب البحرية تنمو بوفور في مختلف المواضع الرطبة إلى حد الكفاية، وتتواجد في النواحي القطبية والمرتفعات الجبلية. كثير منها ينمو في المياه الحلوة وحول المستنقعات المشجرة وعموماً في المتساقعات، وفي الغابات حيث يقل ضوء الشمس، فالأعشاب البحرية تساعد على تصدع وتآكل الصخور وعندما تموت، تغني بقاياها المتفسخة التربة وتخضبها.

النباتات ذات الورد، هي النباتات التي نألفها أكثر وهي النباتات الأكثر أهمية؛ بسبب ما توفر لنا من غذاء ومواد نسيج وما يدخل في المسكن.

النباتات ذات الورد، توفر غذاء أكثر من حاجتها لذا فهي تحتفظ ببعض المذخور، وغالباً ما يستفيد الإنسان من هذه المذخورات.

النباتات، أين تحتفظ بالمواد الاضافية؟ يمكن أن تدخرها في عضو أو اكثر مثل الجذور، والسيقان، والاوراق، والفواكه أو الحبوب.

بعض النباتات كالخس والاسفناج والقرنبيط، تدخر الغذاء الزائد في اوراقها، الجزر والبنجر تدخر الغذاء الفائض في جذورها، البعض الآخر يدخر غذاءه في سيقانه.

النباتات ذات الورد، تدخر عادة في الثمر والحبوب، فأكثر نباتات ذات الورد شهرة؛ هي الأشجار المثمرة.

التفاح، الخوخ، الكرز، الطماطم، غلات مثل الحنطة، الذرة، الرز، الشعير، تكون ذات حبوب.

الياف بعض النباتات، تفيد لانتاج الاقمشة، ما على أبدانكم الان من مختلف البسة انتجت من احدى أنواع هذه المواد:

القطن، الكتان، الحرير الصناعي، الصوف، الحرير، الجلود، الصوف

والحرير والجلد هي متوجات حيوانية، لكن تذكروا أن الحيوانات تحيي بالنباتات.

المتوجات الحيوانية، هي جزء من النباتات الذي تأكله الحيوانات. القطن من أكبر محاصيل العالم الصناعية ومن النباتات الهامة التي تنتج أليافاً، موارد استعماله كثيرة، وأغلب ذلك في نسج مختلف الأقمشة. الكتان يستحصل من نبتة تفيد الألياف القوية المحكمة لصنع الألبسة والحبال والأقمشة الكتانية، السجاد، وخيط القند، وحبال وشبكة صيد السمك وأجود أوراق الكتابة، يتم توفيرها من الكتان.

الألياف النباتية، تتكون في الغالب من السلولز، يستفاد من السلولوز في إنتاج الحرير الصناعي، الألياف الصناعية اليوم كالنايلون مما يصنع من الفحم والماء والهواء، تحل سريعاً محل الألياف الطبيعية، النباتية والحيوانية. اللاستيك الطبيعي، يستحصل من العصارة الحليبية اللون (لا تكس) لشجر المطاط (كائوجو).

هذه الأشجار تزرع اليوم تقريباً في كل البلدان الحارة، يستعمل أكثر اللاستيك الخام في صنع اللاستيك لخارج وباطن عجلات السيارات. من مواد الاستعمال الأخرى، إنتاج الأحذية اللاستيكية والالبسة بلا منفذ واغطية اسلاك الكهرباء، والانايب اللاستيكية والادوات الطبية والصمغ. أشياء أخرى بالآلاف تستحصل من النباتات، منها: الأدوية، القند، التبن، الكاكاو، القهوة، الشاي، بعض العطور، بعض العلكة والادوية، يحتمل أن باستطاعتكم تذكر أشياء أخرى أيضاً.

الغابة من مصادر الأرض الهامة جداً، متوجات الغابة كثيرة ومنوعة عدا

الغذاء والألبسة، فالخشب احد هذه المواد، الكثيرة الاستعمال في العالم.
 في امريكا لوحدها يستهلك سنوياً ملايين الصفحات الخشبية، الغابات تنظم
 الحرارة والماء والهواء وتحافظ على ذخائر الماء.
 قد تقلل جذور النباتات من سرعة جريان ماء المطر، كذلك تحافظ على
 مقدار كبير من التربة الخصبة كي لا ينفسل.

على كل حال فكما يقول القرآن الكريم، تفكروا في الأرض وكل
 مجرياتها الطبيعية، أعم من البحار، اليابسة، النباتات، وباقي النعم التي فيها، وفي
 جبالها وفي اعماق التربة، كي تصلوا بهذا التفكير إلى المعرفة وبالمعرفة إلى
 المحبة ومن المحبة إلى العمل إلى رضا الحبيب ومن رضا الله جل جلاله يصلون
 إلى جنة الخلد.

حصل بركة الشباب طفل الربيع الرضيع، غسل الشفة من اللبن قدام الربيع.
 مرة اخرى حملت الاشجار وتحملت ثمارا، كل ما كان له سر خفي
 أظهره للعيان الدهر.

الطبيعة صانعة الجواهر نحتت جوهراً من جديد، وصنعت الجواهر
 المنحوتة الى جانب بعضها من جديد.

ما رتبة لجنب بعض لتفة في فضة من جديد، الملفوف بالفضة البسته
 حقة من جديد.

كانت شجرة النارج باكرة كاملة، اصبحت بنفخ ريع الربيع على
 البستان حاملة.

ولدت طفلا سميناً بلا عون قابلة، طفلا السمين كان بدنه ملؤه الجري.

انظر على الفصن تفاحة البازي الذهبي، حمرة المنظر الجانبي للحيب
صفرة منتظري الجانبي.

انظر العاشق والمعشوق، قد ولجا قميصاً واحداً، لست مخطئاً عاشق
قتيل مدمى الكفن.

انظر شجرة الكمثرى وحكمته، صنعت صراحاً وضعت فيه سكرًا.
مزجت المسك وورد الزعفران، وصفته امام الشمس معلقاً بالفصن.
مهندس الطبع صنع من البطيخة الرقي كرة، علوم الجغرافيا مندرجة
فيها طرا.

جزيرة وبحر وبر وعين ماء وجبل ووادي، عرضا حين القطع خط دائرة.
لم اصفر وجه السفرجل الآخذ بالقلب، لم امتلاً مظهره المصفي، كدرا.
اظنه مثلي اصبح قرين الغم والآلم، هكذا يصبح كل من انفرد عن
مالك قلبه.^١

التفكر في الليل والنهار:

من المسائل الهامة جداً للارض التي اكدها القرآن الكريم، مسألة الليل والنهار.
اربطوا كرة برأس خيط وأمسكوا بالرأس الآخر للخيط ودوروا حول
انفسكم، الكرة أيضاً سوف تدور بدوراتكم.
يد أن منظر الكرة الجانبي هو الذي يواجهكم دائماً والمنظر الجانبي الآخر
هو في الجهة التي تخالفكم.

كل ما يتأثر بالجاذبية ويدور حول جاذبه، هكذا سيكون حاله.
ارضنا واقعة في جاذبية الشمس، فيجب ان يكون نصفها على الدوام يواجه
الشمس ونصفها الآخر يعاكس جبهة الشمس.

لو كان وضع الأرض هكذا، هل تعلمون ماذا كان سيحدث؟ نصف الأرض
الذي كان يواجه الشمس كان جحيماً متوقداً وجهنماً مشتعلة ونصفها الآخر، ليل
مظلم، وبارد وقارص، فإذا لم يكن بالامكان العيش على الأرض، لا ينبت فيها
زرع ولا يتواجد فيها كائن حي.

بيد أن علمه وقدرته وحكمته، منعت عن هكذا وضع وجعلت للأرض
حركة بأن تدور حول نفسها بسرعة ٣٠ كيلو متراً في الثانية ولا تصدها الشمس
عن ذلك.

كي تغير كل نقاط الأرض من ضوء الشمس وتأنى عن مضارها وتنعم بليل
ونهار طيبين!

للنور والحرارة موقع هام في عالم الخلق، بحيث لو لاحظنا حاجات الكائن
الحي، فعلياً ان نضع النور والحرارة ضمن المتطلبات من الدرجة الأولى.

رب العالمين قد أولى الكائنات الحية النور والحرارة بلا ثمن ولكن بنظم نظام
خاص، بحيث تنفتح علينا بلحاظ هذا النظام الدقيق العادل، باب من المعرفة بالله.

نعلم بأن الشمس لو كانت تشع على نقطة معينة من الأرضية بنحو دائم،
كانت اشعتها المحرقة ستحرق وتفني الكائنات الحية بتلك النقطة سواء النبات
والحيوان ولو كانت تسود تلك النقطة ظلمة دائمة، كانت ستحدث برودة

وانجماد عجيب ولم تكن التحقق ظروف الحياة، بناء على هذا، فقد قرر الليل والنهار في كل نقاط الأرض بنظام معين.

القرآن يعتبر مسألة الليل والنهار الهامة من دلائل التوحيد:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١.

بشأن خلقة الإنسان وعجائب هذا الكائن الذي ملؤه الأسرار قد تم تأليف آلاف الكتب، مطالعة بعض من هذه الكتب تساعد في التأمل التفكير في حقائق هذا لكائن، قد مضى في كتاب العرفان في جزئه الثالث جانب من التأثير على برامج خلقة الإنسان ولم نعد في هذا الجزء بحاجة إلى إيضاح أكثر.

التفكير في القرآن:

من جملة ما يدعوا القرآن المجيد الإنسان للتفكير فيه من مسائل، هو التدبر في القرآن العظيم ذاته، إنكم بمطالعة تفسير حي وجامع، أو بالاتصال بأهل القرآن تتطرقون إلى القرآن الكريم. وبذلك توفقون لفتح أبواب رحمة الحق تعالى عليكم.

القرآن المجيد، يدعو الناس اجمعين إلى النظر بعين القلب في عاقبة
 الاخير و الاشرار في الأمم السابقة ويريد منهم أن يتأملوا في قصصهم، بنحو
 يحققون في أنفسهم حقائق حياة الطيبين ويتجنبون سوء الخبيثين، في هذا
 المجال اصح وانفع القصص تلك القصص التي ينقلها القرآن الكريم وبوسع
 الإنسان الحكيم المفكر لدى مطالعته لتلك القصص بدقة؛ أن يكون أمام بحر من
 المعارف، ليصل عبر ذلك إلى منافع رفيعة دنيوية واخروية.

ارشدكم في هذا الخصوص إلى التفاسير والكتب المؤلفة في إيضاح حياة
 الأنبياء والامم بوصفها قصص وحكايات القرآن الكريم، واغض الطرف عن
 شرح مفصل لهذه الحقيقة.

هنا اشير إلى الجمل الاولى لحديث باب التفكير، مواصلاً بقية حديث الإمام
 الصادق عليه السلام نستحصل ما يلي:

الاعتبار بالذي جرى من الدنيا والنعم والمصائب والحوادث والمآسي
 والمسار والنظر، هل بقي لاحد شيء من الدنيا؟

أو هل نجد شخصاً كبيراً أو صغيراً أو غنياً أو فقيراً وصديقاً أو عدواً وملكاً أو
 شحاذاً، لم يذق طعم الموت؟

المستقبل كالماضي ما جرى للسلف في الماضي سيحدث للخلق في
 المستقبل كما يشبه الماء الماء، في النهر، يتشابه مصير الناس في هذا الممرّ انما
 السعيد الذي يعتبر بكل شيء وكل من يوفق بذلك إلى تصفية ذاته من الرذائل
 وتحليلتها بالفضائل باطنياً وظاهراً.

«قال رسول الله ﷺ: كفى بالموت واعظاً وبالعقل دليلاً وبالتقوى زاداً وبالعبادة شغلاً وبالله مؤناً وبالقرآن تبياناً».

التفكر حول الموت:

يقول رسول الاسلام ﷺ من اجل تحريك تفكر الناس للوصول إلى الحقائق والبعد عن الرذائل:

ان ذكر الموت لكم، ورؤية الاموات، لموعظة كافية لتعضوا، واكتفوا بالدليل كالعقل لإيضاح الحقائق، وزاد كالتقوى، وعمل كالعبادة، ومؤنس كالله سبحانه وتعالى، وبيان كالقرآن الكريم لكسب خير الدنيا والاخرة. ان مسألة حتمية الموت والانتقال من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة ليس مسألة شك أو ترديد لأي أحد.

فرؤية موت الناس بعين البصيرة وذكر النفس مع قدرة الفكر فيها هي من أفضل العوامل المنبهة من الغفلة وافضل وسيلة للرشد والكمال.

كنت اعرف شخصاً غارقاً بانواع المعاصي ولا يؤثر فيه الامر بالمعروف أو النهي عن المنكر وليس له أي علاقة بالدين ولا يتورع عن أي عمل المعاصي والآثام.

فلم أره منذ سنين حتى رأيته في شهر رمضان المنصرم فرأيت انساناً ذا وقار

يعيش في حالة من الاحوال الإلهية وجهه مليئ بالإيمان والعمل الصالح فجاء بالقرب مني وسألني هل تعرفني؟ فقلت لا: فقال اني ذلك الإنسان الذي قضى جزء من عمره في الباطل، فسألته وكيف تغيرت احوالك واصبحت هكذا؟ فقال: كان لي صديق قد وافته المنية فشيعت جنازته الى قبره وفكرت ان اقف عند قبره وأرى ماذا يعملون به؟ فرأيت أنهم قد فكوا رباط كفنه وأهالوا التراب على وجهه وألحدوه ثم غطوا القبر بالطين والتراب، في ذلك الوقت قلت للمشيعة من ذويه انني باق هنا ويمكنكم الرجوع إلى بيوتكم.

وفجأة صُدمت من هذه المناظر العجيبة والغريبة صدمة قوية ورجعت إلى نفسي وقلت لها سيكون مآلك كمال صديقك. عندئذ ماذا تريدان ان تقولي لله سبحانه وتعالى عن عمرك الذي افنيت في الإساءة إلى نفسك والآخرين والله سبحانه وتعالى طيلة هذه المدة محسن اليك.

فأفقت من الغفلة من ذلك الوقت وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى تركت المعاصي والذنوب بجميعها ومن بركة ذلك اليوم فاني مستمر في العيش مع ما يرتضيه الله سبحانه وتعالى، وانشاء الله سوف نذكر في الباب الثالث والثمانين؛ مسائل مفصلة عن الموت ولكننا هنا نشير فقط إلى الواقع الذي هو في مجال التفكير ومن ثم الاستيقاظ من الغفلة.

كلام من عالم رباني حول الموت:

راجعت في هذا المجال، كتباً كثيرة ومقالات تشتمل على نصائح الحكماء والعارفين؛ وبالخصوص ما قاله الأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام؛ فقد ذكر العالم

الرباني صاحب كتاب «مجمع المعارف ومخزن العوارف» المرحوم محمد شفيق بن محمد صالح في أحد أقسام كتابه في باب الاهتمام بالموت، مسائل هي نتاج من الآيات والروايات ومواعظ الحكماء والعارفين، سوف انقل قسماً منها لكم:

انظر بعين البصيرة وانتبه من نوم الغفلة وانصت إلى اذان عقلك، يا ايها الغافل عن سبب الخلق والوجود ووجودك وليس لك علم بعاقبتك وعواقب الآخرة والمعاد.

فكر في عملك، واعلم ان الله الحكيم قد أوجدك من العدم وانعم عليك أنواع نعمه السابعة ومنه البالغة، نفخ فيك من روحه واوجد فيك قابلية استيعاب الحكمة والمطالب العظيمة بما يتناسب وشأنه عزوجل.

وقد خلقك وحيأ لك اسباب الهداية ووسائل تحصيل العلم والمعرفة من العقل والحواس والاجهزة والاعصاب كاملة، حتى يتسنى لك الوصول إلى كسب السعادة الابدية وتنوير قلبك بحجته سبحانه وتعالى.

وبعث اليك الرسول والقرآن الكريم وقال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^١

وقال في موضع آخر:

﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^٢

وقال:

١- الذاريات ٥١: ٥٦.

٢- هود ١١: ٧؛ الملك ٦٧: ٢.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^١.

وقد اوضح لك في آيات كثيرة على لسان رسوله المختار ﷺ انك لم تخلق للعالم واللهو واللعب.

انما خلقت لأمر عظيم وهدف مهم وانما بعثت إلى دار الدنيا من اجل الامتحان واداء التكليف حتى تستطيع تحصيل المعرفة والعمل بطاعته لكي يتسنى لك ان تكون مقبولاً في حضرة عزته ولائقاً لحضرة رحمته وعنايته سبحانه وتعالى، وان نتخطى عقبات الجهالة والضلالة، بعد التذكير. فالإذعان بهذا المعنى -والذي هو من ضروريات الإيمان- بأن التأخير في تدارك ما فات لا يعني سوى السفاهة والشقاوة فهل تظن انك ان اخرت اصلاح نفسك وتهاونت؛ ان العمر يمتدّ بك ولا تموت؟ ما أكثر من تحت الأرض وهم يئنون ويتحسرون امثالك لطول أملمهم فإنهم قد تهاونوا بالعبادة وأخروا العمل ومن حسرتهم وندامتهم فإنهم يريدون الرجوع إلى الدنيا ولو ليوم واحد كي يقضوا ما فاتهم حسبما وردت في الروايات الشريفة.

أو تظن انك في هذا السفر الطويل؛ دون سعي سوف تحصل على زادها في حال ان القرآن الكريم يقول:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^٢.

وفي موضع آخر يقول:

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٣.

١- القيامة ٧٥: ٣٦.

٢- النجم ٥٣: ٣٩.

٣- الصفات ٣٧: ٣٩.

وهكذا مضامين هي كثيرة في كتاب الله العزيز، ومن أحسن من الله قيلاً،
وأي خبر هو أصح وأقوى سنداً من القرآن الكريم حتى يرتاح بالك مع ما أنت
فيه من اعمالك السيئة.

وهل اصبحت مغروراً فقط لكونك شيعياً ومحبباً لأهل البيت عليهم السلام وحسبت
نفسك من الناجين من نار جهنم وهل خلقت جهنم إلا لك ولا مثالك من
المعاصين!

فأنت مع احوالك التي أنت عليها وتقصيرك تجاه الله سبحانه وتعالى هل
تستطيع النجاة من شدة سكرات الموت أو عذاب القبر أو أهوال يوم المطلع التي
اشابت رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته والصالحين من عباده فكانوا في خوف
شديد من خوفها ومن عذاب الله ليلاً ونهاراً وكان يغشى عليهم كلما سمعوا عنه.
مناجاة عليوية:

اقرأ حديث أبي الدرداء حول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقف
على معاني ما قاله إذ قال:

شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات النجار، وقد اعتزل عن مواليه،
واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته، وبعد عن مكانه، فقلت:
الحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يقول: «إلهي كم من موبقة
حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك.

إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل
غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه،

فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال:

«إلهي أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي».

ثم قال: «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصياها، فتقول: خذوه، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه المملأ إذا أذن فيه بالنداء».

ثم قال: «آه من نار تنضج الأكباد والكلبي، آه من نار نزاعة للشوى، آه من لهبات لظى».

قال أبو الدرداء، ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حساً، ولا حركة. فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، فأتيته، فإذا هو كالخشب الملقاة، فحركته، فلم يتحرك، وزويته فلم ينزرو.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقال فاطمة عليها السلام: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر.

فقلت: «هي والله - يا أبا الدرداء - الغشية التي تأخذه من خشية الله».

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق، ونظر إلي وأنا أبكي فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟

فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: «يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني، ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم العذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء ورفضني أهل الدنيا، لكنك اشد رحمة لي بين يدي مَنْ لا تخفى عليه خافية».

فقال أبو الدرداء: «فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ».

هذا شاهد من شواهد تعلق الإمام عليه السلام بالله تعالى وشدة انشاده إليه ورهبته منه.

ويبدو أن هذا ديدن علي عليه السلام كما يتجلى من قول الزهراء عليها السلام لأبي الدرداء: «هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله».

وهذه مزيته عند التوجه إلى الله تعالى في صلاته وضراعته، الأمر الذي ألفه أهل البيت عليه السلام في علي عليه السلام.

ومن أجل ذلك لم يفزعوا حين أنبأهم أبو الدرداء بموته - كما ظن هو - بل استفسروا عما رأى، فأعلمته الصديقة عليها السلام أن ما رآه هو المألوف من علي عليه السلام كل آن حين تأخذه الغشية لله تبارك وتعالى أثناء قيام الليل^١.

فأحوال الأئمة والأنبياء عليهم السلام هي موجودة ومشهورة في سائر كتب الاخبار وخلاصتها موجودة في كتاب مفتاح الجنان يمكنك مراجعتها فهل تظن نفسك اعز وافضل عند الله سبحانه وتعالى منهم؟

الشيعي الحقيقي:

عليك بالخوف من الله برحمة نفسك واعلم يقيناً أنك لو كنت من الشيعة كنت قد عملت وامتلئت لاوامر الله سبحانه وتعالى واجتنبت افعال اعدائه، فاليوم كونك محباً اسماً لهم لم يمنعك من الاصرار على الافعال السيئة والاشترك مع اعدائهم في اعمالهم المخزية، وكيف لك ان تكون مرتاح البال من فزع هول الاكبر للقيامة أو كيف لك ان كونك محباً اسماً لهم ان تحفظك من رفاقة وشراكة العصاة في ذلك اليوم الذي لا تجزون فيه إلا ما كنتم تعملون.

وتوجد في هذا الصدد رواية عن الإمام الباقر عليه السلام نقلاً عن اصول الكافي

في باب التقوى؛ جاء فيها:

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

قال لي: يا جابر أيكثفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخضع والا مائة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والايام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف اللسن عن الناس إلا من خير؛ وكانوا امناء عشائريهم في الاشياء. قال جابر: فقلت:

يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحدا بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبن بك

المذاهب حسب الرجل أن يقول: احب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالاً؟

فلو قال: «إني احب رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام ثم لا يتبع

سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس

بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزوجل [وأكرمهم عليه] أتقاهم

وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لاحد من حجة من كان الله مطيعا فهو لنا ولي ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو؛ وما تنال وبتنا إلا بالعمل والورع»^١.

وفي هذا المضمون احاديث كثيرة وقد وردت رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

«من أحبنا فليعمل بعملنا، وليستعن بالورع فانه أفضل ما يستعان به في أمر الدنيا والاخرة، ولا تجالسوا لنا عائبا ولا تمتدحوا بنا عند عدونا معلنين باظهار حبنا، فتذللوا أنفسكم عند سلطانكم الزموا الصدق فانه منجاة، وارغبوا فيما عند الله عزوجل، واطلبوا طاعته واصبروا عليها، فما أقبح بالمؤمن أن يدخل الجنة وهو مهتوك الستر، لاتعنونا في الطلب والشفاعة لكم يوم القيامة فيما قدمتم، لا تفضحوا أنفسكم عند عدوكم في القيامة ولا تكذبوا أنفسكم عندهم في منزلتكم عند الله بالحقير من الدنيا تمسكوا بما أمركم الله به، فما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى ما يحب إلا أن يحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وما عند الله خير وأبقى، وتأتيه البشارة من الله عزوجل فتقر عينه ويحب لقاء الله»^٢.

١- الكافي: ٧٤/٢، باب الطاعة والتقوى، حديث ٣؛ أمالي الصدوق: ٦٢٥، المجلس الحادي والتسعون، حديث ٣؛ روضة الواعظين: ٢٩٤/٢.

٢- الخصال: ٦١٤/٢، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ١٧٤/٦٨، ٦٤، حديث ٨.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا
ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتبع آثارنا وعمل
بأعمالنا، اولئك شيعتنا»^١.

فكل من لديه أمل في شيء عليه ان يسعى لتحصيله وكل من يخاف من
شيء عليه ان يفر منه.

ولأجل ان ندرك حقيقة الأمل الصحيح من غيره، علينا ان نرى في وضعية
الفلاح فعندما يمتلك الفلاح املاً في الحصول على محصول زراعي فإنه يهيء
الأرض ويحراثها ثم يبذر البذور فيها وينتظر نتيجة ذلك العمل، هذا الأمل في
حد ذاته منطقي وصحيح وفي غير هذا فإن الأمل يكون من السفاهة والبلهه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنما شيعة جعفر من عف بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل
لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه، فاذا رأيت اولئك فأولئك
شيعة جعفر»^٢.

العالم من السعادة والفرح، وليس من أثر الظلم وتحمل المحن.
فعالهم لا يؤلم السعادة، وما هو إلا من أثر اثر الهم هذا.
لا تكن سيء الطباع عند بابي، فأنت عند بابي كن كما أنت.

١- بحار الانوار: ١٦٤/٦٥، باب ١٩، حديث ١٣؛ مشكاة الأنوار: ٧٠.

٢- الكافي: ٢٣٣/٢، باب المؤمن وعلاماته، حديث ٩؛ الخصال: ٢٩٥/١، حديث ٦٣؛ وسائل الشيعة:

٢٥١/١٥، باب ٢٢، حديث ٢٠٤٢٥.

ولا تكن في حساب العالم صعباً، فالكل صعب من تصعيب الأمير.

وعش بسهولة، فإن زيد مات بسهولة ووضع^١.

وروي عن ابي محمد علي بن موسى عليه السلام انه قال:

«لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة ولو امتحتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ولو تمحصتهم لما خلص من الالف واحد ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلا ما كان لي إنهم طال ما اتكوا على الاراتك، فقالوا: نحن شيعة علي، إنما شيعة علي من صدق قوله فعله»^٢.

وروي ايضاً عن ابي محمد الإمام الحسن العسكري عليه السلام انه قال:

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله فلان ينظر إلى حرم جاره فان أمكنه واقعة حرام لم يرع عنه، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: اتتوني به فقال رجل آخر: يا رسول الله إنه من شيعتكم ممن يعتقد موالاتك وموالة علي ويبرأ من أعدائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقل إنه من شيعتنا فانه كذب، إن شيعتنا من شيعنا وتبعنا في أعمالنا، وليس هذا الذي ذكرته في هذا الرجل من أعمالنا»^٣.

ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في حديث له؛ ما معناه:

١- «نظامي».

٢- الكافي: ٢٢٨/٨، حديث ياجوج ومأجوج، حديث ٢٩٠؛ مجموعة ورام: ١٥٢/٢.

٣- تفسير الامام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٠٧، حديث ١٥٠؛ بحار الانوار: ١٥٤/٦٥، باب ١٩،

«شفاعتي يوم القيامة حقيقة، لا تنال من لا يؤمن بها»^١.

فعلبك الانتباه إلى كلام الله سبحانه وتعالى وحججه الواضحة وان لا تتخذع بخدع النفس والشيطان وان تغنم الفرصة وان تستيقظ مبكراً من نوم الغفلة، وان لا تجعل الذين تواليهم وتتمنى شفاعتهم اعدائك، وويلاً لمن كان شفاعته خصمائه؛ وفي أي يوم كيوم القيامة بسبب أكل مال الناس بالباطل والخيانة بالشرعية وحبس حقوق بيت المال. فما أعظم الحسرة والعقوبة لذلك المسكين والغافل الذي أفنى رأس ماله من العمر في مسائل الشقاوة والخسران إلى حد أن يأس من أمر الآخرة، فإنه أعطي هذا العمر لاجل كسب السعادة، وكان يستطيع في هذا العمر القصير والفرصة القليلة ان يصل إلى درجات الصالحين وان ينجو بنفسه من العذاب الأبدي، وما لم تطهر سيئاتك؛ واوساخ النفس؛ ونجاسات الباطل؛ التي هي أسوأ الف مرة من نجاسات الظاهر؛ بماء التوبة ودموع الندم فإنك لا تستطيع ان تكون جليساً للظاهرين والصالحين أو أهلاً للنعيم كما قال الإمام الباقر عليه السلام:

«الذنوب كلها شديدة و أشدها ما نبت عليه اللحم والدم، لانه

إما مرحوم وإمامعذب والجنة لا يدخلها إلا طيب»^٢.

نصائح من التوراة:

مذكور في سورة من سور التوراة الحقيقي: أيها الناس إلى متى تتهاونون في أمر التوبة وإلى متى تأخرون قضاء ما فاتكم يوم بعد يوم فهل لديكم أمان من

١- كثر العمال: ١٤/١٧١.

٢- الكافي: ٢/٢٧٠، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٢١٧/٧٠، باب ١٣٧.

الموت؟ أو براءة من نار جهنم؟ أو صك بدخول الجنة؟

فقد أغفلتكم النعمة عن ذكر الله، وطول الأمل.

يا عبادي لم أخلق الدنيا إلا لأجل يوم قضيتموه في بذر عمل صالح، فعملتم ما لا أريد و أضعتم كتابي وتمسكتم بالدنيا، زينتم بيوتكم وآنستم بها؛ بيد أن بيوتي وهي المساجد تركتموها موحشة.

فلا نستطيع ان نطلق عليكم لفظ العبد والعبد لله انما انتم احرار، نعم احرار لستم بعبيد فالسماة استقامت دون عمد في الفضاء بذكر اسم من اسمائه وكأن قلوبكم بألف موعظة من مواعظكم التي وعظتكم بها في كتابي لم تستقم؛ فمثل قلوبكم كمثل الحجارة لا يؤثر فيها شيء.

يا ابن آدم تدارك الأمر وتحضر للموت قبل ان تُدرك. فياني لو كنت قد جعلت الدنيا ذا قيمة، لوضعتها في تصرف الأنبياء ولكني لم أفعل، وحقاً أن بعض من عبادي عندما يتوفاهم الموت يندمون في تلك اللحظة ويطلبون الرجوع إلى الدنيا لتدارك العمل الصالح ولكنه يقال لهم أيها الحمقاء انكم تأتون من مكان تأملون الرجوع إليه.

يا ابن آدم اخرج حبّ الدنيا من قلبك فإن محبتي ومحبة الدنيا كالنار والماء لا يجتمعان ولا تحرص على جمع المال والرزق لانهما مقسومان لك ولا احد يستطيع ان يأكل رزق الآخر.

يا ابن آدم لا تتكلم بشيء ولا تنظر إلى شيء ولا ترفع خطوة من مشي إلى شيء إلا وكان الملكين معك يكتبون سيئاتك وحسناتك، فلا تغرنك عافيتك وسلامتك القصيرة الامد، لان العمر محدود جداً وقصير وعدد انفاسك محسوبة ايضاً.

نصيحة رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري:

«يا أصحاب العقل والنهى اتقوا الله واخشوا منه وابعثوا ما تحتاجون إليه وما تحبونونه إلى ذلك العالم امامكم فإن رسول الله ﷺ قال لابي ذر:

يا أبا ذر اعبد الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فانه يراك، واعلم أن أول عبادة الله المعرفة به، فهو الاول قبل كل شئ فلا شئ قبله، والفرد فلا ثاني له، والباقي لا إلى غاية، فاطر السماوات والارض وما فيهما وما بينهما من شئ وهو الله اللطيف الخبير وهو على كل شئ قدير، ثم الايمان بي والاقرار بأن الله تعالى أرسلني إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه، وسراجا منيرا، ثم حب أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. واعلم يا أبا ذر أن الله عزوجل جعل أهل بيتي في امتي كسفينة نوح من ركبها نجي ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله كان آمنا. يا أبا ذر احفظ ما اوصيك به تكن سعيدا في الدنيا والآخرة. يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ. يا أبا ذر اغتتم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك. يا أبا ذر إياك والتسوية بأملك فانك بيومك، ولست بما بعده فان يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم. يا أبا ذر كم من مستقبل يوما لا يستكملها، ومتنظر غدا لا يبلغه. يا أبا ذر لو نظرت إلى الاجل ومصيره لا بغضت الامله وغروره. يا أبا ذر كن كأنك في الدنيا غريب، أو كعابر سبيل، وعد نفسك من أصحاب القبور. يا أبا ذر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح،

وخذ من صحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك فانك لا تدري ما اسمك غدا.
 يا أبا ذر إياك أن تدركك الصرعة عند العثرة، فلا تقال العثرة ولا تمكن من
 الرجعة، ولا يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما
 اشتغلت به. يا أبا ذر كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك. يا أبا ذر
 هل ينتظر أحد إلا غنى مطغيا، أو فقرا منسيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا (٢)
 أو موتا مجهزا، أو الدجال فانه شر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر. يا
 أبا ذر إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه، ومن طلب علما
 ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنة. يا أبا ذر من ابتغى العلم ليخدع
 به الناس لم يجد ريح الجنة. يا أبا ذر إذا سئلت عن علم لا تعلمه فقل: لا أعلمه
 تنج من تبعته، ولا تفت بما لا علم لك به تنج من عذاب الله يوم القيامة. يا أبا ذر
 يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وقد
 دخلنا الجنة لفضل تأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله. يا
 أبا ذر إن حقوق الله جل ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد وإن نعم الله أكثر من
 أن يحصيها العباد، ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين. يا أبا ذر إنكم في ممر الليل
 والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتي بغتة، ومن يزرع خيرا
 يوشك أن يحصد خيرا، ومن يزرع شرا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل
 ما زرع. يا أبا ذر لا يسبق بطئ بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، ومن
 أعطى خيرا فان الله أعطاه، ومن وقى شرا فان الله وقاه. يا أبا ذر المتقون سادة،
 والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة، إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف
 أن تقع عليه، وإن الكافر ليرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه. يا أبا ذر إن الله تبارك

وتعالى إذا أراد بعبد خيرا جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة والاثم عليه ثقيلًا وبيلًا وإذا أراد بعبد شرا أنساه ذنوبه. يا أبا ذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت. يا أبا ذر إن نفس المؤمن أشد ارتكاضًا من الخطيئة من العصفور حين يقذف به في شركه يا أبا ذر من وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه. يا أبا ذر إن الرجل ليحرم رزقه بالذنب يصيبه. يا أبا ذر دع مالست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعينك، واخزن لسانك كما تخزن ورقك. يا أبا ذر إن الله جل ثناؤه ليدخل قوما الجنة فيعطيهم حتى يملوا، وفوقهم قوم في الدرجات العلى فإذا نظروا إليهم عرفوهم فيقولون: ربنا إخواننا كنا معهم في الدنيا فبم فضلهم علينا؟ فيقال: هيهات هيهات إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمأون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تحفظون. يا أبا ذر جعل الله جل ثناؤه قرّة عيني في الصلاة وحبب إلي الصلاة كما حبب إلي الجائع الطعام وإلى الظمآن الماء، وإن الجائع إذا أكل شبع وإن الظمآن إذا شرب روى، وأنا لا أشبع من الصلاة. يا أبا ذر أيما رجل تطوع في يوم وليلة اثنتي عشر ركعة سوى المكتوبة كان له حقا واجبا بيت في الجنة. يا أبا ذر مادمت في الصلاة فانك تفرح باب الملك الجبار، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له. يا أبا ذر ما من مؤمن يقوم مصليا إلا تناثر عليه البر ما بينه وبين العرش ووكل به ملك ينادي يا ابن آدم لو تعلم مالك في الصلاة ومن تناجي ما انفتحت يا أبا ذر طوبى لأصحاب الألوية يوم القيامة يحملونها فيسبقون الناس إلى الجنة ألا وهم السابقون إلى المساجد بالاسحار وغير الاسحار. يا أبا ذر الصلاة عماد الدين واللسان أكبر والصدقة تمحو الخطيئة واللسان أكبر، والصوم جنة من النار

واللسان أكبر، والجهد نباهة واللسان أكبر. يا أبا ذر الدرجة في الجنة كما بين السماء والارض وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك، فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك، فيقول: أخي فلان كنا نعمل جميعا في الدنيا وقد فضل علي هكذا؟ فيقال له: إنه كان أفضل منك عملا، ثم يجعل في قلبه الرضي حتى يرضى. يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وما أصبح فيها مؤمن إلا حزينا فكيف لا يحزن المؤمن وقد أوعد الله جل ثناؤه أنه وارد جهنم ولم يعده أنه صادر عنها وليلقين أمراضا ومصيبات وأمورا تغيظه وليظلمن فلا ينتصر يتبغي ثوابا من الله تعالى فما يزال فيها حزينا حتى يفارقها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة.

يا أبا ذر ما عبد الله عزوجل على مثل طول الحزن. يا أبا ذر من اوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق أن يكون قد اوتي علم ما لا ينفعه لان الله نعت العلماء فقال جل وعز: إن الذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا". يا أبا ذر من استطاع أن يبكي فليك، ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن ولتباك، إن القلب القاسي بعيد من الله تعالى ولكن لا تشعرون. يا أبا ذر يقول الله تبارك وتعالى: لا أجمع على عبد خوفين ولا أجمع له أمين فإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا آمنتته يوم القيامة. يا أبا ذر إن العبد ليعرض عليه ذنوبه يوم القيامة [فيمن ذنب ذنوبه] فيقول: أما إنني كنت مشفقا، فيغفر له. يا أبا ذر إن الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها ويعمل المحقرات حتى يأتي الله وهو عليه غضبان وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها فيأتي الله

عزوجل آمنا يوم القيامة. يا أبا ذر إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقلت: وكيف ذلك بأبي أنت وامي يا رسول الله؟ قال: يكون ذلك الذنب نصب عينيه تائباً منه، فإرا إلى الله عزوجل حتى يدخل الجنة. يا أبا ذر الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه وهوها وتمنى على الله عزوجل الاماني. يا أبا ذر إن أول شئ يرفع من هذه الامة الامانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعاً. يا أبا ذر والذي نفس محمد بيده لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة من ماء. يا أبا ذر الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا من ابتغى به وجه الله، وما من شئ أبغض إلى الله تعالى من الدنيا، خلقها ثم عرضها فلم ينظر إليها ولا ينظر إليها حتى تقوم الساعة، وما من شئ أحب إلى الله تعالى من الايمان به وترك ما أمر بتركه. يا أبا ذر إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى أخي عيسى عليه السلام: يا عيسى لا تحب الدنيا فاني لست احبها وأحب الآخرة فانما هي دار المعاد. يا أبا ذر إن جبرئيل أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء فقال لي: يا محمد هذه خزائن الدنيا ولا ينقصك من حظك عند ربك فقلت: يا حبيبي جبرئيل لا حاجة لي فيها، إذا شبت شكرت ربي وإذا جعت سألته. يا أبا ذر إذا أراد الله عزوجل بعبد خيراً فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعيوب نفسه. يا أبا ذر ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه ويبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام: يا أبا ذر إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقي الحكمة فقلت: يا رسول الله من أزهّد الناس؟ قال: من لم ينس المقابر والبلى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غداً من أيامه، وعد

نفسه في الموتى. يا أبا ذر إن الله تبارك وتعالى لم يوح إلي أن أجمع المال ولكن أوحى إلي أن «سبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين». يا أبا ذر إنني ألبس الغليظ، وأجلس على الأرض، وألحق أصابعي، وأركب الحمار بغير سرج، وأردف خلفي، فمن رغب عن سنتي فليس مني. يا أبا ذر حب المال والشرف أذهب لدين الرجل من ذئبين ضاربين في زرب الغنم فأغارا فيها حتى أصبحتا فماذا أبقيا منها. قال: قلت: يا رسول الله الخائفون الخائضون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا أهم يسبقون الناس إلى الجنة؟ فقال: لا ولكن فقراء المسلمين فانهم يتخطون رقاب الناس فيقول لهم خزنة الجنة كما أنتم حتى تحاسبوا فيقولون بم نحاسب فوالله ما ملكنا فنجد ونعدل، ولا أفيض علينا فنقبض ونبسط ولكننا عبدنا ربنا حتى دعانا فأجينا. يا أبا ذر إن الدنيا مشغلة للقلوب والابدان وإن الله تبارك وتعالى سائلنا عما نعمنا في حلاله فكيف بما نعمنا في حرامه. يا أبا ذر إنني قد دعوت الله جل ثناؤه أن يجعل رزق من يحبني الكفاف وأن يعطي من يبغضني كثرة المال والولد. يا أبا ذر طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، الذين اتخذوا أرض الله بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، واتخذوا كتاب الله شعارا ودعاء دثارا يقرضون الدنيا قرضا. يا أبا ذر حرث الآخرة العمل الصالح، وحرث الدنيا المال والبنون. يا أبا ذر إن ربي أخبرني فقال: وعزتي وجلالي ما أدرك العابدون درك البكاء وإنني لابني لهم في الرفيق الأعلى قصرا لا يشاركهم فيه أحد. قال: قلت: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس قال: أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا. يا أبا ذر إذا دخل النور القلب انفسح القلب واستوسع، قلت: فما علامة ذلك بأبي أنت وامي يا رسول الله؟ قال:

الانابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله. يا
أبا ذر اتق الله ولا تري الناس أنك تخشى الله فيكرموك وقبلك فاجر.

يا أبا ذر ليكن لك في كل شئ نية حتى في النوم والاكل. يا أبا ذر ليعظم
جلال الله في صدرك فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب اللهم اخزه
وعند الخنزير اللهم اخزه. يا أبا ذر إن لله ملائكة قياما من خيفته، ما رفعوا
رؤوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة فيقولون جميعا: سبحانك وبحمدك
ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد. يا أبا ذر ولو كان لرجل عمل سبعين نبيا
لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ ولو أن دلوا صبت من غسلين في مطلع
الشمس لغلت منه جماجم من مغربها ولو زفرت جهنم زفرة لم يبق ملك مقرب
ولا نبي مرسل إلا خر جاثيا على ركبتيه يقول: رب نفسي نفسي حتى ينسى
إبراهيم إسحاق عليه السلام يقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم فلا تنسي. يا أبا ذر لو أن
امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت من سماء الدنيا في ليلة ظلماء لاضاءت لها
الارض أفضل مما يضيئها القمر ليلة البدر ولوجد ريح نشرها جميع أهل الارض
ولو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما
حملته أبصارهم. يا أبا ذر اخفض صوتك عند الجنائز، وعند القتال، وعند
القرآن. يا أبا ذر إذا تبعت جنازة فليكن عقلك فيها مشغولا بالتفكير والخشوع
واعلم أنك لاحق به. يا أبا ذر اعلم أن كل شئ إذا فسد فالملح دواؤه فإذا فسد
الملح فليس له دواء. واعلم أن فيكم خلقين: الضحك من غير عجب والكسل من
غير سهو. يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه. يا
أبا ذر الحق ثقيل مر والباطل خفيف حلو، ورب شهوة ساعة تورث حزنا طويلا.

يا أبا ذر لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله تبارك و تعالى أمثال الابعار ثم يرجع إلى نفسه، فيكون هو أحقر حاقر لها. يا أبا ذر لا تصيب حقيقة الايمان حتى ترى الناس كلهم حمقاء في دينهم عقلاء في دنياهم. يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فهو أهون لحسابك غدا، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهز للعرض الاكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية. يا أبا ذر استحي من الله فاني والذي نفسي بيده لا ظل حين أذهب إلى الغائط متقنعا بثوبي استحي من الملكين اللذين معي. يا أبا ذر اتحب أن تدخل الجنة ؟ قلت: نعم فذاك أبي، قال: فاقصر من الامل واجعل الموت نصب عينيك واستح من الله حق الحياء، قال: قلت: يا رسول الله كلنا نستحي من الله ؟ قال: ليس ذلك الحياء ولكن الحياء من الله أن لا تنسى المقابر والبلى والجوف وما وعى والرأس ومن حوى، ومن أراد كرامة الاخرة فليدع زينة الدنيا فإذا كنت كذلك أصبت ولاية الله. يا أبا ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح. يا أبا ذر مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر. يا أبا ذر إن الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته والدور حوله مادام فيهم. يا أبا ذر إن ربك عزوجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل في أرض قفر فيؤذن ثم يقيم ثم يصلي فيقول ربك للملائكة انظروا إلى عبدي يصلي ولا يراه غيري، فينزل سبعين ألف ملك يصلون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم. ورجل قام من الليل فصلى وحده فسجد ونام وهو ساجد فيقول الله تعالى انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد. ورجل في زحف فر أصحابه وثبت هو ويقاقل حتى يقتل. يا أبا ذر ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الارض إلا شهدت له بها يوم

القيامه وما من منزل ينزله قوم إلا وأصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم. يا أبا ذر ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الارض تنادي بعضها بعضا يا جار هل مر بك ذاكر لله تعالى أو عبد وضع جبهته عليك ساجدا لله؟ فمن قائلة لا ومن قائلة نعم، فإذا قالت نعم اهتزت وانشرحت وترى أن لها الفضل على جارتها. يا أبا ذر إن الله جل ثناؤه لما خلق الارض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة، فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تتكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة قولهم " اتخذ الله ولدا " فلما قالوها اقسعت الارض وذهبت منفعة الاشجار. يا أبا ذر إن الارض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحا. يا أبا ذر إذا كان العبد في أرض قي [يعني قفرا] فتوضأ أو تيمم ثم أذن وأقام وصلى أمر الله عزوجل الملائكة فصفوا خلفه صفا لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه. يا أبا ذر من أقام ولم يؤذن لم يصل معه إلا ملكاه اللذان معه. يا أبا ذر ما من شاب يدع الله الدنيا ولهوها وأهرم شبابه في طاعة الله إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقا. يا أبا ذر الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارين. يا أبا ذر المجلس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من مجلس السوء وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر. يا أبا ذر لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي ولا تأكل طعام

الفاسقين. يا أبا ذر أطعم طعامك من تحبه في الله، وكل طعام من يحبك في الله عزوجل. يا أبا ذر إن الله عزوجل عند لسان كل قائل فليثق الله أمره وليعلم ما يقول. يا أبا ذر اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أبا

ذر كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع. يا أبا ذر ما من شيء أحق بطول السجن، من اللسان. يا أبا ذر إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم وإكرام حملة القرآن العاملين، وإكرام السلطان المقسط. يا أبا ذر ما عمل من لم يحفظ لسانه. يا أبا ذر لا تكن عيايا ولا مداحا ولا طعانا ولا مماريا. يا أبا ذر لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما ساء خلقه. يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة. يا أبا ذر من أجاب داعي الله وأحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من الله الجنة فقلت: بأبي أنت وامي يا رسول الله كيف تعمر مساجد الله؟ قال: لا ترفع فيها الاصوات ولا يخاض فيها بالباطل، ولا يشتر فيها ولا يباع واترك اللغو ما دمت فيها فان لم تفعل فلا تلومن يوم القيامة إلا نفسك. يا أبا ذر إن الله تعالى يعطيك مادمت جالسا في المسجد بكل نفس تنفست درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة وتكتب لك بكل نفس تنفست فيه عشر حسنات وتمحى عنك عشر سيئات. يا أبا ذر أتعلم في أي شيء أنزلت هذه الآية " اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون " قلت: لا [أدري] فذاك أبي وامي، قال: في انتظار الصلاة خلف الصلاة.

يا أبا ذر إسباغ الوضوء في المكاره من الكفارات، وكثرة الاختلاف إلى المساجد فذلکم الرباط. يا أبا ذر يقول الله تبارك وتعالى: إن أحب العباد إلي المتحابون من أجلي المتعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالاسحار، اولئك إذا أردت بأهل الارض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم. يا أبا ذر كل جلوس في المسجد لغو إلا ثلاثة قراءة مصلى أو ذكر الله أو سائل عن علم. يا أبا ذر كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماما منك بالعمل فانه لا يقل عمل بالتقوى وكيف

يقبل عمل يتقبل، يقول الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه، أمن حل ذلك أم من حرام. يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عزوجل من أين أدخله النار. يا أبا ذر من سره أن يكون أكرم الناس فليثق الله عزوجل. يا أبا ذر إن أحبكم إلى الله جل ثناؤه أكثركم ذكرا له، وأكرمكم عند الله عزوجل أتقيكم له وأنجاكم من عذاب الله أشدكم له خوفا. يا أبا ذر إن المتقين الذين يتقون [الله عزوجل] من الشيء الذي لا يتقى منه خوفا من الدخول في الشبهة. يا أبا ذر من أطاع الله عزوجل فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن. يا أبا ذر أصل الدين الورع ورأسه الطاعة. يا أبا ذر كن ورعا تكن أعبد الناس، وخير دينكم الورع.

يا أبا ذر فضل العلم خير من فضل العبادة، واعلم أنكم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالآوتار ما ينفعكم ذلك إلا بورع. يا أبا ذر إن أهل الورع والزهد في الدنيا هم أولياء الله حقا. يا أبا ذر من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر، قلت: وما الثلاث فذاك أبي وامي؟ قال: ورع يحجزه عما حرم الله عزوجل عليه، وحلم يرد به جهل السفيه، وخلق يداري به الناس. يا أبا ذر إن سرك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإن سرك أن تكون أكرم الناس فاتق الله، وإن سرك أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله عزوجل أوثق منك بما في يديك. يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن

الله بالغ أمره». يا أبا ذر يقول الله جل ثناؤه: وعزتي وجلالي لا يؤثر عبدي هواي على هواه إلا جعلت غناه في نفسه وهمومه في آخرته وضمنت السماوات والأرض رزقه وكففت عليه ضيعته وكنت له من وراء تجارة كل تاجر. يا أبا ذر لو أن ابن آدم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت. يا أبا ذر ألا اعلمك كلمات ينفعك الله عزوجل بهن؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله عزوجل، وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فلو أن الخلق كلهم جهدوا أن ينفعوك بشئ لم يكتب لك ما قدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بشئ لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه، فان استطعت أن تعمل لله عزوجل بالرضى في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وإن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا. يا أبا ذر استغن بغنى الله يغنيك الله، فقلت: وما هو يا رسول الله؟ قال، غداة يوم وعشاء ليلة فمن قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس. يا أبا ذر إن الله عزوجل يقول: إني لست بكلام الحكيم أتقبل ولكن همه وهواه، فان كان همه وهواه فيما أحب وأرضى جعلت صمته حمدا لي وذكرًا [ووقارا] وإن لم يتكلم. يا أبا ذر إن الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. يا أبا ذر التقوى ههنا، التقوى ههنا - وأشار إلى صدره - يا أبا ذر أربع لا يصيبهن إلا مؤمن: الصمت وهو أول العبادة، والتواضع لله سبحانه، وذكر الله تعالى على كل حال، وقلة الشئ يعني قلة المال. يا أبا ذر هم بالحسنة وإن لم تعملها لكيلا تكتب من

الغافلين. يا أبا ذر من ملك ما بين فخذيه وبين لحييه دخل الجنة، قلت يا رسول الله إنا لنؤخذ بما ينطق به ألسنتنا، قال: يا باذر وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم، إنك لا تزال سالما ما سكت فإذا تكلمت كتب لك أو عليك. يا أبا ذر إن الرجل يتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوى في جهنم ما بين السماء والارض. يا أبا ذر ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له [ويل له]. يا أبا ذر من صمت نجا فعليك بالصدق ولا تخرجن من فيك كذبة أبدا، قلت يا رسول الله فما توبة الرجل الذي يكذب متعمدا ؟ فقال: الاستغفار وصلوات الخمس تغسل ذلك. يا أبا ذر إياك والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا، قلت: يا رسول الله ولم ذاك بأبي أنت وامي ؟ قال: لان الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها. يا أبا ذر سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمة من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، قلت: يا رسول الله وما الغيبة ؟ قال: ذكرت أخاك بما يكره، قلت يا رسول الله فان كان فيه ذاك الذي يذكر به ؟ قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبه وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته. يا أبا ذر من ذب عن أخيه المسلم الغيبة كان حقا على الله عزوجل أن يعتقه من النار. يا أبا ذر من اغتیب عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله عزوجل في الدنيا والآخرة، فان خذله وهو يستطيع نصره خذله الله في الدنيا والآخرة. يا أبا ذر لا يدخل الجنة قتات، قلت: وما القتات ؟ قال: النوم. يا أبا ذر صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله عزوجل في الآخرة. يا أبا ذر من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا فهو ذولسانين في النار. يا أبا ذر المجالس بالامانة وإفشاء سر أخيك

خيانة فاجتنب ذلك واجتنب مجلس العشيرة. يا أبا ذر تعرض أعمال أهل الدنيا على الله من الجمعة إلى الجمعة في يومين الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا كان بينه وبين أخيه شحنا فقال: اتركوا عمل هذين حتى يصطلحا. يا أبا ذر إياك وهجران أخيك فان العمل لا يتقبل من الهجران.

يا أبا ذر أنهاك عن الهجران وإن كنت لا بد فاعلا فلا تهجره فوق ثلاثة أيام [كملا] فمن مات فيها مهاجرا لآخيه كانت النار أولى به. يا أبا ذر من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار. يا أبا ذر من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر لم يجد رائحة الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك، فقال: يا رسول الله إني ليعجبني الجمال حتى وددت أن علاقة سوطي وقبال نعلي حسن فهل يرهب على ذلك؟ قال: كيف تجد قلبك؟ قال: أجده عارفا للحق مطمئنا إليه، قال: ليس ذلك بالكبر ولكن الكبر أن تترك الحق وتتجاوزه إلى غيره وتنظر إلى الناس ولا ترى أن أحدا عرضه كعرضك ولا دمه كدمك. يا أبا ذر أكثر من يدخل النار المستكبرون فقال رجل: وهل ينجو من الكبر أحد يا رسول الله؟ قال: نعم من لبس الصوف وركب الحمار وحلب العنز وجالس المساكين. يا أبا ذر من حمل بضاعته فقد برئ من الكبر، يعني ما يشتري من السوق. يا أبا ذر من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله عزوجل إليه يوم القيامة. يا أبا ذر أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقه ولا جناح عليه فيما بينه وبين كعبه. يا أبا ذر من رفع ذيله وخصف نعله وعفر وجهه فقد برئ من الكبر. يا أبا ذر من كان له قميصان فليلبس أحدهما وليلبس الآخر أخاه. يا أبا ذر سيكون ناس من امتي يولدون في النعيم ويغدون به، همتهم ألوان الطعام والشراب ويمدحون بالقول أولئك شرار امتي. يا أبا ذر

من ترك لبس الجمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله عزوجل فقد كساه حلة الكرامة. يا أبا ذر طوبى لمن تواضع لله تعالى في غير منقصة وأذل نفسه في غير مسكنة وأنفق ما لا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن صلحت سريرته وحسنت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله. يا أبا ذر البس الخشن من اللباس والصفيق من الثياب لثلا يجد الفخر فيك مسلوكاً. يا أبا ذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم أولئك تلعنهم ملائكة السماوات والأرض. يا أبا ذر ألا أخبرك بأهل الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله؟ قال: كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره»^١.

عزيزي تعال وارحم نفسك واغتمم انفاسك ورقة قلبك وبادر أمور آخرتك بالتوبة والإنابة واجتنب جميع المعاصي التي بدون تركها يكون النجاة محالاً، وأدِّ جميع ما عليك من حقوق الله وحقوق الناس واعزم على أن تقضي بقية عمرك في جلب رضى الله سبحانه وتعالى وتجنب معاصيه واعلم يقيناً أنك هكذا سوف تكون سعيداً ومحبوباً لدى الله سبحانه وتعالى بينما كنت تستطيع ان تكون اشقى الناس.

احذر وراقب ان لا تتأخر في تغيير نفسك نحو الأفضل وان لا توكل الإنابة والتوبة إلى غد فمن يدري ان تعيش إلى الغد وتملك الفرصة لذلك، فقد يدركك الأجل القهار فجأة ويضعك في قبرك وعندما تستيقظ من نوم الغفلة

١- أمالي الشيخ الطوسي: ٥٣١، حديث ١١٦٢؛ بحار الأنوار: ٨٢/٧٤؛ باب ٤، حديث ٣.

وتستيقظ من سكرك تكون عند ذلك قد غلبت عليك سكرات الموت والفرع العظيم وتظهر عليك علائم الجزع الاليم لما ترى وتعاين من آثار الشقاوة لمن ترك التكاليف؛ وأنت مضطرب البال من الغفلة وحيران من هول المطلاع ووحشة آلاف العقوبات التي تأتي تباعاً، فأصدقائك قد لبسوا لباس الحزن واطفالك قد اهلوا تراب اليتيم على رأسهم وفي ذلك الوقت كلهم يفكرون في التخلص من جيفة بدنك بوضعها في القبر.

نعم اعزائي فكما قال رسول الإسلام الكريم ﷺ حول الإنسان:

«كفى بالموت واعظاً».

وقد قال بعد هذه الجملة رسول الله ﷺ: العقل لدلائك على الخير كافٍ، والتقوى بعنوان الزاد والعبادة بعنوان العمل والله سبحانه وتعالى بعنوان مؤنس والقرآن بعنوان ميين الحقائق لك.

فعندما تترين بهذه الحقائق وتتصف عند ذلك تكون عبداً حقيقياً لله سبحانه وتعالى وعند ذلك تكون قد سرت على صراط المستقيم وعاقبة امرك رضى الله سبحانه وتعالى والدخول إلى الجنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ
الْبَرِيَّةِ * جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
ذَٰلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾!

يقول سعدي في شرح احوال العاشقين لله سبحانه وتعالى:
عجب لهؤلاء الذين يسلكون الطريق، أنهم غارقين في بحر المعنى.
يسكرون من أنين العشق، ولا يذكرهم الكونين.
من أجل الوصول إلى المحبوب الروح منفعة، ومنشغلين بذكر الحبيب.
وهربوا من الخلق بذكر الحق، مثلما يسكر الساقى عندما يسكب الشراب.
وربما لا يتداوون بالدواء، لأن ليس هنالك من يعرف دائهم.
مجموعة يعملون ويعيشون حالة العزلة، يمشون بأقدام ترابية ومشتعلة.
وفي السحر يكون حتى أن دموعهم، تصبح مياه لكحل النوم.

«وقال رسول الله ﷺ: لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة، وما نجا إلا بصدق الالتجاء»

البلاء هو نتيجة الاتصال بالدنيا:

إن الذي حرم نفسه من نور الهداية وابتعد نفسه عن اولياء الله سبحانه وتعالى، ولا يعرف شيئاً من هوية الحياة سوى البطن والشهوة، وعيونه كلها إلى الدنيا، ومتمسك بها بيديه الاثنتين، عليه ان يعلم في نهاية عمله ان الاتصال بالدنيا، لا تورث ولا تبقي له سوى البلاء والفتنة والحسرة والعذاب، وإن النجاة من تلك البلايا والفتن التي يأتي بعدها العذاب، انما يكون للانسان الصادق ومن أخلص نيته والتجأ عملياً إلى حضرة المولى سبحانه وتعالى للتخلص من جميع الشرور ووساوس شياطين الباطن والظاهر.

الدنيا، منزل لها بابان، يدخل الإنسان من احدهما، وسرعان ما يخرج من الآخر، ومن البخس حقاً ان يبيع الإنسان النعيم الدائم والمقيم في الجنة الخالدة لأجل شهوتي البطن والفرج.

تنظيم أبجد الحروف مع قاموس الحق:

كما قال خبير بارع، يجب تنظيم حروف أبجد الحياة مع قاموس الحق

سبحانه وتعالى السامي، لان العباد الحقيقيين انما هم اولئك الذين:

أ- ﴿وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^١، يذكرونها دائماً.

ب- ينتفعون ويأخذون نصيبهم من ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^٢، وهم ورعين ومتقين.

ت- هم سكن لآلام الفقراء.

ث- يؤمنون بأن ثمرة الحياة هي العمل الصالح.

ج- جوابهم للجهال بكل اطمئنان وسلامة نفس هي:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾^٣.

ح- يحكمون بالحق والعدل.

خ- يبدلون الارض ذات الشوكة، إلى بستان.

د- يعطون الدواء والغذاء إلى المرضى والمحتاجين.

ذ- يهيئون لهم ذخراً من الدين والعلم.

ر- يرون الفلاح في الصدق.

ز- يرشدون المجتمع إلى الخير والصلاح بألسنتهم، وهم متقون.

١- القصص ٢٨: ٧٧.

٢- الاسراء ١٧: ٧٠.

٣- الفرقان ٢٥: ٦٣.

- س - اسخياء النفس وكرماء الطبع.
- ش - هم كالشموع ينبرون الطريق لخلق الله.
- ص - صادقي الوعد واوفياء بعهودهم.
- ض - لديهم ضمير طاهر وقلب مشع بالخير.
- ط - يطلبون الرزق من الطريق الحلال.
- ظ - يوسعون قابلياتهم لاستقبال الفيوضات الإلهية.
- ع - يعتبرون من الدنيا العجيبة.
- غ - يتأملون في عاقبة قراراتهم وفطنين في كل امر من أمورهم.
- ف - يربون اولادهم بطريقة صحيحة.
- ق - يقرءون القرآن بقلب طاهر ويعملون به.
- ك - كاظمين للغضب من اعمال الجاهل، ويسعون إلى مساعدة خلق الله في كل وقت وحين.
- ل - لطيفين في المقام والاداء في المقال.
- ن - غيورين على نوااميسهم.
- و - اثبتوا ولاية أهل بيت العصمة والطهارة في قلوبهم وأظهروها باعمالهم إلى العلن.
- هـ - همهم متوجهة لاسمى الغايات الإلهية والانسانية.
- ي - لديهم يقين بحصد ما زرعه في دار الدنيا يوم القيامة.

«وقال نوح عليه السلام: وجدت الدنيا كبيتٍ له بابان دخلت من أحدهما
وخرجت من الآخر هذا حال نبي الله فكيف من اطمأن وركن إليها وضيع
عمره في عمارتها ومزق دينه في طلبها»

الدنيا من وجهة نظر نوح:

روي عن حضرة شيخ الأنبياء نوح عليه السلام انه قال: الدنيا كبيت له بابان دخلت
من الأول وخرجت من الآخر.

فهذا حال من قالوا عنه انه عاش قرابة الفي عام ونيف، وعندما نرى وجهة
نظر هكذا بصير إلى الدنيا فما هو حال من عمره قليل جداً، وقد اخذت الدنيا من
قلبه ماخذاً إلى درجة انه لا يرى إلا الدنيا وان ليس هناك غير باب واحد للدنيا
غير باب الدخول ولا يوجد في هذا المنزل باب للخروج.

فعندما نرى حال رسول الله بعظمته وعلو شأنه رسول الله هكذا؟ يعني يرى
نفسه مسافراً وسفره هو الدخول من باب والخروج من الآخر فما هو حال ذلك
الإنسان الذي اطمئن باله إلى الدنيا وافنى عمره في تحصيلها عن طريق الحرام
واضاع دينه الذي هو في رأس جميع القيم والمهمات في طلب الدنيا.

فإذا استفدت من الدنيا لتحقيق الشوق والحرية والكمال وعمران الآخرة
فإنك في الحقيقة في الصراط المستقيم وأما إذا استعملت الدنيا من أجل البطن

وجمع المال فانك قد ابتليت بالخسارة الابدية.

الدنيا من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام:

يقول الإمام علي عليه السلام في توضيح وشرح ألد أمور الدنيا القصيرة الامد والفانية:

«إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح و مشموم، فأشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب، وأشرف المشروب الماء ويستوي فيه البر والفاجر، وأشرف الملبوس الحرير وهو نسج دودة، وأشرف المركوب الفرس و عليه تقتل الرجال، وأشرف المنكوح المرأة وهو مبال في مبال، وأشرف المشموم المسك وهو دم حيوان»^١.

فهذا هو نتيجة ظاهر الدنيا التي أكثر الناس من اجلها يقتلون انفسهم ومن الاجل الحصول عليها فانهم لا يتورعون عن أي معصية أو رذيلة اخلاقية ويتلوثون بآلاف المعاصي والذنوب.

وما احلى ما قال الشاعر هماي شيرازي

الدنيا وعملها أسطورة، وقلبي مثل الطفل لهذه الأسطورة.

لاتنظر الى ظاهر الاسطورة فالحكمة في اعماقها.

اخرج من هذا السجن أيها الطائر القدسي، واتخذ في في قمة طوبى

عشاً.

إذا أردت أن يساعدك سليمان، فحرّر قلبك من بيت الشيطان.

فأنت يا طائر العنقاء يا قلب، لماذا بقيت أسيراً للماء والحب.
وهذه الدنيا هي بيت العنكبوت، وليس من العدل أن يتخذ طائر العنقاء
عشاً فيها.

فأنت صقر سلطان الدنيا، لماذا انت مع الذئاب.
كل مكان هو بستان حب حيدر، فروحي لا يحويها عش.
أطلب آل حيدر في المحبة، فهم جنة عدن والحياة الخالدة.

«والفكرة مرآة الحسنات، وكفارة السيئات، وضيء القلب،
ونسحة للخلق، وإصابة في إصلاح المعاد وإطلاع على العواقب
واستزادة في العلم»

آثار التأمل والتفكير:

يقول الإمام الصادق عليه السلام التأمل والتفكير فيما يجب التفكير فيه مثل النظر
والتفكير إلى الدنيا وفنائها وفي خلق الدنيا واطلاعها والتفكير في المسائل الإلهية
السامية وخلق السموات والأرضين وما فيهما، في الحقيقة هي مرآة الحسنات
وكفارة للذنوب والسيئات ونور وضيء للقلب وحلال للمشكلات الروحية
وسبب لإصلاح المعاد والاطلاع على العواقب والاستزادة في علم الإنسان.

مرآة الحسنات وكفارة السيئات:

إن التفكير فيما مضى على العالم والناس من الصالح والطالح هو في الحقيقة
مرآة للحسنات فعندما يفكر الإنسان في حالة العالم الحقيقي فإنه يصل إلى هذه
الحقيقة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾!

فعندما يطر نور الفكر؛ البطالة والعبثية من بيت الوجود فإن الاستدلال على

صحة كل جزء من عالم الخلق سيثبت الاستدلال على صحة كل جزء من عالم الخلق في عالم التفكير العظيم.

فإن الإنسان المتفكر فإنه سوف لا يصرف شيئاً حتى ذرة من ذرات هذا العالم في طريق الباطل.

نعم فإن الإنسان المنصف عندما يصل إلى الحق فإن الحق يتصل به فهو من الحق إلى طريق الحق وللحق.

«علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار»^١.

وعندما يفكر الإنسان في أحوال الأمم وخصوصاً السابقة، فإنه عليه أن يتحلّى بحسنات المحسنين من الأمم، ويتجنب سيئات المفسدين منهم التي كانت سبباً لسقوطهم في الدنيا والآخرة.

في الحقيقة، إن التفكير في كل حقيقة، هو مرآة للحسنة أو الحسنات التي تجذب الإنسان للتزّين والعمل بها.

الفضيل بن عياض ومصالحته مع الله سبحانه وتعالى:

إن قصة تفكير الفضيل بن عياض في آية من القرآن هي مشهورة جداً، وكتب الرجال والعرفان قد ذكرت قصة هذا السارق المحترف الذي تأثر بآية من آيات سورة الحديد، فرجع إلى نفسه وانقلب كلياً وتاب إلى الله سبحانه وتعالى.

كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أيبورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارياً، وكان يبعث لها جزءاً مما يحصل عليه من الأموال، وتارة

١- الفصول المختارة: ٢١١؛ اعلام الوری: ١٥٩، باب ٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩٧/٢؛

بحار الأنوار: ٢٩/٣٨، باب ٥٧.

يذهب قريب بيتها لكي يصل إلى معشوقته ولكنه لم يصل إليها ولم يلمسها.
فقرر قراراً أكيداً أن يتزوجها، بينما أهل المرأة كانوا في خوف وقلق،
ولا يملكون حولاً ولا قوة لرفضه أو ردعه، فلم يكن منهم إلا التسليم لما أراد
ذلك الشيطان.

فمرّت قافلة بالليل من قرب منزل الفضيل بن عياض الذي كان في صحراء
مرو، وكان أحد الذين هم في القافلة يرتل القرآن بصوت شجي وحزين يقرأ
هذه الآية: ﴿لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾!

فكانت هذه الآية كالسهم قد نزلت على الفضيل بن عياض، فكأنما قالت هذه
الآية له: يا فضيل! إلى متى تقطع الطريق على عباد الله؟ فلربما جاء وقت وقطعنا
عليك الطريق. ففكر فضيل لحظة في الآية وفي عمله وفي عمل الناس وفي عاقبة
الأمر، ثم بعد صبحا من نوم غفلته، وخجل وبكى مما كان عليه، وذهب إلى
خربة، فكانت هنالك قافلة قد أناخت برحلهما، فقال مجموعة منهم: دعونا نذهب،
فقال الآخر: لعل فضيل موجود يقطع علينا الطريق.

فلما سمع فضيل ذلك، صرخ بأعلى صوته أنني أنا الفضيل بن عيَّاس وإنني قد
تبت إلى الله عز وجل ولا خوف عليكم بعد الآن.

وبعد أن تاب الفضيل بن عياض، كان صائماً دهره بعدها، واستطاع ان ان
يرى ذمته ونفسه من أموال الناس بالتدريج، فكانت عاقبته أن أصبح من
العارفين والعشاق لله سبحانه وتعالى ومن الناصحين لعباده.

تحترق البيوت في بعض الأحيان من الآه، وينهزم الجيش أحياناً من الصرخة.

إذا كان مقدراً لك سلك السلاطين، فإن السالك الذي لا يعلم قد يذهب طريقاً.

فقصه يوسف وقومه ما احلاها من موعظة، ووصلوا إلى عزيز قد وقع في بئر. تفضل علي بالنور، فإني كالشمع احترق، فمرة يكون الوجه الأبيض لمن كان اسوداً.

فوجودي يحترق يا كوكب العشق، فالنار تكثر، انظر الينا مرة. اليس عجباً ان يكون مؤنس المحبوب مثلي، يجلس فوق ورد كل نبات رديء.

فلدي أمل ان الين بكثرة بكائي، ويستفاد الغارق في الطوفان من حجر تارة^١.

التفكير في عاقبة الأمر:

نقرأ في كتاب «اسرار معراج» حديث مهماً جداً، ومحيراً للعقول: كان رجل ظاهره ذو صلاح؛ حيث لا يشك فيه احد شك السوء، في زمن رسول الاسلام العظيم ﷺ بالمدينة.

وكان كثير من الناس عندما يلاقونه، يطلبون منه الدعاء لهم، لكنه دون التوجه إلى مظهره الأنيق، كان في الليل يسطو على البيوت في المدينة ويسرقهم.

وذات ليلة، وبينما كان يصعد على جدران أحد البيوت للسرقة، رأى أثاثاً كثيراً، بالإضافة إلى أنه رأى امرأة شابة جميلة، ففرج جداً وقال في نفسه: يمكنني

أن آخذ الليلة المال الوفير، وأن أقضي منها وطري وأستمع معها في الفراش.
 وبينما كان في أعلى السطح يشاهد البيت وما فيه في ذلك الظلام الدامس؛
 فكر للحظة وقال مخاطباً نفسه: إلى متى تسرق؟ إلى متى العار؟ لماذا يجب أن
 تضيع ما بذل الانبياء والاولياء من جهود؟ ما هو عاقبة هذا الفساد والذنوب كلها؟
 ليس الموت والبرزخ والقيامة والمحاکمات الإلهية لي؟ فهناك؟ في محضر
 الحق ومحكمة عدله، كيف يمكنني أن أجيب على كل هذا الظلم والجنايات
 التي اقترفتها؟!

نعم، فإني بإدامة هذه الاعمال، سأصل يوماً لا يوجد فيه لي مفر من قبضة
 العدالة، في ذلك اليوم بعد إتمام حجة الحق، أبتلى بغضبه الإلهي، ثم أسجن في
 ناره، وذلك الوقت يوفى مني كل ما ارتكبت!
 بعد تفكير وتأمل قصير، عدل عن السرقة والاعتداء على تلك المرأة الشابة
 الجميلة، ورجع خالي اليدين إلى البيت.

وعند الصباح، اغتسل واصلح نفسه ولبس ثياب الصلحاء والطاهرين وتوجه
 إلى مسجد رسول الله ﷺ؛ وجلس بالقرب منه!

وفجأة رأى تلك المرأة التي كان الأمس ينوي سرقتها والاعتداء على شرفها؛
 قد أتت إلى رسول الله ﷺ؛ وقالت: يا رسول الله، إنني امرأة لا زوج لي، ولي
 مال كثير، وبعد زيجات متعددة، كنت لا أنوي الزواج مرة أخرى. لكنه بالأمس
 رأيت رجلاً قد صعد جدران البيت كي يسرق، فخفت جدا مع أنه لم يسرق
 شيئاً، فلا أستطيع أن أكون وحيدة بعد الآن، فإن رأيت أن تزوجني يا رسول الله!
 فأشار رسول الله ﷺ إلى ذلك الرجل - الذي كان بالأمس أراد سرقتها -
 وقال لها: إن أردت زوجناك من ذلك الرجل، فنظرت المرأة إليه، فأعجبها، ثم

سكنت وكان سكوتها كافياً علامة للرضا.

فقرّر رسول الله ﷺ عقد قرانها من ذلك الرجل وأتمّه، ثم أخذها الرجل معه إلى البيت، وحدثها الرجل قصته، وما كان من أمره في الأمس، لتلك المرأة بكل سعادة ونشاط قائلاً: إن كنت قد سرقتك بالأمس وتعديت عليك، فبالإضافة إلى انها لم تكن سوى ليلة، فإني بذلك كنت قد اشعلت نار غضب الرب دائماً لي، ولكنني قد فكرت في عاقبة الأمر، وصبرت على هوى النفس، وفي النتيجة وصلت إلى الثروة الحلال والزوجة الصالحة والعاقبة الحسنة والسعادة!

وكما قال لسان الغيب:

يوم الهجران والفراق الاخير قد أتى، من هذا الفأل، وهذا الكوكب وأنتهى الأمر.

فكل ذلك الدلال والنعيم الذي كان في الخريف، في النهاية انتهى تحت اقدام الربيع.

جاء الصبح ومعتكف حجاب الغيب، كأنه يقال له أن الليل قد انتهى، فاضطراب تلك الليالي الطويلة وهم القلب، كلها انتهت في ظل صباغ الشعر. فلا اصدق انه من وقت عدم عهد الايام، ان القصة والغصة قد انتهت في دولة المحبوب.

أقسام التفكير:

الفكر والتفكير هو مبدأ كسب السعادة، هذا ما قاله علماء الأعلام، وفي هذا المجال، فإن لديهم كلام جميل وهو:

«التفكر على خمسة أوجه:

فكرة في آيات الله يتولد منها التوحيد واليقين وفكرة في نعمة الله يتولد منها الشكر والمحبة، وفكرة في وعيد الله يتولد منها الرهبة، وفكرة في وعد الله يتولد منها الرغبة، وفكرة في تقصير النفس عن الطاعة مع إحسان الله يتولد منها الحياء»^١.

التفكر في خلق السماء والأرض:

عن عطاء قال: انطلقت أنا و عبيد بن عمير إلى عائشة و بيننا و بينها حجاب فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا فقال قول النبي ﷺ: «زر غبا تزدد حبا» فقال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال: فبكت و قالت: كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلدي جلده ثم قال: ذرني أتعبد لربي عز و جل فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكي حتى بلّ لحيته، ثم سجد حتى بلّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال: يا رسول الله ما يبكيك و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر فقال: ويحك يا بلال ما يمنعني أن أبكي و قد أنزل الله عليّ في هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^٢ ثم قال: ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها^٣.

١- المواعظ العددية: ٢٧٧، الباب ٥، الفصل ٨

٢- آل عمران ٣: ١٩٠.

٣- المحجة البيضاء: ٨ / ١٩٤، كتاب التفكير.

قال رسول الله ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة، قالوا: وما حظها من العبادة يا رسول الله؟ قال: النَّظَرُ فِي المِصْحَفِ والتفكير فيه والإعتبار عند عجائبه»!

التفكير، تنويرٌ للقلب:

القلب، أهمُّ عضوٍ بشري الذي هو محلّ انعكاس للحقائق ومشرق للأشوار الإلهية ومكان للمعرفة والعشق، بعض الأحيان يكون تحت سيطرة الجواذب المادية وهوى النفس والغرائر الحيوانية المتمردة، فيلوّث بظلمة الحرص والبخل الخطرة، والحسد والضغينة، والشرك والنفاق والعجب والرياء...، وصاحبها إثر هذه التلوثات، يتلى بخزي الدنيا وعذاب الآخرة. فالأطباء الإلهيين، يرون في التفكير في الأمور والتأمل في عاقبة الأمر، والتوجه إلى أوضاع وأحوال الصالحين؛ سبب في إزالة هذه الظلمات؛ مثلما أثبت تاريخ الحياة أن كل ظلمة قلب؛ مع نور التفكير يزول.

بهاء الدين ولد، إثر خطوة إرشاد المضلين وتحقق النور في قلوبهم، يقول في

مقالة:

قلت: يا الهي! فكما فتحت ناظري على العالم، واصبحت أريد بسرعة حفظ احوالي، افتح ناظري على الآخرة؛ كي أحترز من هذه الدنيا الدنية. وكما فتحت ناظري على حسن صور الصالحين، وجعلتني أراهم، افتح ناظري على حسن صور صالحى الآخرة، لأنجذب لخدمتك، فينباع علم الدارين، التي اوجدتها من العدم، انت تفتحها.

يا الهي! فالانبياء على اي ينبوع إلى العدم قد انزلتهم، يا ربي، أروني من ذلك العين، فقلت: يجب الشكر لله، حتى يعطيني ويهيني، فبدأت بالفاتحة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قلت: يا إلهي وربّي، انت تستطيع تربية هذين العالمين، فأني كانت الكرامة، فهيني علم ذلك العالم.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

يا رحمن! يا رحيم الذي فتح هذه العالم، لا يعطيني قلبي أن اقوم عن ينبوع هذه الرحمة، فأذقني رحمة ذلك العالم وأجرها في صدري، كي أكون عاشقاً لذلك المكان.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

يا مالك يوم الدين، فأملني هو عبادتك دائماً.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

اطلب الاستعانة منك ان تفتح نظري إلى روح ذلك العالم واكون عاشق لك لا عاشق التكليف.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

اهدنا إلى عين، من عيون التي هي في العدم وتوصل إلى ملك ذلك العالم.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

اهدنا إلى ذلك العين، الذي ذهب إليه الأنبياء عليهم السلام وشربوا منه.

فأتمم (بعض من الناس) لا ترون الصواب والصحيح. لأنكم مترعين فأين ينفذ الصواب فيكم فالعين مترعة بالنوم، والرأس بالتجارة الفاسدة، والبطن

بالأكل، والقلب بالحرص، والجسم بالكاهلية. ايها المساكين فجسمكم باق في صدا المعاصي كالطيور في فخ الصياد.

اسعوا الآن ان تفكوا عقداً لكل واحد منكم كي تنجوا.^١

الى متى ايها القلب تنشغل بهذه الدنيا، فيجب اشعال النار في هذا التلوث. ارم بجسمك واصح نحو دار الملك ايها الروح، فالى متى الابتعاد عن اصلك.

فالعشق والاحترق والألم اخرجه في الكلام، فالى متى التلذذ والتكبر والبناء. فماذا تعلم عن شرط العاشق فانه تحت سيف عشق المحبوب، فالوجه كبير عم وردة متفتح والرقبه كالسرور مطأطأة.

فالتضحية في كربلاء هو عمل الرجال فرمي زورق الهمة في طوفان البلاء. تعلم العشق من الحسين ان كنت عاشقاً، ما هو رسم العشاق قطع الراس والموت.

ما هو رسم التصوف هل هو التسيح، فانهم قد سهل المشاكل على انفسهم.

التفكير يوجب فسحة الخلق:

جاء في جزء من الرواية:

ان التفكير يوجب فسحة الخلق والنفس اذا كانت على اثر الجواذب المادية والشهوانية اسيرة، فهي تتحول الى منبع للذائل والتلوث.

في اسارة النفس للهوى فأن الحرص والحسد والبخل والضعف وسوء الظن

وانواع الرذائل الاخرى ستتغلب على الانسان، وأي واحد من هذه الأمور الفاسدة هي كافية لانزلاق قدم الانسان الى بئر المصائب وحفرة السقوط في تنور جهنم. فالانسان عندما - بالاستفادة من القرآن الكريم والمعارف الالهية - يفكر في الخسائر التي تأتي من الرذائل الاخلاقية في الدنيا والاخرة ويقف على هذا المعنى - ان الرذائل سبب لضيق القلب وظلمة الروح وضيق الصدر ومحدودية النفس - دون شك فانه يسارع الى علاج ذلك ويفتح ابواب السماء العظيمة وعالم الاخلاق الملكوتي على نفسه.

فهكذا تفكر طاهر وذو معنى هو افضل سبب لاصلاح المعاد والاطلاع على عاقبة الامور وازضافة معنى المعرفة الى مركز الروح.

«وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها، قال رسول الله ﷺ: فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة التفكر الا من خصه الله بنور المعرفة والتوحيد».

التفكر افضل العبادة:

يقول الامام الصادق عليه السلام في نهاية رواية باب التفكر: الفكر والتأمل والتفكر في عاقبة الامور هو حقيقة لم يعبد الله بمثلها في جميع مراحل الخلق، فهي اصل العبودية وجذور العبادة ونور كل حقيقة وروحها.

قال رسول الله ﷺ تفكر ساعة في وضع ظاهرك وباطنك وفي الدنيا واحوالها وثوراتها في السماء والارض وفي الموجودات والقرآن الكريم والمعارف الالهية افضل من عبادة سنة، وهذه المنزلة العظيمة والمقام السامي لا يحصل الا من نوره الله بنور المعرفة والتوحيد.

في نهاية هذا المجلد يقول الفقير المسكين بعد اداء شكر الحق من اتمام هذه الكتابة رافعاً يديه الى ذلك الغني في محضر قدسه قائلاً:

يا ايها الذي كل العالم محترفاً من غم فراقك، انظر البنا بلطفك وكرمك.
فالجمله رهين لك ولانعامك، في ظل رحمتك واكرامك.
فاسمك شفاء لكل داء، وذكرك صفاء لكل قلب.

فمن وجدك سعد، نجى من الهم والغم.
 ومن اشترى محبتك ايها المحبوب، فجنة العشق ماؤه ونصيب.
 فمن اتى الى حضرتك محتاجاً ، اصبح شامخاً في الدارين.
 فمن دعائك وطلبك، كان لطفك صاحبه دائماً.
 فانت مرهم للقلوب المضطربة، وانت محور روح الايمان.
 وانت راحة للاجسام المريضة، ومرهماً لاكل جرح قد اجفي.
 يا من غمك في روضة قلبي، ولطفك يا نور العالم صاحبي.
 وان كنت مذنباً وقلبي ملوثاً، فلم الوث من الذنب والمعصية.
 ولكنني املت برحمتك، وشممت من عطر ورد احسانك.
 وبيض وجهي من كرامتك، واغرق عبدك في عناياتك.
 وانظر الى عبدك المسكين، واجعل روحه وقلبه محرم لكل سر.
 الهي نور قلبي بنور معرفتك وجسمي بنار عشقك وانجني من المهالك
 ووقفني لادامة الخدمة في طريقك ولا تطردني من رحمتك آمين يا رب
 العالمين.

المحتويات

الباب (٢٢) في آداب الحج

- ١٠..... حقيقة الحج:
- ١١..... العلاقة الروحية بين القلب والكعبة:
- ١٣..... تصفية القلب من غير الحق سبحانه وتعالى:
- ١٤..... كعبة القلب:
- ١٩..... حق الناس وأهميته:
- ٢٢..... المؤاخذة بسبب قلم:
- ٢٤..... النجاة بدفع سبعة عشر ريال:
- ٢٤..... براءة الذمة بسبب خدش كتاب:
- ٢٥..... مشكلة بسبب ملامسة شحم لحم:
- ٢٦..... المؤاخذة بسبب عود صغير:
- ٢٦..... هو غير مؤهل لزيارة حجة الله:
- ٢٧..... المؤاخذة بسبب حبة سنبل:
- ٢٧..... النجاة من حق الناس:
- ٢٩..... لهيب النار بسبب حقوق الناس:
- ٣٠..... الإبتلاء بسوء الحساب في البرزخ:

- العذاب بسبب ثمانية عشر تومان: ٣١
- زاد الحج: ٣٤
- عدم الاعتماد على زاد الدنيا: ٣٥
- الأصحاب والأصدقاء: ٣٦
- القوة والقدرة: ٣٧
- ريعان الشباب: ٣٨
- الثروة والمال: ٣٩
- التهيؤ لسفر الحج: ٤١
- التوبة الخالصة، شرط سفر الحج: ٤٢
- الحج من وجهة نظر زين العابدين عليه السلام: ٤٥
- الكعبة في مرآة القرآن الكريم: ٥٣
- العلائم البيّنة للكعبة: ٥٥
- الكعبة، مركز البركات والهداية: ٥٦
- الحج من وجهة نظر أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٩
- عظمة الكعبة: ٥٩
- الكعبة، أول معبد إلهي: ٦٠
- الموقع الجغرافي للكعبة: ٦١
- العزلة في الحج: ٦٢
- الكعبة، مظهر تجلّي الله سبحانه وتعالى: ٦٣
- الكعبة والمعاملة بين الناس: ٦٤
- الكعبة ومناسك الحج: ٦٤
- الإتصال مع القرآن الكريم في سفر الحج: ٦٦

- ٧٠..... عظمة وثواب الحج:
- ٧٦..... سبب اختلاف ثواب الحج:
- ٧٧..... أقسام الحج:
- ٧٨..... الذنب العظيم؛ الامتناع عن أداء الحج:
- ٧٩..... أداء مناسك الحج من المال الحلال:
- ٧٩..... السيدة المؤمنة؛ شطيطة:
- ٨١..... حقيقة مسألة الحج:
- ٨٢..... مناظرة الإمام الصادق عليه السلام مع ابن أبي العوجاء:
- ٨٤..... حج الإمام الحسن المجتبي عليه السلام:
- ٨٥..... حج الإمام الصادق عليه السلام:
- ٨٧..... الحج أو المعراج الملكوتي:
- ٨٩..... صورة إجمالية عن حقيقة العبادات:
- ٩٤..... الحج أو قصد النمو والسمو:
- ٩٦..... الحج والجهاد، الرهبانية في الإسلام:
- ٩٨..... الحج عن معرفة:
- ١٠٠..... الافلات من التعلقات، قبل الحج:
- ١٠١..... حج العارفين:
- ١٠٢..... آداب زيارة الكعبة:
- ١٠٤..... النية الصادقة:
- ١٠٥..... التربة:
- ١٠٦..... ذكر الحق تعالى:
- ١٠٦..... الانفاق:

- ١٠٧ حسن الأخلاق:.....
- ١٠٧ الأعمال الحسنة:.....
- ١٠٧ التواضع:.....
- ١٠٨ إيكال التعلقات إلى الحق تعالى:.....
- ١٠٨ التوكل على الله:.....
- ١٠٩ زاد وراحلة الحج:.....
- ١١٠ رفاق رحلة الحج:.....
- ١١٠ أمير الحاج:.....
- ١١١ دليل الطريق:.....
- ١١١ الزائر في الميقات:.....
- ١١١ تنظيف الروح:.....
- ١١٢ آداب الدخول إلى الحرام:.....
- ١١٣ الطواف:.....
- ١١٤ عرفات:.....
- ١١٥ منى:.....
- ١١٥ الوداع:.....
- ١١٦ في طريق السفر:.....
- ١١٧ صحاري أطراف الحرم:.....
- ١١٨ المدينة الطيبة:.....
- ١٢٢ الميقات:.....
- ١٢٣ لباس الإحرام:.....
- ١٢٤ النية:.....

- التلبية شعار ملكوتي رفيع: ١٢٥
- اجابة نداء الحق تعالى بتسليم الروح: ١٢٨
- محرمات الاحرام: ١٢٩
- ١ - صيد الحيوانات: ١٢٩
- ٢ - النظر في المرأة: ١٣٠
- ٣ - رائحة العطر: ١٣١
- ٤، ٥، ٦ - لمس بدن المرأة، الجماع، التقبيل: ١٣٢
- ٧ - تغطية ظهر القدم: ١٣٤
- ٨ - القسم: ١٣٦
- ٩ - الخاتم للزينة: ١٣٦
- ١٠ - لباس الزينة للنساء: ١٣٧
- ١١ - تغطية الرأس: ١٣٨
- ١٢ - ازالة شعر البدن: ١٣٩
- ١٣ - الكذب والمفاخرة والبذاء: ١٣٩
- ١٤ - الاكتمال: ١٤١
- ١٥ - تغطية المرأة وجهها: ١٤١
- ١٦ - تدهين البدن: ١٤٢
- ١٧ - الاستئلال: ١٤٢
- ١٨ - ايذاء الحيوانات: ١٤٤
- ١٩ - الاستمناء: ١٤٤
- ٢٠ - العقد والشهادة له: ١٤٥
- ٢١ - لبس الثياب المخيطة: ١٤٥

- ٢٢- ٢٣ - ٢٤ - قلع السن، تقليم الاظفار، اخراج الدم من البدن: ١٤٦
- ٢٥ - حمل السلاح: ١٤٦
- حریم الأمن: ١٤٧
- دروس من زيارة الكعبة: ١٥٠
- نظرة أخرى على امامة ابراهيم عليه السلام في زيارة الكعبة: ١٥٣
- وضع محيط حياة ابراهيم عليه السلام: ١٥٣
- بيان القرآن حول ابراهيم عليه السلام: ١٥٤
- مقام امامة ابراهيم عليه السلام: ١٥٥
- لمحة عن عبودية ابراهيم واسماعيل عليهما السلام: ١٥٨
- نداء نبي الإسلام، العظيم صلى الله عليه وسلم بجنب الكعبة: ١٦١
- رسالة الإمام علي عليه السلام إلى والي مكة: ١٦٤
- طواف الكعبة: ١٦٦
- أسرار الطواف: ١٦٧
- سبعة اشواط، سبعة برامج: ١٦٩
- منازل السلوك السبع: ١٧٢
- السعي بين الصفا والمروة: ١٧٤
- الحركة نحو منى: ١٧٥
- عرفات: ١٧٦
- المشعر الحرام: ١٧٧
- الذبيح في منى: ١٧٨
- رمي الجمرات: ١٧٩
- حلق الرأس: ١٨٠

- ١٨١ الخروج من منى:
 ١٨٢ استلام الحجر:
 ١٨٣ الوقوف في الصفا والمروة:
 ١٨٤ كرامة حج بيت الله:
 ١٨٥ حقائق الحج:
 ١٨٥ النية الخالصة:
 ١٨٥ أسرار الاحرام الحقيقي:
 ١٨٦ دخول المسجد الحرام:
 ١٨٦ غسل الاحرام:
 ١٨٧ دخول عرفات:
 ١٨٧ المشعر الحرام:
 ١٨٧ دخول منى:
 ١٨٨ الطواف وصلاة الطواف:
 ١٨٨ ركن المستجار:
 ١٨٨ دخول الكعبة:
 ١٨٨ وداع بيت الله الحرام:
 ١٨٩ مسجد الخيف:
 ١٨٩ رمي الجمرات:
 ١٨٩ دخول المدينة:
 ١٩٠ أئمة البقيع عليهم السلام:
 ١٩٠ شهداء أحد:
 ١٩١ الرجوع إلى الوطن:

- ١٩١ حج المشتاقين:
 ١٩١ مناجات الله:

الباب (٢٣) في بيان سلامة الدين

- ١٩٦ سلامة الدين:
- ١٩٦ الغفلة عن سلامة الدين:
- ١٩٨ رابطة الدين والإنسان:
- ٢٠٠ الإسلام في القرآن الكريم:
- ٢٠١ الإسلام في الروايات:
- ٢٠٢ ذكر النبي ﷺ لأسماء الأئمة ؑ:
- ٢٠٣ الأئمة ؑ مصاديق للآيات القرآنية:
- ٢٠٦ سلامة دين أمير المؤمنين ؑ:
- ٢٠٦ أساس وأصول الدين:
- ٢٠٧ إيمان القلب:
- ٢٠٨ وصية ابن طاووس لابنه:
- ٢١١ الأخلاق والنفس:
- ٢١٤ أخلاق أولياء الله:
- ٢١٧ سلامة العمل:
- ٢١٩ سلامة الدين في آخر الزمان:
- ٢٢٤ طرق كسب سلامة الدين:
- ٢٢٦ سلامة الدين في العزلة:

الباب (٢٤) في فوائد العزلة

- العزلة: ٢٣٤
- العزلة عن الذنوب الخفية: ٢٣٥
- العزلة والهجرة: ٢٣٦
- العزلة عن الذنوب: ٢٣٦
- القرآن الكريم والعزلة: ٢٣٨
- عزلة أصحاب الكهف: ٢٣٨
- عزلة إبراهيم عليه السلام عن المشركين: ٢٤١
- الروايات والعزلة: ٢٤٢
- العزلة من وجهة نظر العارفين: ٢٤٤
- فوائد العزلة: ٢٤٩
- ضروريات العزلة: ٢٥٣
- العزلة في كلام عيسى بن مريم عليه السلام: ٢٥٦
- العزلة في كلام ربيع بن خثيم: ٢٥٧
- عزلة أولياء الله سبحانه وتعالى: ٢٥٨

الباب (٢٥) في آداب العبادة

- حقيقة العبادة: ٢٦٤
- أسرار العبادة: ٢٦٤
- العبادة، هي هدف الخلقة: ٢٦٥

٢٦٦	العبادة أسمى مقام للإنسان:
٢٦٨	العبادة، سبب الرشد والكمال:
٢٦٩	طريقة عمل المرحوم بهاري <small>رحمته الله</small> :
٢٧٧	العبادة سبب الدخول إلى الجنة:
٢٧٩	العبادة، تؤدي إلى العدالة في الحياة:
٢٨٠	العبادة يمنع الظلم:
٢٨٠	المعرفة هي أصل جميع الفضائل:
٢٨٤	درجات العلم:
٢٨٨	العبادة الفضلى:
٢٩٠	المناسك الظاهرية والعبادات المتكررة:
٢٩٥	وظائف الإنسان تجاه الواجبات:
٢٩٧	العبادة الحقيقية:

باب (٢٦) في التأمل والتفكير

٣٠٧	حقيقة العقل والقلب:
٣٠٩	التفكير والتأمل في القرآن:
٣١٢	التفكير والتأمل في الروايات:
٣١٣	الطريق الصحيح للتفكير:
٣١٤	كلام العلامة المجلسي <small>رحمته الله</small> في التفكير:
٣١٤	كلام الغزالي حول التفكير:
٣١٥	كلام الشيخ الطوسي حول التفكير:

- ٣١٦ التفكير حول السموات:
- ٣١٦ مقارنة بين الشمس والقمر:
- ٣١٨ نجوم السماء:
- ٣٢١ مكونات الكرات:
- ٣٢٣ التفكير في الأرض:
- ٣٢٦ حكمة شكل الأرض:
- ٣٢٨ الجاذبية الأرضية:
- ٣٢٩ الطوفان من عجائب الأرض:
- ٣٣٠ النباتات من عجائب الأرض:
- ٣٣٢ أنواع النباتات:
- ٣٣٨ التفكير في الليل والنهار:
- ٣٤٠ التفكير في القرآن:
- ٣٤٢ التفكير حول الموت:
- ٣٤٣ كلام من عالم رباني حول الموت:
- ٣٤٦ تضرع الإمام علي عليه السلام حول الموت:
- ٣٤٩ الشيعي الحقيقي:
- ٣٥٣ نصائح من التوراة:
- ٣٧٢ البلاء هو نتيجة الاتصال بالدنيا:
- ٣٧٢ تنظيم أبجد الحروف مع قاموس الحق:
- ٣٧٥ الدنيا من وجهة نظر نوح:
- ٣٧٦ الدنيا من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام:
- ٣٧٨ آثار التأمل والتفكير:

٣٧٨	مرآة الحسنات وكفارة السيئات:
٣٧٩	الفضيل بن عياض ومصالحته مع الله سبحانه وتعالى:
٣٨١	التفكر في عاقبة الأمر:
٣٨٣	أقسام التفكر:
٣٨٤	التفكر في خلق السماء والأرض:
٣٨٥	التفكر، تنوير للقلب:
٣٨٧	التفكر يوجب فسحة الخلق:
٣٨٩	التفكر افضل العبادة:
٣٩٢	المحتويات: